اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل/ كلية التربية
قسم التاريخ

سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية
١٧٩٨-١٨٠٩

رسالة تقدم بها

فهد عويد عبد البعيجي

إلى مجلس كلّيّة التربية ـ جامعة بابل
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة ماجستير آداب
في التاريخ الحديث

بإشراف
الأستاذ المساعد الدكتور

علي هادي عباس المهداوي

شعبان ١٤٢٨هـ　　　　أيلول ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

((ومن يتوكل على الله فهو حسبه))

صدق الله العظيم

سورة الطلاق / الآية ٣

أشهد بأن إعداد هذه الرسالة تم تحت إشرافي في كلية التربية – جامعة بابل، وهي جزء من متطلبات درجة ماجستير آداب في التاريخ الحديث.

التوقيع:

المشرف: أ. م. د. علي هادي عباس المهداوي

التاريخ : /٩/ ٢٠٠٧

إشارة إلى توصية الأستاذ المشرف، أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

أ. م. د. زينب مرجان

رئيسة قسم التاريخ

رئيسة لجنة الدراسات العليا في قسم التاريخ

التاريخ : / ٩/ ٢٠٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة، بأننا اطلعنا على هذه الرسالة، و ناقشنا الطالب (فهد عويد عيد الشبرم) في محتوياتها وفي ما له علاقة بها، وقررنا بأنها جديرة بالقبول بتقدير ( ) لنيل شهادة ماجستير آداب في التاريخ الحديث.

التوقيع: التوقيع:

التوقيع: التوقيع:

التوقيع:

أ. د. فليح حسن الركابي

دعكليـ ة الآداب/ جامعة بغداد

الشكر والتقدير.

وأنا أضع اللمسات الأخيرة على سطور هذه الرسالة ،تدفعني موجبات العرفان والتقدير أن أتقدم بخالص شكري إلى أستاذي المشرف الدكتور (علي هادي عباس المهداوي) لما أفاضه من صبره اللامحدود وملاحظاته القيمة ، مما كان له الأثر الكبير في أنجاز البحث بهذه الصورة .

كما تنتصب لدي نافلة الإكبار والتقدير إلى أساتذتي الأفاضل في السنة التحضيرية ابتداءً من الأستاذ الدكتور عبد الإله كربل ثم لرئاسة قسم التاريخ ممثلة بالدكتورة زينب مرجان ، والى الدكتور حسن عبد علي الطائي ،الذي لا أنسى بان له الفضل في توجيه اهتمامي نحو موضوع الدراسة ، والدكتور كريم مطر الزبيدي والدكتور عصام عبد الحسين الدليمي والدكتور ستار نوري العبودي لما أفاضوه من وافر علمهم فأدامهم الله شجرة وافرة بضلالها على طلاب علمهم

ويقيناً إن كل ما حفظته من كلمات الثناء والتقدير والامتنان لايمكن إن ترقى إلى إيفاء حق أساتذتي في جامعة واسط ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور خضير مظلوم البديري و الدكتور طالب محيبس الوائلي ،فلهما مني عميق شكري وامتناني .

كما واجعل شكري موصولاً بخيط العرفان إلى أساتذتي الذين أكرموني سواء أكان بملاحظاتهم أم بوقتهم أو بمكتباتهم الشخصية،فكان لإسهامهم أثره في تخفيف عبئ هذه الرحلة وهم أساتذتي الدكتور هاشم صالح التكريتي والدكتور طاهر يوسف الوائلي والدكتور يوسف عبد الكريم الرديني .

كما أود إن اشكر كل من الإخوة يوسف كاظم الشمري ويونس عباس الياسري و علي خوير الحجامي لما أبدوه من فضل جعلهم الله قادرين ومقتدرين عليه ،كما أود إن أعرب عن خالص تقديري إلى الإخوة العاملين في مكتبة وزارة الخارجية العراقية،ومكتبة كلية العلوم السياسية الجامعة المستنصرية ودار الكتب والوثائق ،والمكتبة المركزية(جامعة بغداد)، ومكتبات الدراسات العليا والآداب وقسم التاريخ في جامعة بغداد وكذلك العاملين في مكتبة كلية التربية (ابن رشد) ، والمكتبة المركزية في الجامعة المستنصرية ومكتبتي جامعتي واسط وبابل والإخوة في مكتبة الإمام الصادق (عليه السلام) في الحلة ،كما اشكر الإخوة في مكتب الميناء لما تحملوه من عناء في طباعة هذه الرسالة. ومن الله التوفيق٠٠٠٠ واليه الشكر والثناء٠

ABSTRACT

This study concerned of explanations of relation between British and Al-Othmanian through the years1798-1809,the first chapter talked about the first steps for these relations which back to the middle of Sixth Century with explaining the reasons that pushed Britain for that and connected with Othmanin country and the reasons that make Othmanian to welcome of this relation

The British started to build Trade relations with Othmaians and did many bonds they got it through Othmani Regions.The British did foundation many trade companies that put many items to practice in the field.The British also use the benefits of this relation and start to settle down in these regions by using the situation of Othmanins at that time and their relation .

The British benefits in the Othmanin country make the defend against any threaten to the Othmanians and its Regions. So British started their when Napilyon moved to invade Egypt, the Negotiations and held a bond with Othmanin and the diplomatic result was dismissed from Egypt and the Authority back to the Othmanian .

The British were care about their benefits and they were against any threaten to the Othmanin,because it want to keep their Military bases in Egypt, but the British left Egypt to the Othmanian because they and the French insist for that .The British failed to stay long in Egypt and they tried with Russian to violate the good relation between the French and Othmanins.So the British and Russian started to pressure on Othmanin to isolate it from France This lead the two countries to start war against Othmanian and the Russia invade two Regions Wlatia and Muldavia and the British sent Troops to the Al-escndria and other places in Othmanian country but this style kept the relation between France and Othmnian more closer

The military style failed in achieving aims. The international situations changed and force the British to follow diplomatic style with Othmania.The British achieved their aims by keep closing to the Othmanian .The relation between Russia and France became good so the Othmanians upset from that relation ,so that the British and Othmanians make an agreement called Al-Drdeneel for peace and trade in the fifth of December 1809 which back again the political relations and trade between the two countries

قائمة المحتويات

ت	عنوان الموضوع	الصفحة
١-	الآية	
٢-	الإهداء	
٣-	الشكر والتقدير	
٤-	المقدمة	١-٩
٥-	**الفصل الأول. العلاقات البريطانية- العثمانية حتى العام ١٧٩٨:**	١٠-٦٨
٦-	أولا. صلات بريطانيا المبكرة مع الدولة العثمانية.	١٠-٣٠
٧-	ثانياً. التغلغل البريطاني في الأقاليم العثمانية.	٣٠-٥٢
٨-	ثالثاً. الموقف البريطاني من الصراع الأوربي–العثماني في القرن الثامن عشر.	٥٢-٦٨
٩-	**الفصل الثاني. سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية في ظل الغزو الفرنسي لمصر ١٧٩٨ ـ ١٨٠١:**	٦٩-١١٨
١٠-	أولاً . الغزو الفرنسي لمصر والتحالف البريطاني ـ العثماني.	٦٩-١٠٢
١١-	ثانياً. العمليات البريطانية – العثمانية المشتركة وأجلاء الفرنسيين عن مصر.	١٠٢-١١٨
١٢-	**الفصل الثالث. التنافس الدولي حول الدولة العثمانية وأثره في السياسة البريطانية تجاهها ١٨٠١-١٨٠٧:**	١١٩-١٥٢
١٣-	ولاً . استمرار الحذر البريطاني من النفوذ الفرنسي وعقد صلح أميان ١٨٠١ – ١٨٠٣.	١١٩-١٢٩
١٤-	ثانيا. انفراط التحالف البريطاني- الفرنسي والتقارب البريطاني - الروسي ١٨٠٣-١٨٠٧.	١٢٩-١٥٢
١٥-		١٥٣-١٩٦

	الفصل الرابع. تأرجح السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية ١٨٠٧-١٨٠٩ :	
-١٦	أولا. انحسار السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية آذار ١٨٠٧ - أيلول ١٨٠٧.	١٧٣-١٥٣
-١٧	١. الإجراءات البريطانية العسكرية في المضائق العثمانية.	١٥٩-١٥٣
-١٨	٢. الحملة البريطانية على ألاسكندرية.	١٧٣-١٦٠
-١٩	ثانيا.الاندفاع البريطاني تجاه الدولة العثمانية أيلول ١٨٠٧ - كانون الثاني ١٨٠٩.	١٩٦-١٧٣
-٢٠	١. تزايد النفوذ الفرنسي وأثره على السياسة البريطانية	١٨٦-١٧٣
-٢١	٢ . نجاح السياسة البريطانية وعقد معاهدة الدردنيل عام ١٨٠٩.	١٩٦-١٨٦
-٢٢	**الخاتمة**	١٩٩-١٩٧
-٢٣	**الملاحق**	٢٠٤-٢٠٠
-٢٤	**قائمة المصادر**	٢٢٨-٢٠٥

المقدمة

المقدمة

تعاني المكتبة العربية نقصاً واضحاً في الدراسات المتخصصة في تاريخ الدولة العثمانية عامة والمسألة الشرقية خاصة، مما حفز الباحث للغور في هذا الحقل التاريخي. فلم تحظ سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية، بعناية كافية من الباحثين العراقيين، مما أظفى على الموضوع ميزة أخرى تجعله جديراً بالدراسة، مع يقيننا بأن موضوع سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية طيلة القرن التاسع عشر، لايزال موضوعاً بكراً ويحتاج الى الكثير من الدراسات للوقوف عليه بالتفصيل. أما مبررات إختيار العامين (١٧٩٨ -١٨٠٩) إطارا زمنيا للدراسة، فتكمن في الأسباب الأتية:-

١- شهد العام ١٧٩٨ولأول مرة تحولاً في سياسة بريطانيا الخارجية من التوجه التجاري البحت الى السياسي، على أثر ماشهده ذلك العام من غزو فرنسي لجزء من الدولة العثمانية (مصر)، وما تولّد عن ذلك من ردود فعل بريطانية عنيفة، أصبحت معها طرق التجاره البريطانية الى الهند، بل الهند برمتها، قاب قوسين أو أدنى من غزو فرنسي محتمل.

٢- أما العام ١٨٠٩ فقد شهد عقد معاهدة السلام والتجارة البريطانية – العثمانية المسماة "معاهدة الدردنيل"، التي أنهت مرحلة من الصراع بين بريطانيا والدولة العثمانية غطى الأعوام ١٨٠٧ – ١٨٠٩.

٣- إن المدة المحصورة بين العامين ١٧٩٨ و ١٨٠٩، تعد حقبة نموذجية في تاريخ السياسة البريطانية من الناحية الموضوعية، إذ تتوافر فيها شروط الموضوع المستقل وبصورة واضحة، فيمكن أن ينظر إليها على أنها تشكل الجذور السياسية الأولى لتوجهات بريطانيا إزاء الدولة العثمانية، إذ أن دراستها بصورة مستقلة وتفصيلية فيها تعليل للكثير من المواقف البريطانية تجاه قضايا الدولة العثمانية في مراحل لاحقة من القرن التاسع عشر وحتى سقوط الدولة العثمانية في الربع الأول من القرن العشرين.

ونظراً لسعة الموضوع كنتيجة حتمتها سعة مساحة الدولة العثمانية من جهة، وتنوع مصالح بريطانيا وأساليبها السياسية من جهة أخرى، الى درجة جعلت من الصعب على الباحث أن يلملم أطراف الموضوع، بل جعلته غاية في التعقيد في مواقف محددة، لذا آثرنا بحث الموضوع على وفق منهج علمي، يجمع قدر الإمكان بين اعتماد التسلسل الزمني للأحداث وبين الالتزام بوحدة الموضوع، فجاءت فصول الرسالة مقسمة على مراحل

زمنية قصيرة، أعتُمد في تقسيمها أحداث بارزة تتضمن كل منها موضوعاً فرعياً قائما بذاته ومرتبطاً بالموضوعات الأخرى وبطبيعة التطورات العامة للإطار الزمني العام للدراسة.

تتألف الرسالة من اربعة فصول تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة وعدد من الملاحق وثبت للمصادر. وبما أن سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية تستند إلى مقومات تعود الى ما قبل عام ١٧٩٨ إذ يصعب فهم تقلبات تلك السياسة وتفسيرها فيما بعد ذلك العام ، دون الإلمام الكافي والتوضيح الوافي لأهم ما يمت بصلة الى تلك المقومات، فقد كرسنا فصلاً مطولاً نقر بأنه بحجمه الكبير قد تجاوز ضوابط البحث المنهجية، لكنها كبوة لم نربداً منها.

جاء الفصل الأول في ثلاثة مباحث، ناقش الأول منها اسباب توجه بريطانيا التجاري الى خارج القارة الأوربية، لأسباب داخلية تتعلق بطبيعة تطور المجتمع البريطاني، وأسباب تتعلق بتوجه بريطانيا العام نحو الشرق لاسيما الهند، ومع إعترافنا بأن هناك أسباباً خاصة بالأخيرة جعلت بريطانيا توليها أهمية فائقة، كما وقف المبحث على أهم وسائل السياسة البريطانية واذرعها التنظيمية، المتمثلة بالشركات التجارية وكيفية نشأتها، وظروف تلك النشأة، ثم ما جنته بريطانيا من ثمار توجهها نحو الدولة العثمانية، وتأسيسها هذه الشركات فضلا عن المعاهدات والأمتيازات التي حصدتها، فكانت هذه النتائج المباشرة للتوجه البريطاني خاتمه المبحث الأول، وأستهلالاً للمبحث الثاني الذي ناقش عمليات التغلغل البريطاني في الاقاليم العثمانية، على أساس الطرق التجارية التي سلكتها التجارة البريطانية بغية تغطية كل ما وصل اليه التغلغل البريطاني في تلك الأقاليم، أما المبحث الثالث فجاء ليجيب عن تساؤل مهم، هو أن بريطانيا التي وجهت أنظارها نحو الدولة العثمانية،وعقدت معها المعاهدات التجارية، وتغلغلت في أقاليمها، ثم أرتبطت بمستعمراتها في الهند عبر الطرق الخاضعة للسيادة العثمانية، فترتب على ذلك نشوء مصالح لبريطانيا،فهل من السهل عليها تجاهلها ؟ مبررين بذلك الموقف البريطاني من الصراع الأوربي العثماني، الذي أشتد مع مطلع القرن الثامن عشر، على أثر الضعف والتداعي الذي أصاب الدولة العثمانية، مما قد يفضي بالنهاية الى الإضرار بالمصالح البريطانية.

أما الفصل الثاني فتناول طبيعة تنامي الموقف البريطاني من التغلغل الأوربي في الدولة العثمانية، أستهل الموضوع بمبحث عنالحملة الفرنسية على مصر، وماتولّد عنها من ردود فعل بريطانيّة، بعد أن عدّت الأوساط السياسية والعسكرية، سواء أكانت في لندن أم الهند، أن تلك الحملة هي الخطوة الأولى لوثوب نابليون الى الهند، فأخذت تركز جهودها

وتبذل المساعي الحثيثة للتقارب مع الدولة العثمانية في محاولة منها لوأد المشروع الفرنسي في مهده، وقد خصصنا مبحثاً آخر يقف بالتفصيل حول آلية تحقيق ذلك.

لا يعني فشل الحملة الفرنسية على مصر وعودة جيوشهم من حيث أتت، أن الفرنسيين تركوا الباب مفتوحاً على مصراعيه لنشاط بريطاني أوحد في الشرق، أو لأرجحية بريطانيّة مطلقة في المنطقة، لأن نابليون سرعان ما استأنف علاقاته مع الباب العالي الأمر الذي كانت له آثار بالغة انعكست بوضوح على مجرى العلاقات البريطانية العثمانية المتعرج. ولأستجلاء كل ذلك والوقوف على تفاصيله خصصنا له المبحث الأول من الفصل الثالث، ويمكن أن نزعم أن التوجه الفرنسي الجديد لم تنحصر إنعكاساته في حدود العلاقات البريطانية العثمانية، إنما تعداه الى تصادم فرنسي مع المطامح الروسية في الدولة العثمانية، مما أسفر عنه تقارب فرنسي عثماني، أزعج بريطانياكثيراً ودفعها الى التقارب مع الروس، فصارت أسطنبول ميداناً تتقاطع فيه السياسات الثلاث البريطانية والفرنسية والروسية، وظهور معسكرين أو تحالفين جديدين أحدهما تمثل بالتحالف الفرنسي العثماني والثاني بالبريطاني الروسي، فكانت آلية حدوث كل ذلك هي الفرضية الأساس للمبحث الأخير من الفصل الثالث.

وكشف الفصل الرابع في مبحثيه الأول والثاني عن أفرازات التمحور الجديد في الموقف الدولي، وأثره على العلاقات البريطانية العثمانية، فكانت أوضح تلك الإفرازات إستعمال بريطانيا أسلوب القوة العسكرية في محاولة علَّها تنجح من خلالها في ثني الدولة العثمانية عن تقاربها مع فرنسا، فشنت حملتها على المضائق، وأرسلت حملة أخرى الى الأسكندرية، ولما لم تحقق تلك الحملات ما كانت تصبو إليه الحكومة البريطانية، ثم ما حدث من تغيرات في الموقف الدولي، خلقت جواً أقنع البريطانيين باستحالة العمل في ظله دون تغيير استراتيجي لخطتها المطروحة تجاه الباب العالي، أسفر ذلك عن إنعطافة في سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية كانت أبرز نتائجها انتهاء حالة الصراع بين الدولتين وعقد معاهدة الدردنيل للسلام والتجارة.

كانت غاية المرام، أن تحتل المصادر الأصلية النصيب الأوفر من معلومات الدراسة لكن ما يجدر التنويه عنه أن الوثائق البريطانية الخاصة بموضوع الدراسة- معظمها إن لم تكن أهمها- قد نشرت في سجلات وثائقية أشرف عليها مؤرخون متخصصون، لذا فقد جعلنا الوثائق البريطانية المنشورة وجهتنا فأعتمدنا على تلك الواردة في السجل الوثائقي الضخم المعنون (مجموعة المعاهدات الدولية)

The Consolidated Treaty series

الذي اشرف عليه كلايف باري C. Parry ، وتركزت حاجتنا فيه على الأجزاء ٥٤ و ٥٥ و٥٦ و٥٩ و٦٠ المحفوظة في أرشيف وزارة الخارجية العراقية. كما أعتمدت الدراسة على الوثائق التي جمعها وأعدها المؤرخ البريطاني ماثيو أندرسون M. S. Anderson في كتابه الوثائقي (القوى العظمى والشرق الأدنى ١٧٧٤ – ١٩٢٣)

The great power and the near east 1774 -1923.

وتأتي أهمية هذا الكتاب الوثائقي من زاويتين، الأولى أهمية المؤلف نفسه، إذ أنه يعد من أكبر المتخصصين في تاريخ المسألة الشرقية، وله كتب مهمة في هذا الحقل، والثانية نابعة من أهمية السجل الوثائقي ذاته، إذ حوى كل المعاهدات التي وقعتها الدولة العثمانية مع الدول الأوربية بين الأعوام (١٧٧٤ – ١٩٢٣)، ولأجل كل ذلك لا نجانب الحقيقة إذا قلنا بأنه لا يمكن لأي باحث في تاريخ الدولة العثمانية أو المسألة الشرقية، أن يتناول هذه الحقول دون أن يمر بما ورد فيه.

واعتمدت الدراسة أيضاً على الأجزاء الأولى من مؤلفي المؤرخ هوروتز J. C. Hurewitz المعنونين (الدبلوماسية في الشرقين الأدنى والأوسط. سجل وثائقي)

Diplomacy in the near and Middle east. Adocumentary Record:

الذي يقع في جزأين، يغطي الأول الفترة من ١٥٣٥-١٩١٤، أما كتابه الثاني (الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في السياسة العالمية. سجل وثائقي)

The Middle East and North Africa in world Politics. A documentary Record:

وهو أيضاً بجزئين، إعتمدنا الجزء الأول منه فقط والذي يغطي الفترة ١٥٣٥-١٩١٤، وأمتاز هذان الكتابان بيسر استعمالهما لقيام المؤلف بوضع عناوين خاصة لوثائقه الواردة، ومقدمات تاريخية لتلك الوثائق، فمثلت هذه المقدمات ونصوص الوثائق مادة لا يمكن للباحث الإستغناء عنها. واستقت الرسالة أيضاً بعض موادها من السجل الوثائقي المعنون: (الوثائق التاريخية الانكليزية) English Historical Document:

وأشرف على هذا السجل الضخم الواقع فيثلاثة عشر مجلداً، المؤرخ ديفيد دوكلاس D. C. Douglas وتركز اهتمامنا على الجزء الحادي عشر الذي غطى السنوات ١٧٨٣ - ١٨٣٢. فضلاً عن كتب وثائقية أخرى يمكن الاطلاع عليها في قائمة المصادر.

أما الكتب الوثائقية باللغة العربية فقد أفاد الباحث من السجل الوثائقي المعنون (مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج

(والجزيرة العربية) الذي جمع مادتة الوثائقية وصنفها سي يو أتجيسون بي سي أس[١]. ثم قام العميد البحري الركن عبدالوهاب عبدالستار القصاب بترجمة أجزائه الثلاثة الأولى والملاحق الخاصة بها من المجلد الحادي عشر من ذلك الكتاب، ونشرها في كتاب حمل العنوان نفسه لتعم فائدته ناطقي اللغة العربية.ووقف الباحث أيضاً على الوثائق التي جمعها وقدم لها وعلق عليها الدكتور راشد البراوي في كتابه (مجموعة الوثائق السياسية)، الجزء الأول (المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس).

رفدت الدراسة أيضاً عدد من الكتب باللغات الأجنبية، تأتي في طليعة الكتب الأنكليزية كتاب المؤرخ الأمريكي ستانفورد شو S. Shaw المعنون (تاريخ الأمبراطورية العثمانية وتركيا الحديثة)

History of the Ottoman Empire and Modern Turky)

الذي يغطي الجزء الأول منه الفترة الزمنية ١٢٨٠ - ١٨٠٨ أي من تأسيس الدولة الى بداية حكم السلطان محمود الثاني. أما الجزء الثاني الذي أسهمت معه في أنجازه زوجته Ezel Kural Shaw الباحثة في مركز الدراسات الشرقية التابع لجامعة كاليفورنيا، فيغطي الفترة ١٨٠٨ -١٩٧٥ ، وبصورة عامة فإن الكتاب بجزئيه الأول والثاني لا يمكن أن يستغني عنه أي باحث في تاريخ الدولة العثمانية، فقيمة هذا الكتاب تأتي من الجهود العلمية التي بذلهامؤلفه طيلة عشرين عاماً، مستنداً على ما تضمنته الأراشيف العثمانية والأوربية.

وتحت عنوان المسألة الشرقية أُفدنا كثيراً من كتاب المؤرخ البريطاني ماثيو أندرسون المعنون (المسألة الشرقية ١٧٧٤ -١٩٢٣ دراسة في العلاقات الدولية)

The Eastern Question 1774 – 1923. A study in International Relations.

وكذلك كتاب ماريوت J. A . R. Mariott المعنون (المسألة الشرقية: دراسة تاريخية في الدبلوماسية الأوربية)

The Eastern Question. An Historical study in European Diplomacy.

ويعد هذين الكتابين من أفضل المؤلفات التي تناولت العلاقات العثمانية الأوربية، وقد أفادا الرسالة في كافة فصولها. ولايقل عن اهمية هذه المؤلفات كتاب وليم ملر W. Miller المعنون: (الإمبراطورية العثمانية وسلاطينها)

The ottoman Empire and its Successors 1801 -1927

---

(١) كان أتجيسون وكيل حكومة الهند البريطانية في الخارجية الهندية .

لما حواه هذا الكتاب من معلومات وافيه عن الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية مع الدول الأوربية، وكذلك مؤلفي المؤرخ كريسي E. S. Creasy المعنونين: (تاريخ العثمانيون الأتراك) History of the ottoman Turks و (الأتراك) Turks . وتأتي أهمية مؤلفات هذا المؤرخ كونه أحد المتخصصين في الشأن العثماني.

كما افدنا من كتاب: (نابليون والدردنيل) Napoleon and the Dardanelles لمؤلفه فيرنون جي بوريير V. J . Puryear لا سيما في الفصلين الثالث والرابع من هذه الرسالة، وعلى الرغم مما يوحي به عنوان الكتاب من أنه دراسه مركزه في التوجه الفرنسي نحو الدولة العثمانية، لكنه في الواقع كان بحثاً شاملاً لردود الأفعال البريطانية والروسية والنمساوية والعثمانية لذلك التوجه ويغطي المرحلة ١٧٩٨ - ١٨١٥، وما يميز الكتاب فضلاً عن ذلك أن مؤلفه وقف فيه على كم هائل من الوثائق العثمانية والأوربية، الى درجة صار معها الكتاب أشبه بالوثائقي، كما أن مؤلفه المؤرخ بوريير معروف بتخصصه بالتاريخ الدبلوماسي للشرق الأوسط، فله مؤلف أخر بعنوان "أنكلترا وروسيا ومسألة المضائق ١٨٤٤ ــ ١٨٥٦ (لم نستعمله لخروجه عن بحثنا)، وصفه من تابعوا المؤلف ومؤلفاته بالبحث والدراسة بأنه (عظيم المنزلة)(١). وجدير بالذكر أن هناك مصادر كثيرة تحتل أهمية لاتقل عن أهمية المصادر التي تم التنويه عنها، فمؤلفات كل من محمد شفيق غربال (Ghorbal)(٢) و A. wood و Hoskins وغيرهم تحتل مكانة ملموسة في هوامش الرسالة، لما حوته من معلومات مهمة.

ولعدم حصولنا على وثائق عثمانية، فقد حاولنا الأستفادة من الكتب العثمانية، فوجدنا ضالتنا في كتاب "تاريخ جودت" لمؤلفه أحمد بن إسماعيل جودت، لكننا لسوء الحظ لم نعثر في الترجمة العربية لهذا الكتاب إلا على جزئه الأول، بينما تركزت معظم حاجتنا في جزئه الثامن فأضطررنا الى ترجمة حاجتنا منه في ظروف مادية وأمنية لايعلم قسوتها إلا الله، فضلاً عن بعض المصادر العثمانية الأخرى.

أما المصادر باللغة الفرنسية فيأتي كتاب (تاريخ الأمبراطورية العثمانية) Historie De 'l Empire Ottoman لمؤلفه جونكييه Jonqiere وكتاب (تاريخ مصر) Historie De 'l Egypt لمؤلفه فيجينيه Vajunay من أهم الكتب التي اعتمدت عليها الرسالة في فصلها الثاني. أما الكتب الفارسية فيأتي في مقدمتها كتاب (تاريخ سياسي

---

(١) الوصف للمؤرخ جيمس أخموتي في بحث قام بترجمته ونشره د. عبدالرحمن زكي ، في المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع ، ١٩٥٧.

(٢) كتاب محمد شفيق غربال (Ghorbal) هو في الاصل دراسة تقدم بها الى جامعة لندن لنيل شهادة الماجستير.

ودبلماسي إيران) لمؤلفه علي أكبر بينا وكتاب (نابليون وإيران) لمؤلفه أيرج أميني، وقد أفدنا من هذين الكتابين في الفصل الرابع، بعد أن ثبتت حاجتنا الى معرفة أثر التوجه الفرنسي نحو بلاد فارس على توجهها نحو الدولة العثمانية، ومن ثم أثر ذلك على العلاقات البريطانية العثمانية.

ورفدت عدد من الكتب العربية والمعربة الرسالة بمعلومات مهمة في مقدمتها كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة) الذي أشرف عليه وقدم له أكمل الدين أحسان أوغلو وقام بترجمته صلاح سعداوي، فكانت حاجتنا منه في الفصلين الأول والثاني من الباب الأول من الكتاب،إذ كتب الأول المؤرخ فريدون امجن تحت عنوان (التاريخ السياسي للدولة العثمانية منذ قيام الدولة حتى معاهدة قينارجه الصغرى) ،وكتب الثاني المؤرخ كمال بكديللي تحت عنوان (الدولة العثمانية من معاهدة قينارجه الصغرى وحتى الأنهيار) وأفدنا أيضاً من الباب الثاني المعنون (نظم الدولة العثمانية) الذي كتبه المؤرخ محمد أبشيرلي، وما كتبه المؤرخ عبد القادر أوزجان في الفصل الرابع من الكتاب وعنونه بـ (النظم العسكرية العثمانية) وتأتي أهمية هذا الكتاب أنه في الأساس مجموعة بحوث كتبها مؤرخون أتراك، هم اساتذه متخصصون في الجامعات التركية، وأن ماورد فيه يمثل وجهة النظر التركية، الأمر الذي لا يمكن للباحث تجاهله. هذا إلى جانب كتب بعض المؤرخين الأتراك، منهم الميرالاي إسماعيل سرهنك في كتابه (حقايق الأخبار عن دول البحار) المطبوع في العام ١٨٩٤، وكان المؤلف يعمل ناظراً للمدارس الحربية في أسطنبول، وكتاب إبراهيم أفندي الطبيب الأول للعساكر الشاهانية الموسوم (المصباح الساري ونزهة القاري) المطبوع سنة ١٨٥٥.

أما الكتب الحديثة فيأتي في مقدمتها كتاب المؤرخ التركي خليل إينالجيك، الموسوم بـ (تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الأنحدار) وكتاب المؤرخ التركي يلماز أوزتونا الذي اسماه (تاريخ الدولة العثمانية)، ولما كان من الصعب الوقوف على تفاصيل السياسة البريطانية في الأقاليم العثمانية دون الرجوع الى مصادر اهتمت بهذا الشأن، افدناكثيراً من مؤلفات الشيخ عبد الرحمن الجبرتي فيما يتعلق بمصر، ولهذا المؤلف ومؤلفاته أهمية خاصة، فعلاوة على معاصرته للمرحلة موضوعة البحث، فأنه يعدّ من أثقف مثقفي جيله، كما أعتمدنا على مؤلفات الدكتور محمد فؤاد شكري الذي تأتي أهميته من اعتماد المؤلف في صياغتها على كم هائل من الوثائق الفرنسية والبريطانية.

أما عن العراق فقد أعتمدنا مؤلفات الدكتور زكي صالح والدكتور علاء نورس والدكتور عماد عبد السلام رؤوف والدكتور يقظان العامر، أما عن الخليج العربي فقد أعتمدنا كتاب لوريمر المعروف إلى جانب مؤلفات كل من جون كيلي والدكتور عبد الأمير

محمد أمين والدكتور صالح العابد، وحول الحجاز واليمن إعتمدنا مؤلفات كل من الدكتور فالح الحمدي والدكتور جاد طه، وحول الشام أعتمدنا مؤلفات الدكتور أحمد عزت عبدالكريم والدكتور عبدالكريم غرايبه، أما القوى الأقليمية المجاورة لاسيما بلاد فارس فقد أفادتنا في الوقوف عليها مؤلفات الدكتور خضير مظلوم البديري، وغيرهم(١).

وزودت البحوث العربية والأجنبية الرسالة بمعلومات قيمة، فمن البحوث العربية بحث الدكتور هاشم التكريتي (الصراع الروسي الفرنسي في البلقان في مطلع القرن التاسع عشر) وبحث الدكتور باسم حطاب الطعمه (الموقف الرسمي العثماني من الأحتلال الفرنسي لمصر) في طليعة ما أستفدنا من بحوث. أما الأجنبية، فمنها بحث كراولي Crawley. C. W. (الشرق الأدنى والدولة العثمانية ١٧٩٨-١٨٣٠)

The near east and the Ottoman Empire 1798 -1830

وكذلك بحث براون المعنون (توازن القوى خلال السنوات ١٧٩٣و ١٨١٤) The balance of power during the years 1793- 1814 المنشوران في موسوعة كامبردج، الذي أفاد البحث كثيراً.

وقد واجهتنا صعوبات عديدة في اعداد هذه الرسالة، تتقدمها ندرة الوثائق الخاصة بالموضوع لاسيما العثمانية منها، بعد تعرض المؤسسات الرسمية المحفوظة فيها هذه الوثائق إلى عمليات التدمير، وهنا لابد أن أدون أن حالة الأفتقار الى الوثائق العثمانية دفعنا الى الحرص على الأستخدام الأمثل للوثائق البريطانية والكتب العثمانية الرصينة أو البحوث التي كانت مادتها الأساسية مستقاة من الوثائق العثمانية فضلاً عن الأعتماد على بحوث عدد من المؤرخين الأتراك والإنكليز، و مادونه بعض من عاصروا الأحداث.

وبعد فالكمال لله وحده، فان وجد أساتذتي ما يؤاخذ عليه في البحث، فحسبي أنني عند أول خطوة وان وجدوا فيه ما يُفيد فالفضل لله عز وجل.

والله للجميع ولي التوفيق

الباحث

---

(١) يمكن الاطلاع على أسماء مؤلفاتهم في قائمة المصادر.

الفصل الأول

العلاقات البريطانية -العثمانية حتى العام ١٧٩٨

أولا. صلات بريطانيا المبكرة مع الدولة العثمانية:

تعد إنكلترا بلداً متأخراً في مجال الاستكشافات الجغرافية والتجارة فيما وراء البحار مقارنة بأسبانيا والبرتغال [١]حين تولت الأولى النشاط التجاري مع القارة الأمريكية، وتزعمت الثانية التجارة الشرقية[٢]، ومع اختفاء أسباب ذلك التأخر[٣] وما شهدته البلاد من تحولات سياسية خطيرة تمخضت عنها تطورات اقتصادية واجتماعية ملموسة، كان لها أبلغ الأثر بأنتعاش التجارة الخارجية[٤].

وقد كان إعتلاء ملوك أسرة آل تيودور عرش إنكلترا في مقدمة تلك التحولات السياسية، إذ أثرت تأثيراً بالغاً في واقع البلاد الأقتصادي والأجتماعي ونقلتها إلى

---

(١) إبراهيم، عبد الفتاح، على طريق الهند، جمع وتحقيق شهاب احمد الحميد، تقديم كمال مظهر احمد، (دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، بغداد، ٢٠٠٤)، ص٤٢.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول النشاط الأسباني والبرتغالي يراجع:

Arnold.Divad, The Age of Discovery 1400-1600,(London,N.D), PP.14 -39.

(٣) عانت انكلترا طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر من مشكلات كثيرة داخلية وخارجية، اشغلتها كثيراً عن عالم الأستكشافات والتوجه نحو العالم البعيد، ومن هذه المشاكل صراعها مع فرنسا عشية حرب المئة عام. ثم انشغلت انكلترا بحرب المئة عام (١٣٣٧-١٤٥٣) مع فرنسا، ثم الموت الأسود (الطاعون) (١٣٤٨-١٣٤٩) ثم الحرب الأهلية المسماة بحرب الوردتين (١٤٥٥-١٤٨٥) بين عائلتي يورك ولانكستر فأسهم كل ذلك في اعاقة تجارتها الخارجية فيما وراء البحار. للتفاصيل حول كل ما سبق يراجع:

Lunt. M. E, History of England, Third Edition,(New York, 1947), PP.222-232, 261-281; Hayes. J. Carlton, History of Europe, Vol. V, (New York, 1949), PP, 342-352;

التكريتي، هاشم صالح، الصراع الدبلوماسي بين انكلترا وفرنسا قبيل حرب المئة عام ١٣٢٩-١٣٣٧. المجلة التاريخية العراقية، العدد الرابع،(بغداد، ١٩٧٥)، ص٣٤٢-٣٦٥؛ اليوسف، عبد القادر احمد، العصور الوسطى الأوربية ٤٧٦-١٥٠٠،(بيروت، ١٩٦٧)، ص٢٥٩-٢٧٢ .

(٤) أحمد، كمال مظهر، النهضة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٩، ص٣٢؛ القيسي، محمود عبد الواحد، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في الهند ١٦٠٠-١٦٦٨، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٣، ص١٩.

طور أكثر تقدماً وانفتاحاً على العالم الخارجي[١] وبما إن أرتباط إنكلترا بالأصقاع البعيدة في العالم تطلب اهتماماً بالأسطول والتجارة الخارجية والمعاهدات التجارية، فقد عّبر الملوك الأوائل من هذه الأسرة[٢] عن اهتمامهم بخطوات جدية انصبت في خدمة هذه الميادين[٣].

جاء في مقدمة المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية التي تمخضت عن ذلك التحول السياسي، هو النمو المطرد لدور الطبقة البرجوازية الإنكليزية التي وصفت في تلك المرحلة بأنها ((متكاملة من جميع الوجوه تقريباً)) [٤] إذ أيقنت هذه الطبقة بأن من مصلحتها تدعيم نفوذ الملكية ليسود الاستقرار مع ضمان عدم العودة للحرب الأهلية، فتتمكن من ممارسة نشاطها التجاري وتضاعف ثرواتها[٥].

وفي ظل هذا التقارب بين أهداف الطبقة البرجوازية وأهداف الملكية كان لا بد ان يسود المذهب التجاري (الماركنتيلي)[٦] لتنظيم الحياة الإقتصادية لاسيما وان هذه الرأسمالية الحديثة لم تكن تستطيع إن تصل إلى ما ترنو إليه من أهداف واسعة

.

---

(١) هادي، جاسم محمد، التغلغل البريطاني في الهند ١٦٦٨-١٧٦٤. اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص١٦.

(٢) المقصود بهم الملوك الذين حكموا انكلترا قبل الملكة اليزابيث وهم هنري السابع (١٤٨٥-١٥٠٩) وهنري الثامن (١٥٠٩-١٥٤٧) وادوارد السادس (١٥٤٧-١٥٥٣) والملكة ماري (١٥٥٣-١٥٥٨).

(٣) عن خطواتهم يراجع: القيسي ، المصدر السابق، ص١٩-٢٥.

(٤) أحمد، النهضة، ص٨.

(٥) فشر، هربرت، اصول التأريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية الى الثورة الفرنسية، ترجمة زينب عصمت راشد، واحمد عبد الرحيم مصطفى،(دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٢)، ص١١٦.

(٦) الماركنتيلية (Mercantilism): نظام اقتصادي واصطلاح متداول في اوربا منذ القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر، أي خلال مرحلة انحلال النظام الأقطاعي، يهدف الى تنظيم الحياة الإقتصادية من صناعة وتجارة واحتكارات خارجية من قبل الدولة. ويقوم ذلك على اساس ان الذهب والفضة هما عماد الثروة بالنسبة للدولة ولهذا يجب توفيرها بكميات كبيرة في خزينة الدولة لزيادة هيبتها، ويأتي كل ذلك عن طريق تنشيط التجارة الخارجية ونهب المستعمرات وشن الحروب التجارية.

The New Encyclopedia Britannica, Vol.8, (The University of Chicago, 1968), P. 26.

لواعتمدت على ثرواتها المحلية فقط [١]، لأن إنكلترا كانت تنقصها الكثير من مصادر الثروة التي لم تكن موجودة فيها أصلا، مما حتم عليها ممارسة التجارة مع الشرق[٢].

ومن الأسباب الأخرى التي تركت أثرها في الأندفاع الإنكليزي نحو التجارة الشرقية، هي ما تمخضت عنه حركة الإصلاح الديني من آثار مهمة في هذا السياق. أولها انتشار المذهب البروتستانتي في إنكلترا[٣] الذي جعل الإنكليز لا يعترفون بمصادقة البابا اكسندر بورجيا (Accender Borgia) على مضامين معاهدة تورد سيلاس (Tord Selas) التي قسمت المناطق المكتشفة بين دولتين هما أسبانيا والبرتغال[٤] بل تجاوز الرد الإنكليزي بعدم الإعتراف بهذه المعاهدة إلى ((التساؤل عن الحق الذي يخول البابا وهو من اصل أسباني تقسيم العالم بين الأسبان والبرتغاليين)) [٥] وعززت هذا الشعور الإنكليزي جاذبية الثروات التي كانت تصل الى لشبونة[٦].

---

(١) كبة، إبراهيم، دراسات في تاريخ الأقتصاد والفكر الإقتصادي، ج١،(ط٢، بغداد، ١٩٧٧) ص٥٠٢-٥٠٧.

(٢) صالح، محمد محمد، اوربا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠- ١٧٨٩،(بغداد، ١٩٨٢)، ص١٥٧-١٥٨.

(٣) عن انتشار المذهب البروتستانتي يراجع: بالمر. ر. روبرت، تاريخ العالم الحديث، ترجمة محمود حسن الأمين، ج١،(بغداد، ١٩٦٣)، ص١٢٨-١٥١؛ فشر، اصول التاريخ الأوربي الحديث...، ص١١١-١٣١.

(٤) وقع ممثلوا اسبانيا والبرتغال على هذه المعاهدة في السابع من حزيران ١٤٩٤، وقد نصت على اعطاء البرتغال كل ما اكتشف ويكتشف شرقي خط يرسم بطول المحيط الأطلسي على بعد ٣٧٠ ميلا غربي جزائر الرأس الأخضر، في حين يعطي لأسبانيا كل جزء يقع غربي هذا الخط وقد سنت البابوية مراسيم مؤيدة لما ورد في المعاهدة في الأعوام ١٥٠٦ و ١٥١٤. ك. م. بانيكار، اسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، (القاهرة، ١٩٦٢)، ص٥٥؛ بوندا ريفسكي، الغرب ضد العالم الإسلامي من الحملات الصليبية حتى أيامنا، ترجمة الياس شاهين،(دار التقدم، موسكو، ١٩٨٥)، ص١٧ ؛ فشر أصول التاريخ الأوربي الحديث...، ص٧٨.

(٥) عبد الحميد البطريق وآخرون، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا،(مطبعة الرياض، الرياض ، د. ت)، ص٥١ ؛ فشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث...، ص١٩.

(٦) بولارد، ريد، بريطانيا والشرق الأوسط من اقدم العصور حتى ١٩٥٢، ترجمة حسن احمد السلمان، (مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٦)، ص٢٠؛ القيسي، المصدر السابق، ص١٩

ومن الآثار الأخرى التي تركتها حركة الإصلاح الديني وصبت نتائجها في تقوية إنكلترا واتجاهها نحو التوسع الأقتصادي، هو الأنفصال الكنسي الذي حدث في عهد هنري الثامن(Henrey VIII) (١٥٠٩-١٥٤٧). فقد توقف بذلك سيل الأموال التي كانت تذهب من انكلترا الى البابوية في روما[١] . وتزداد قيمة تلك الأموال عندما نعلم بأن عوائد البابوية من إنكلترا في سنة ١٣٧٦مثلاً كانت أكثر من ميزانية الملك بخمسة أضعاف[٢]. وبإضافة هذا الرقم إلى عوائد أراضي وخزائن ما يقارب ستمائة دير تابع للبابوية حُل في إنكلترا تكون الملكية قد سيطرت على ما يقارب خُمس الأراضي الزراعية فضلاً عن مقادير كبيرة من الثروة المنقولة، فترتب على كل ذلك زيادة قوة الملكية وإقدامها على عدة مشروعات منها قيام هنري الثامن بناء أسطول قوي شكل الأساس للقوة البحرية الإنكليزية[٣] وبطبيعة الحال لا بد وأن يترك كل ذلك أثره في تشجيع التجارة الخارجية مع العالم البعيد[٤]. وكان لسيادة المذهب الماركنتيلي وزيادة قوة الملكية بالشكل الذي يجعلها قادرة على حماية مصالح تجار البلاد، فضلاً عن تطورات المدينة الإنكليزية وانتعاش الصناعة وانتشار المعامل الحديثة[٥] قد ترك أثره على حساب الزراعة فقد انتشرت في انكلترا حركة سميت بحركة (التسييج Enclosures) وسببها تفضيل أصحاب الحقول تحويل أراضيهم الزراعية إلى مراعي للأغنام بهدف التجارة المربحة بأصوافها، طالما وان استغلال الأرض بهذا الشكل يوفر عوائد أكثر من فوائد زراعتها بمقدار الضعف[٦] ولم تتدخل الحكومة الإنكليزية

---

(١) البطريق، المصدر السابق، ص١٩٠.

(٢) اليوسف، المصدر السابق، ص٣٠٨؛ التكريتي، هاشم، الصراع الدبلوماسي بين انكلترا وفرنسا...، ص٣٥٠.

(٣) في عهد الملك هنري الثامن تم تأسيس نظام دقيق لقيادة القوة البحرية ومؤلف من القائد الأعلى ومجلس البحرية ومراقب الحسابات بموجب قانون صدر في عام ١٥٤٦ وكان هذا النظام النواة لقيام البحرية الملكية (Royal Navy) في عهد الملك شارل الثاني(Charls II) في سنة ١٦٦٠. القيسي، المصدر السابق، ص٢٣.

(٤) فشر، أصول التأريخ الأوربي الحديث...، ص١١٦.

(٥) للوقوف على تطور الصناعة الأنكليزية في تلك المرحلة يراجع:

Lunt, OP. Cit, PP. 290 – 291.

(6) Ibid , p. 291;

البطريق وآخرون، المصدر السابق، ص١٩٢؛ فشر، اصول التاريخ الأوربي الحديث...، ص١١٤-١١٥.

في منع ذلك لأن هذه العوائد كانت خاضعة للتشريعات الضرائبية التي ساهمت في رفد الخزينة الإنكليزية بالأموال[١]، الأمر الذي شجع هذه التجارة حتى وصفت بأنها ((أحد أعمدة الدولة)) و ((الثروة الرئيسة للأمة))[٢] وان لها ((منزلة رفيعة في الحياة الإنكليزية)) وعليه ((يعد تشجيعها من الأهداف الوطنية السامية))[٣].

وكانت تجارة الصوف هذه توفر اتصالاً إنكليزيا – عثمانيا في حالتين: الأولى هي تصدير هذه المنسوجات الإنكليزية إلى الدولة العثمانية من خلال الطريق التجاري الشمالي[٤]، أما الحالة الثانية فهي حاجة صناعة الصوف الإنكليزي لبعض مستلزمات إنتاجه وتأتي في مقدمتها مادة الشب (لتثبيت ألوان النسيج)، التي أصبحت مع وفرة وتطور صناعة الصوف الإنكليزية في نهاية القرن السادس عشر حاجة ملحة[٥]، فكان المصدر الرئيس الذي يتزود منه التجار الإنكليز بهذه المادة هي مدينة (مغنيسية Magnisa) العثمانية في شمال غرب الأناضول بواسطة التجار الجنويين أو البنادقة[٦]، أو عن طريق وساطة تجار جمهورية راجوزه[٧]، فضلاً عن وجود

---

(١) صالح،محمد محمد ، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٢)نقلاً عن: القيسي، المصدر السابق، ص٤٩.

(٣)نقلاً عن: امين، عبد الأمير محمد، المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر واثرها في الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد، ٨،(البصرة ١٩٧٧)، ص١٩.

(٤) كان هذا الطريق يبدأ من انكلترا إلى الأراضي المنخفضة ثم الى المدن الألمانية الشمالية ليتفرع منه فرعان الأول الى مناطق البلطيق – روسيا – بخاري وسمر قند ثم يتفرع الى ايران والى الهند والصين أما الفرع الثاني فيذهب الى سواحل البحر ألأسود وإلى اسطنبول. إبراهيم،عبد الفتاح ،المصدر السابق، ص٤١ ؛ صالح، محمد محمد، المصدر السابق، ص١٣١.

(٥) كانت الحكومة الإنكليزية ومنذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر قد منعت تصدير الصوف الخام إلا بعد نسجه وتصنيعه بهدف حرمان الدول الأخرى من فائدة اعادة تصنيع الصوف الإنكليزي فتشكل منافساً لها، وعليه فكلما تطورت صناعة الصوف الأنكليزي زادت الحاجة لمادة الشب. بولارد ، المصدر السابق، ص٩ ؛ صالح، محمد محمد، المصدر السابق، ص١٣٢.

(٦) حصل الجنويون منذ العام ١٣٥٢ على امتياز من الدولة العثمانية باحتكار طويل المدى لأستخراج حجر الشب في هذه المدينة اما االبنادقة فقد منحوا نفس الأمتياز في العام ١٥٤٦ مقابل ١٢٥ الف دوقية ذهبية. خليل اينالجيك، تأريخ الدولة العثمانية من النشوء الى ألأنحدار، ترجمة د. محمود الأرناؤوط،(دار المدار ألأسلامي، بيروت، ٢٠٠٢)، ص٢٠٩، ٢١٣.

(٧) كانت هذه الجمهورية تابعة اسمياً لمملكة المجر وبعد دخول العثمانيين لبلغراد في العام ١٥٢١ اصبحت هذه الجمهورية تدفع الجزية للدولة العثمانية، وقد لعبت دور الوسيط التجاري بين الدولة = =العثمانية واوربا خلال فترة الحروب بين العثمانيين والبنادقة في السنوات ١٤٦٣ – ١٤٧٩، ١٤٩٩-

كميات أخرى من الشب في مدينتي طرابزون وأزمير العثمانيتين، ومسلك الإنكليز إليهما الطريق الشمالي ذاته[١].

ولم تكن تجارة الصوف هي السبيل الوحيد للأتصال بين الإنكليز والعثمانيين، بل تعدى ذلك إلى مواد أخرى كالسلاح الانكليزي[٢] أو مواد انتاجه مثل الحديد والصلب والنحاس، أذ أخذت حاجة العثمانيين إليها بالتنامي أواخر القرن السادس عشر [٣]، وفي المقابل لم تقتصر حاجة إنكلترا من الدولة العثمانية على مادة الشب فحسب، بل كانت هناك مواد أخرى تمثلت بالتوابل والحرير والعاج والقهوة وغيرها من البضائع التي لا تنتجها أوربا[٤]. وبما إن البرتغال كانت قد احكمت سيطرتها على طريق رأس الرجاء الصالح آنذاك، فلم يكن للإنكليز من سبيل سوى الاستمرار بأستخدام الطريق الأوسط المار عبر الدولة العثمانية، وهو الطريق الذي سلكه الإنكليز لأول مره منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر[٥].

أضحت جميع هذه التحولات مع الرغبة في الاستيراد والتصدير، واقتصار الطريق التجاري الذي يمكن للتاجر الإنكليزي أن يسلكه على الطريق المار

١٥٠٣، ١٥٣٧-١٥٤٠ ، ١٥٧٠- ١٥٧٣. المحامي، محمد فريد بك، تأريخ الدولة العلية العثمانية، (دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧)، ص٨٠؛ أينالجيك، المصدر السابق، ص٢١٠ – ٢١٣.

(١) ابراهيم، عبد الفتاح، المصدر السابق، ص٤٠؛ صالح، محمد محمد، المصدر السابق، ص١٣٢.

(٢) أبشيرلي، محمد،" نظم الدولة العثمانية"، ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)، المجلد الاول، إشراف: أكمل الدين احسان أوغلو، ترجمة صلاح سعداوي،(اسطنبول، ١٩٩٩)، ص٢٢٧.

(٣) فنشتاين، جيل، " الأمبراطورية في عظمتها، القرن السادس عشر "ضمن كتاب (تأريخ الدولة العثمانية) ج١، اشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي،(دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٣)، ص٣٣٦، ومن الجدير بالذكر ان اهتمام الحكومة العثمانية بصناعة السلاح اخذ يتنامى بعد ان شكلت وحدات مقاتلة تعتمد استخدام السلاح الناري والمتمثلة بفرق السراجه والصكبان التي اصبحت بعد عام ١٥٩٠ تصنف على انها أفضل وحدات الجيش العثماني. أينالجيك، المصدر السابق، ص٧٩.

(٤) الخطيب، مصطفى عقيل، التنافس الدولي في اخليج العربي ١٦٢٢ - ١٧٦٣،(المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨١)، ص١٣١.

(٥) ويتمثل ذلك بوصول السفينة الأنكليزية (كاثرين Cathren) تحمل التاجر الأنكليزي (روبرت ستورمي R.Stormy) في عام ١٤٥٧متنقلاً بين عدد من مناطق البحر المتوسط، لكن هذه السفينة لم تعود الى ارض الوطن بسبب كمين اعده الجنويون لها ولم يسجل بعد ذلك عن وصول أي سفينة انكليزية حتى العام ١٥١١.

Wood, Alfred Cecil, History of Levant company, Second Edition, (London, 1964), P. 2.

بالأراضي العثمانية. الأساس المادي الجيد لأفراد من الطبقة الوسطى الإنكليزية لفتح قنوات اتصال مع الحكومة العثمانية. وان أوضح الإشارات التي تعبر عن الأتصال الإنكليزي العثماني ضمن هذه المرحلة المبكرة هو الأمتياز التجاري الذي حصل عليه التاجر الإنكليزي (أنطوني جينكسون A.Jenkinson) من السلطان العثماني سليمان الأول (١٥٢٠ ــ ١٥٦٦) في عام ١٥٥٣[١] الذي يعتقد بأنه أول تاجر إنكليزي وطأت قدمه الأراضي العثمانية في العصور الحديثة[٢].

وعلى الرغم من حصول أنطوني جينكسون بموجب هذا الأمتياز على إذن من السلطان بالمتاجرة في الأراضي العثمانية على قدم المساواة مع التجار الفرنسيين والبنادقه، وان لا يدفع أكثر من الضريبة الرسمية والبالغة ٥% من قيمة البضاعة وتوصية حكام الأقاليم بعدم فرض ضرائب إضافية، وبتقديم العون والمساعدة والمؤونة له أو لمن ينوب عنه عند الحاجة[٣]إلا إن هذه الخطوة لم تفتح عهداً تجارياً مهماً بين إنكلترا والدولة العثمانية[٤]، ولعل أسباب ذلك تعود إلى إن هذا الأمتياز لم يتعد كونه أمتيازاً خاصاً لم يتبناه البلاط الإنكليزي، كما لم تعقبه مراسلات رسمية مباشرة بين الحكومتين، وبقدر ما يكون هذا السبب صحيحاً، إلا إن أمراً آخراً يصلح أن يكون تفسيراً لعزوف التجار الإنكليز عن السوق العثمانية في تلك المرحلة المبكرة ألا وهو رغبة التجار الإنكليز بالحصول على التوابل بسعر ارخص ولذلك نقلوا اهتمامهم إلى مناطق أخرى، وتفسير ثالث يمكن أن يدعم التفسيرين السابقين وهو قوة المنافسة التي أبداها التجار البنادقة والجنويين إلى حدود العام ١٥٧٠ وما بعد ذلك للتجار الفرنسيين بصورة واضحة[٥].

---

(1) Williams.A, Britain and France in the Middle East and North Africa 1914 – 1967,(New York 1968) ,P. 2.

(٢) صالح، زكي، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤، دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الأستعماري، (بغداد، ١٩٦٨)، ص٣٥.

(٣) للأطلاع على نص الأمتياز يراجع:

Hurewitz. J C. Diplomacy in the Near and Middle East , A .Documentary Record 1535 – 1914 , Vol. I,(New York , 1956) , P. 5-6 ; Hurewitz. J. C. The Middle East and North Africa in world Politics , A documentary Record , Vol. I , Second Edition, (London , 1975) ,P. 5-6.

(٤) أينالجيك، المصدر السابق، ص٢١٤، صالح، زكي، المصدر السابق، ص٣٥.

(1) William, Basil. The British Empire, Second Edition, London, 1944, P.17;

وإذا كانت تلك المرحلة قد خلت من أية أهداف إنكليزية واضحة في الدولة العثمانية، مما دفع بعض المؤرخين إلى القول ((هناك غموضاً يحجب بداية العلاقات البريطانية العثمانية))(١)، بيد إن وضوح معالم تلك الأهداف جاء باعتلاء الملكة إليزابيث الأولى (١٥٥٨ – ١٦٠٣)(٢) عرش إنكلترا، حيث شهدت البلاد في عهدها تطورات ملحوظة في الأنشطة التجارية والمغامرات البحرية، مما شجع على بدء تلك العلاقات(٣).

كان للتراكم المعرفي عن الشرق دوره في التشجيع على البدء في تلك العلاقات، إذ قام السير (وليم هاربورن W.Harboren) برحلة استطلاعية تجارية إلى العاصمة العثمانية اسطنبول عام ١٥٧٨(٤) كما نقل البحار (فرانسيس دريك F.Dreak) انطباعاته الواسعة عن تجارة الشرق للمدة ١٥٧٧ – ١٥٨٠(٥)؛ فضلاً عن رحلات التاجر الإنكليزي (جون نيوبري J.Newberie)، التي تعد من الرحلات الإنكليزية المشهورة، إذ قام برحلته الثانية عام ١٥٨٠ بزيارة إلى حلب وبغداد والبصرة وهرمز التي عاد منها إلى أسطنبول واصفاً تلك المناطق بأنها مزدحمة بالتجار(٦).

علاوة على ما جاءت به هذه الرحلات، فقد كانت ظروف التجار الإنكليز في الدولة العثمانية محفزاً آخر للحكومة الإنكليزية لإقامة علاقات تجارية مع الدولة العثمانية، فقد كان التجار الإنكليز يمارسون نشاطهم التجاري في الدولة العثمانية في

بولارد، المصدر السابق، ص١٠؛ اينالجيك، المصدر السابق، ص١٤- ١٥.

(2) Wood , Op. Cit , P. 1.

(٢) ولدت في العام ١٥٣٣ لأبيها الملك هنري الثامن من زوجته آن بولين،حكمت انكلترا لمدة اربعة عقود تقريباً شهدت خلالها البلاد تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية. للمزيد من التفاصيل حولها يراجع: www.enerjiychatlane.ry/pages/queenelizabeth The first. html

(٣) هادي، المصدر السابق، ص١٦؛ بولارد، المصدر السابق، ص١٩.

(5) Searight. Sarah, The British in the Middle East (London , 1969), PP. 16-17; Wood , Op. Cit , PP. 8-14.

(٥) حاتم، صالح محمد، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية في الهند والمحيط الهندي (١٦٠٠-١٧٥٦) مجلة المعلم الجامعي،جامعة البصرة، العدد٣، ١٩٩٩، ص٢٠.

(٦) لونكريك، ستيفن همسلي، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، (بغداد، ط٤، ١٩٦٨)، ص٣٩٧ ؛ بولارد، المصدر السابق، ص ١٥-١٦؛ القيسي، المصدر السابق، هامش (٤)، ص٣٥؛ الخطيب، المصدر السابق، ص١٣١.

ظل العلم والحماية الفرنسية طبقاً للمعاهدة الفرنسية العثمانية لعام ١٥٣٥[١]،وظل الأمر على هذا المنوال طالما لم تكن التجارة الإنكليزية مع الدولة العثمانية كبيرة ومربحة، غير انه تحت ضغط التجار الإنكليز وتنامي الشعور القومي الإنكليزي خلال حكم الملكة إليزابيث، فقد أصبحت مسألة ممارسة التجارة الإنكليزية تحت العلم والحماية الفرنسية امراً غير مقبول[٢].

وكانت هناك عوامل أخرى شجعت التجار الإنكليز للتوجه نحو السوق العثمانية، ففي الوقت الذي أخذت فيه كميات كبيرة من الذهب والفضة تتدفق إلى غرب أوربا، فقد كانت السوق العثمانية بحاجة شديدة إلى هذين المعدنين، مما حفز التجار الإنكليز على ممارسة هذه التجارة المربحة آنذاك[٣] وتزداد قيمة هذا العامل بعد الأخذ بنظر الاعتبار أثر عامل آخر هو الضعف والانحلال الذي اخذ يدب في تجارة شركة روسيا وقتذاك[٤].

كما ان التغيير الذي طرأ على ميزان القوى في الشرق الأدنى منذ نهاية عقد السبعينات من القرن السادس عشر كان عاملاً مؤثراً في التقارب الإنكليزي العثماني، ويتمثل ذلك بالنتائج التي أفرزتها الحرب العثمانية مع بلاد فارس عام ١٥٧٧، اذ تمخضت عنها سيطرة العثمانيين على أذربيجان وشيروان[٥]، الأمر الذي يعنى عملياً

---

(2) Miller.W, The Ottoman Empire and its Successors 1801 -1927, (London,1966) P. 2.

وللأطلاع على نص المعاهدة الفرنسية العثمانية يراجع:

Hurwitz, J.C, Diplomacy in the Near and Middle East... , P. 1-5; Hurwitz, J.C. The Middle East and North Afriac in world Politics..., p1-5.

(٢) العامر، يقظان سعدون، نشاط شركة الهند الشرقية الإنكليزية في البصرة،(مطابع التعليم العالي، البصرة،١٩٩٠)، هامش (٢)، ص١٢٧.

(٣) للتفاصيل يراجع: الوائلي، طاهر يوسف، خصائص الأقتصاد العثماني خلال النصف ألأول من القرن السادس عشر، مجلة دراسات نجفية، العدد الأول، (الكوفة ، ٢٠٠٤)، ص٧١.

(٤) القيسي، المصدر السابق، ص٣٥، ومما يجدر ذكره إن شركة روسيا تأسست بموجب المرسوم الذي منحته الملكة ماري الى التاجر الأنكليزي ريتشارد فان R.chan في العام ١٥٥٣، ثم منحت= =الشركة حقا مطلقا في احتكار التجارة في العام ١٥٥٥. امين، عبد الأمير محمد، الشركات الأنكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد (١٢)، (بغداد،١٩٨٠)، ص١٩٠ ؛ الخطيب، المصدر السابق، ص١٢٩-١٣٠.

(٥) للتفاصيل حول تلك الحرب ونتائجها يراجع: شهباز أزاد مهر، تاريخ ايران از د بروزتا أمروز، (باربد، تهران ١٣٨٣)، ص٣٩٧-٤٠٤ ؛ المحامي، المصدر السابق، ص١١٤ -١١٧.

عرقلة الطريق التجاري بين روسيا وهرمز عبر بلاد فارس بسبب النفوذ العثماني الجديد في المنطقة فكان ذلك كفيلاً بأن تتوجه أنظار الإنكليز نحو الدولة العثمانية(١).

وفي السياق ذاته لكن على جهة الغرب، فأن العلاقات بين إنكلترا وأسبانيا كانت أحدى أهم ميزاتها حينذاك هي التوتر المستمر بين الطرفين(٢) وتزامن ذلك مع توتر العلاقات العثمانية الأسبانية(٣) وتأسيساً على ذلك أصبح (العداء لأسبانيا أمرٌ يفرض التقارب على كلا الطرفين) على حد قول المؤرخ التركي اينالجيك(٤).

وفي إطار العلاقات العثمانية الفرنسية فأن الفتور أخذ يدب فيها منذ العام ١٥٧٥ بسبب الخلاف حول مسألة حكم بولونيا(٥) فكان ذلك بحد ذاته فرصة حرصت الملكة إليزابيث على استغلالها للتقرب من الباب العالي والتخلص من الحماية الفرنسية(٦).

هذا فيما يتعلق برغبة الملكة إليزابيث، أما فيما يتعلق برغبة الدولة العثمانية فان استعمال طريق رأس الرجاء الصالح وتحول طرق التجارة من المتوسط إلى الأطلسي، وما تركه هذا الأمر من انعكاسات مؤثرة على الأقتصاد العثماني إلى الحد الذي عدّ بعض المؤرخين اثر هذا العامل حاسماً في تدهور الوضع الأقتصادي العثماني(٧) وبمعالجة عثمانية للخروج من هذا الوضع فقد أخذت الدولة العثمانية تشجع مثل هذه التقاربات لتعيد النشاط التجاري لموانئها الشرقية، كمحاولة اجتهادية لتحويل تجارة الهند من الأطلسي إلى البحر المتوسط مرة أخرى(٨). على أن هناك من يفسر هذا التشجيع العثماني لهذا التقارب أن الدولة العثمانية أرادت أن تُفهم ملوك

---

(١) اينالجيك، المصدر السابق، ص٢١٥.

(3) Kaman. Henry Spain 1469-1714 A Society of Conflict , Second Edition, (London, 1991), PP. 131 – 132 ;

فشر، اصول التاريخ الأوربي الحديث...، ص٢٢١-٢٢٨.

(٣) المحامي، المصدر السابق، ص ١١٣ – ١١٥.

(٤) اينالجيك، المصدر السابق، ص٢١٥.

(٥) المحامي، المصدر السابق، ص١١٣.

(٦) خوري، أميل وآخرون، السياسة الدولية في المشرق العربي من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٩٥٨، ج١، (بيروت، ١٩٥٩)، ص١٧.

(٧) الوائلي، طاهر، المصدر السابق، ص١٧.

(٨) الراقد، محمد عبد المنعم، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي،(مؤسسة شباب الجامعة للطباعة ،الإسكندرية، ١٩٧٢)، ص٣٦٨ – ٣٦٩.

أوربا المسيحيين الذين يعادونها بدافع الدين إن صداقتها مفيدة، وان من يتقرب إليها يجنى امتيازات كبيرة[١]، ويمكن أن ندرك ذلك أيضاً من قول الصدر الأعظم داماد باشا (١٥٨٢-١٥٨٤) تعليقاً على حالة التنافس بين الممثلين الإنكليزي والفرنسي في الدولة العثمانية في عام ١٥٨٣ ((ليس هناك مبرر لهذا الشجار، طالما إن الباب العالي يرحب بكل من يرغب في السلام))[٢]، بينما يؤكد القسم الأخير من المؤرخين أن الدولة العثمانية كانت جادة في تشجيع هذه التقاربات إلى الحد الذي جعلها تمنح هذه الدول امتيازات كبيرة[٣].

في ظل هذه الظروف فقد خلصت الحكومة الإنكليزية الى ضرورة بذل المزيد من النشاط الدبلوماسي الجدي لتوسيع علاقاتها التجارية مع الدولة العثمانية، وعليه فقد دخل مبعوث الملكة إليزابيث إلى الدولة العثمانية السير وليم هاربورن بمباحثات مع العثمانيين انتهت في حزيران ١٥٨٠ بتوقيع أول وثيقة رسمية بين الدولتين سمح بموجبها للتجار الإنكليز المتاجرة في الأراضي العثمانية على قدم المساواة مع الفرنسيين والبنادقة[٤] وتضمنت هذه الوثيقة اثنتين وعشرين مادة، أشارت المادة الأولى منها إلى دعوة السلطان مراد الثالث(١٥٧٤-١٥٩٥) للتجار الإنكليز لارتياد الأراضي العثمانية بقوله ((رغبتنا هي ان نمنح شعب الملكة وتجارها حرية المجيء إلى إمبراطوريتنا بأمن وسلام. مع كل مالديهم من بضاعة أو تجارة دون أية عقبات، وبامكانهم القيام بعمليات البيع والشراء حسبما متعارف عليه في بلادهم، ولهم حرية استخدام الطرق التجارية وممارسة تقاليدهم الخاصة)). أما ما ورد في المادة الثانية فهو توضيح آلية تحقيق ما جاء في المادة الأولى، أما المواد (٣،٤، ٦، ١٩) فقد غطت قضايا رسو السفن الإنكليزية في الموانيء العثمانية، وتقديم المساعدة لهذه السفن في حالة تحطمها او تعرضها للعواصف قرب السواحل العثمانية، والتوجيه

---

(١) خوري، المصدر السابق، ص١٥.

(4)Quoted in: Wood, Op. Cit, P. 13.

(٣) سوسه، احمد نسيم، التعليل التأريخي لمنشأ الأمتيازات الأجنبية في الأمبراطورية العثمانية، جريدة السياسة،بغداد، العدد، ٣٨٠، ١٢ شباط ١٩٣١؛ العدد ٣٨٦ في ٢٢ شباط، ١٩٣١؛ جريدة نداء الشعب، بغداد ، في ١٣ و ٢٠ كانون الثاني، ١٩٣١.

(1) Smith. G.R. Alon, The Emergence of A Nation State, The Common wealth of England 1529 – 1660, Second Edition, (London 1997),P.105;Wood,Op .Cit ,P. 10;

فنشتاين، المصدر السابق، ص٣٣٦.

بعدم تعرض السفن العثمانية للسفن والملاحين الإنكليز، أما المادة (١٣) فقد أكدت على مساواة الإنكليز في امتيازاتهم مع غيرهم من تجار الدول الأخرى، كما ركزت المواد (١٥، ١٧) على قضايا التعيين القنصلي وصلاحيات القناصل،أما المواد الأخرى فقد غطت أمور ارتكاب الجرائم والتقاضي وغيرها من الأمور الخاصة بشؤون الرعايا الإنكليز في الدولة العثمانية[١].

وإذا كانت الملكة إليزابيث قد فشلت في تحقيق هدفها السياسي، من وراء هذه الوثيقة، وهو نسج تحالف إنكليزي – عثماني موجه ضد أسبانيا[٢] لكنها في الوقت ذاته استطاعت ان تحقق ما كانت ترنو إليه وهو تثبيت نفوذ إنكلترا الاقتصادي في الدولة العثمانية، وتخلص التجار الإنكليز بذلك من الرعاية الفرنسية[٣]. وأدت هذه الخطوة إلى التفكير في تأسيس شركة تأخذ على عاتقها تنفيذ بنود الوثيقة والمتاجرة مع الأقاليم التابعة للسيادة العثمانية، وبناءً على ذلك فقد تأسست (شركة تركيا او الشرق Levant. Co.) اذ منحت الملكة إليزابيث مرسوم امتيازها إلى اثني عشر من التجار في مقدمتهم السير (ادوارد اوزبورن E. Osborn) و (ريشارد ستابر R. Staper) و (توماس سميث T. Smith) و (وليام كاريت W.Garret) في الحادي عشر من شهر أيلول ١٥٨١[٤]، فأصبحت هذه الشركة التي اتخذت من اسطنبول مقراً لها الذراع التنظيمي للعلاقات الإنكليزية العثمانية[٥].

(١) للأطلاع على نص الأمتياز يراجع:

J.C. Hurewitz , Diplomacy in the Near and Middle East …, PP. 7-9; J.C. Hurewitz, The Middle East North Africa world Politics … ,PP. 8-10.

(3) Miller ,Op. Cit , P. 13.

ويشير المؤرخ اينالجيك ان سبب فشل عقد حلف عسكري بين الطرفين يعود الى رغبة الدولة العثمانية في تلك المرحلة بالتوسع على حساب بلاد فارس، وعليه ولكي لا يحارب السلطان مراد الثالث على جبهتين في آن واحد فقد عقد اتفاقاً مع الأسبان في عام ١٥٧٨، وبذلك فقد اكتفى بتفاهم مع الأنكليز في المجال التجاري دون السياسي، اينالجيك، المصدر السابق، ص٧٠.

(٣) العامر، المصدر السابق، ص١٢٨.

(2) Wood , Op . Cit , p13 .

وللأطلاع على نص المرسوم يراجع:

Hurwitz , Diplomacy in the Near and Middle East …, PP. 9-15.

(٥) كانت شركة الشرق الأدنى هي المسؤولة عن تعيين السفراء الأنكليز في اسطنبول وهي المسؤولة ايضاً عن دفع مرتباتهم طيلة المدة المحصورة بين ١٥٨٣ – ١٨٠٣.

Miller ,Op. cit , p13

لقد أحدثت النجاحات الإنكليزية هذه ردود فعل فرنسية، فقد تحرك السفير الفرنسي في اسطنبول السير (دي جرميني De.Germiny) باذلاً جهوداً حثيثة لإفشال ذلك النجاح، ولدعم جهود السفير فقد اوفد ملك فرنسا هنري الثالث Henery III (١٥٦٩-١٥٨٩)موفداً شخصياً يدعى (جاك دي جرمول J.De.Jermol) بمهمة خاصة إلى اسطنبول للقاء المسؤولين في الحكومة العثمانية وإعاقة الجهود الإنكليزية لديهم إلى أقصى حد ممكن، وبعد لقاء الموفد الفرنسي مع السلطان العثماني مراد الثالث ، تم التوصل في تموز ١٥٨١ إلى اتفاقية جديدة جُددت فيها الامتيازات الفرنسية وعادت التجارة الأوربية في البحر المتوسط إلى سابق عهدها في ظل العلم الفرنسي، وجراء ذلك طبيعياً أن تصبح وثيقة العام ١٥٨٠ الإنكليزية – العثمانية في عداد المهملات[١].

كانت هذه الجهود الفرنسية بحد ذاتها دافعاً جديداً للحكومة البريطانية نحو الدولة العثمانية، إذ تمكنت الملكة اليزابيث وبجهود مبعوثها وليم هاربورن من تثبيت امتيازات إنكلترا التجارية بعقد معاهدة سلام وتجارة مع الدولة العثمانية في عام ١٥٨٣، تضمنت إضافة لما ورد في وثيقة عام ١٥٨٠ تخفيض نسبة الضرائب المفروضة على البضائع الإنكليزية الداخلة إلى الدولة العثمانية من ٥% إلى ٣%[٢] وعلى وفق ذلك فقد حصل الإنكليز على المعاملة التجارية الأفضل مقارنة بتجار الدول الأوربية ألأخرى، فالفرنسيون ظلوا يدفعون نسبة ٥% إلى عام ١٦٧٣، وأن الهولنديين أصبحوا يتاجرون تحت العلم الإنكليزي حتى عام ١٦١٢ حيث حصلوا على امتيازات مشابهة[٣]، وتأسيساً على ذلك فقد استحقت هذه المعاهدة أن تكون الأساس الذي بنيت عليه المعاهدات الموقعة لاحقاً بين الجانبين ، التي هي في الحقيقة لم تكن سوى تأكيدات لما تضمنته معاهدة ١٥٨٣[٤].

---

(١) صالح زكي، المصدر السابق، ص٣٨ ؛ خوري، اميل وآخرون، المصدر السابق، ١٨.

(1) Wood , Op. Cit , p13;

اينالجيك، المصدر السابق، ص٢١٥، وظلت هذه النسبة ثابتة حتى مطلع القرن التاسع عشر، القهواتي، حسين محمد، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، ١٨٦٩-١٩١٤، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب - جامعة بغداد، ١٩٧٨، ص٦٦ – ٦٧.

(2) Wood , Op . Cit ,p. 14 ;

اينالجيك، المصدر السابق، ص٢١٥.

(٤) في عام ١٦٠٤ تم تأكيد ماورد في معاهدة عام ١٥٨٣ من أذن للسفن الأنكليزية بالمتاجرة في الموانيء والأراضي العثمانية تحت علمها الإنكليزي وفي عام ١٦٤١ عقد الملك شارل الأول (١٦٢٥ –

وعلى اثر ذلك قررت الحكومة الإنكليزية تعيين السير وليم هاربورن كأول سفير لإنكلترا في اسطنبول، في السادس والعشرين من آذار ١٥٨٣ لدوره الناجح في تثبيت النفوذ الاقتصادي الإنكليزي في الدولة العثمانية[1] فيما راحت شركة الشرق الأدنى تُعين قناصلها التجاريين في اسطنبول وأزمير وحلب والأسكندرونة[2].

لقد ارتأى القائمون على شركة الشرق ألأدنى أواخر العام ١٥٨٣ توسيع النشاط التجاري للشركة باتجاه أقاليم الدولة العثمانية فكانت مصر المحطة الأولى، أذ

١٦٤٩) مع السلطان إبراهيم الأول (١٦٤٠ – ١٦٤٨) معاهدة أكدت حرية التجارة لشركة الشرق الأدنى في جميع الأراضي العثمانية. Miller , Op. Cit , P. 2; صالح، زكي، المصدر السابق، ص٤٠.

ثم وقعت اتفاقية بين انكلترا والدولة العثمانية في العام ١٦٦١ حددت بشكل عام حقوق رعايا انكلترا (التي سبق ذكرها) في الأمبراطورية العثمانية، وقيدت العوائد التي يجب على الأنكليز دفعها بـ ٣% وقد وقعها عن الجانب الأنكليزي الأيرل (هينج Henge) ايرل (وينشلسيا Wincheleasa)، لكن هذه المعاهدة اعيد النظر فيها ولم يصادق عليها إلا في عام ١٦٧٥. لوريمر، دليل الخليج، القسم التأريخي، ج٤ ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان امير قطر،(الدوحة، د.ت)، ص١٧٧٣. وللأطلاع على نص المعاهدة يراجع:. Hurewitz , Diplomacy in the Near and the Middle East …, PP. 25-32.

وبعد هذه المعاهدة لم يتم عقد اية معاهدة انكليزية – عثمانية حتى عام ١٨٠٩ والتي سوف نقف عليها لاحقاً.

(1) Cook , History of the Ottoman mpire to 1730, (Cambridge, 1976), p124.

ومن الجدير بالذكر بأن الدولة العثمانية لم تقابل تعيين السفير الأنكليزي بالمثل فقد كانت تجري كل اتصالاتها مع الدول المسيحية عن طريق ايفادات مؤقته او عن طريق الكنيسة. ومن ضمن هذه الدول انكلترا التي ارسلت اليها اول سفير وهو(يوسف أكا افندي Yousf Agah Efendi)، في العام ١٧٩٣، ولم يقدم اوراق اعتماده الى الحكومة الأنكليزية إلا في عام ١٧٩٥، وهو نفس العام الذي أُرسلت فيه سفارات عثمانية اخرى الى روسيا والنمسا وفي عام ١٧٩٧ الى فرنسا.

Findiey.r. carter , The Foundation of the Ottoman foreign Ministry , international of Juornal of middle East studies , vol.3,(Cambridge, July , 1972) , No3 , p388 ;

كتانه، محمد سعيد ، الترك والعرب دراسة مختصره لتأريخ علاقات الترك والعرب من العصور القديمة الى آواخر القرن العشرين،(انقرة، ٢٠٠١)، ص٢٧٦.

(٢) اينالجيك، المصدر السابق، ص٢١٥.

(٣) عبد الكريم، احمد عزت، دراسات في تأريخ العرب الحديث،(دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠)، ص٥٢ ؛ صالح، زكي، المصدر السابق، ص٤٢.

تم تعيين اقدم قناصلها في القاهرة ويدعى (هارفي ملرز H.Millerz). ثم أعقب ذلك إرسال سفينة محملة بالرصاص إلى ميناء الإسكندرية لمبادلتها بالتوابل، وفي عام ١٥٨٦ أرسل السفير الإنكليزي في اسطنبول وليم هاربورن بعثة تجارية لغرض دراسة واقع السوق المصرية، وقد توصلت البعثة إلى نتائج مشجعة الأمر الذي حفز عدد من التجار للقدوم إلى مصر عام ١٥٨٧[(١)]. وبحلول عام ١٥٩٦ شوهدت السفن ألإنكليزية محملة بالتوابل من الأسواق المصرية[(٢)].

بيد أن كل ذلك لا يعني قيام الشركة بممارسة نشاطها التجاري على نطاق واسع في مصر، وسبب ذلك يعود إلى المنافسة الشديدة التي أبداها التجار الفرنسيين، حيث اخذوا يكيدون للإنكليز عند السلطات المصرية، فنتج عن ذلك أن أصبحوا يخضعون لرسوم إضافية، رفعت نسبة الضرائب عليهم إلى ١٠% من قيمة البضاعة، الأمر الذي دفع الإنكليز إلى غلق قنصليتهم التجارية في مصر[(٣)]، وعندما حاول السفير الإنكليزي في اسطنبول السير (هنري ليلو H.Lello) اعادة فتحها في عام ١٦٠٠ رفضت شركة الشرق الأدنى هذا الأمر موضحة موقفها بالقول ((إنها لو أمطرت ذهباً في الإسكندرية فلن نرى إنها تستحق أن نذهب ونجمعه))[(٤)]، ولم يتجدد النشاط الأنكليزي التجاري في مصر إلا في مطلع القرن الثامن عشر.

أما الاتجاه الثاني لحركة الشركة فكان مدينة حلب، التي تعد من المراكز الرئيسة التي اعتمد عليها التجار الإنكليز للحصول على الحرير الفارسي فعينت الشركة عام ١٥٨٣ أول قنصل لها في حلب ويدعى (ريتشارد فوستر R.Foster) وأخذت الوكالة الأنكليزية في حلب تؤدي دور الوسيط في تجارة الحرير الفارسي[(٥)] لكن تجارة الإنكليز في حلب سرعان ما أخذت تضمحل قبل نهاية القرن السادس عشر لأسباب سياسية جوهرها تصاعد وتيرة الصراع العثماني – الفارسي في عهد

---

(٤) اينالجيك، المصدر السابق، ص٢١٥.

(1) Wood , Op. Cit, P. 32-33.

(٢)نقلاً عن: عبد الكريم، المصدر السابق، ص٥٣.

(٣) اينالجيك، المصدر السابق، ص٧٣ ؛ عبد الكريم، المصدر السابق، س٣٩.

(٤) عن الشاه وصراعه مع الدولة العثمانية يراجع: شهباز أزاد مهر، المصدر السابق، ص٤٠٤-٤٠٨.

الشاه عباس الكبير (١٥٨٧-١٦٢٩)[١]، ورغبة الأخير حرمان الدولة العثمانية من عوائد مرور تجارة الحرير عبر الأراضي العثمانية، التي كانت تشكل مورداً هاماً من موارد السلطنة[٢].

وكان العراق يمثل الأتجاه الثالث لتطلعات الشركة للوصول إلى الهند عبر الخليج العربي، فأقدمت الشركة على إرسال بعثة ضمت عدد من تجارها منهم (جون نيوبري) و (رالف فتش R.Fitesh) و (جون الدرد G.Elderd)، وكانت الغاية من وراء هذه البعثة التي انطلقت من حلب دراسة الطريق البري المار عبر الفرات، ثم إمكانية المتاجرة مع الهند عبر هذا الطريق[٣].

تكتسب هذه البعثة أهميتها من الرسائل والمذكرات التي بعث بها أولئك التجار إلى ذويهم وأصدقائهم في لندن[٤]، التي دونوا فيها كل ما يستحق الذكر من مشاهدات للأقاليم التي مروا بها ومن ضمنها أقاليم الدولة العثمانية، فمما ذكره رالف فتش عن بغداد بأنها ((كانت مركزاً مهماً لتجارة الترانسيت))[٥]، وان البصرة ((تمثل مركزاً مهماً لتجارة التوابل والعقاقير المستوردة من الهند))[٦]، أما جون الدرد فدوّن مذكراته حول البصرة قائلاً ((في كل شهر يصل الى ميناء البصرة من هرمز سفن مختلفة تحمل المنسوجات الهندية المتنوعة والتوابل والأدوية))[٧]، إما رأي جون نيوبري في بغداد والبصرة بأن فيهما ((خيرات الشرق التي لا حصر لها))[٨]، كما يمكن القول

---

(٥) اينالجيك، المصدر السابق، ص٧٣-٧٤.

(1) George. M. F. A History of England,(New York , 1957), P. 347; William, Op. Cit, PP. 26-27.

الدليمي، فواز مطر، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٨٦٩ – ١٩١٤، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص٣٠.

(٤) للتفاصيل حول هذه الرسائل يراجع: لوريمر، المصدر السابق، ص٢٣٨١-٢٣٨٦.

(٥)نقلاً عن : صالح، زكي، المصدر السابق، ص٤٢.

(٦)نقلاً عن : الجواهري، عماد احمد، الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي، ١٥٠٠-١٦٠٠، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد١٣،السنة الرابعة، (الكويت، كانون الثاني، ١٩٧٨)، ص٨٨.

(٧) نقلاً عن :اينالجيك، المصدر السابق، ص١٩٨.

(٨)نقلاً عن : إبراهيم ، عبد العزيز عبد الغني ، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، (مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٨)، ص٤٦.

من جانب آخر بأن هذه البعثة هي أول بعثة أشارت إلى إمكانية المتاجرة مع الهند عن طريق الدولة العثمانية(١).

على الرغم من حركة الشركة بهذه الأتجاهات، فأن الاندفاع الإنكليزي سرعان ما غير وجهته عن الدولة العثمانية قبل نهاية القرن السادس عشر، بسبب انتصار الأسطول الإنكليزي على الأرمادا الأسباني في تموز ١٥٨٨، مما فسح المجال للإنكليز لإرتياد طريق رأس الرجاء الصالح(٢)، لا سيما وان القوة البحرية ألأخرى المتمثلة بالبرتغال قد اخذ نجمها في الشرق بالأفول(٣).

كما أدت عوامل عديدة أخرى دورها في تغيير اتجاه الإنكليز التجاري، فجاذبية المعلومات التي قدمها التجار الإنكليز أمثال رالف فتش وجون نيوبري وجون الدرد في رسائلهم، التي كانت دقيقة إلى درجة إنها غطت أسعار التوابل وأماكن وجودها في الهند ونوعياتها(٤) مما جعلها جديرة بأن تقدم لمجلس اللوردات وقتذاك لمناقشتها(٥) كذلك فقد كانت المخاطر التي يواجهها التجار الإنكليز أثناء مرورهم بطريق البحر المتوسط تستحق التفكير والوقوف عندها(٦)، فضلاً عن الضرائب الكثيرة التي كانوا يدفعونها إلى ولاة الأقاليم العثمانية، حيث انعكس ذلك على ارتفاع سعر البضائع إلى ثلاثة أضعاف سعرها في موانيء الدولة العثمانية مقارنة فيما لو جلبت مباشرة من الهند(٧).

---

(١) القيسي، المصدر السابق، ص٣٧.

(1) Lunt. W. E. Op. Cit., PP. 349-350; Kamen, Op. Cit, PP. 133-134;

الدليمي، المصدر السابق، ص٣١ ؛ هادي، جاسم محمد، المصدر السابق، ص١٦.

(٣) تظافرت عوامل عديده ادت الى ضعف البرتغاليين في الشرق للتفاصيل عنها يراجع: أبو ثرب، احمد، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الأحمر= =والخليج العربي، وما تولد عنه من ردود فعل، مجلة الخليج العربي، المجلد السادس عشر، العدد ألأول،(البصرة، ١٩٨٤) ؛ الخطيب، المصدر السابق، ص٤٥-٥٣ ؛ أمين، عبد الامير محمد، دور القبائل العربية في صد التوسع الأوربي في الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، من بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، الجمهورية العراقية،(وزارة الإعلام، ٢٥ آذار، ١٩٧٣)، ص٦٥١-٦٥٢.

(٤) حاتم، صالح محمد، المصدر السابق، ص٢٠.

(٥) القيسي ، المصدر السابق، ص٤٦.

(5) Wood, op ,cit , pp 3-4.

(٧) اينالجيك، المصدر السابق، ص٧٣؛ بولارد، المصدر السابق ص٢٦؛ القيسي، المصدر السابق، ص٤٦.

وعليه فقد أرسلت شركة الشرق الأدنى أول رحلة تجارية الى الهند في عام ١٥٩١ عبر رأس الرجاء الصالح[١]، وقد تزامنت هذه الرغبة في توسيع نشاط إنكلترا التجاري مع الرغبة في تنويع أسواق التجارة الخارجية، ففي الوقت الذي كانت فيه شركة روسيا مسؤولة عن المتاجرة مع روسيا، وشركة الشرق الأدنى مسؤولة عن المتاجرة مع الدولة العثمانية، فأن شركة جديدة يجب أن تكون مخصصة للمتاجرة مع الهند والبلدان المجاورة[٢]، وبذلك يتم الحصول على التوابل دون حاجة إلى وساطة الهولنديين وتحكمهم في أسعارها[٣] كما إن هذه الشركة ستكون بمثابة (ذراع للتوابل) على حد تعبير المؤرخ هاريسون[٤]، أي أن الشركة الجديدة ستكون مسؤولة عن جلب التوابل من الهند إلى أوربا، ومهمة شركة الشرق الأدنى إعادة تصديرها إلى الدولة العثمانية[٥].

وبناءً على ذلك فقد تم تأسيس شركة الهند الشرقية الإنكليزية بموجب المرسوم الملكي الصادر في الحادي والثلاثين من كانون الأول ١٦٠٠[٦] ليكون ذلك التأسيس متزامناً مع اتصال إنكلترا المنظم مع بحار الشرق وقيام التجار المغامرين بأتخاذ سياسة جديدة للأتجار مع تلك المناطق[٧] وليكون كذلك بداية النهاية لذلك التاريخ الذي كانت فيه التجارة بين الشرق والغرب تنساب عبر الشرق الأدنى فقط[٨].

---

(١) العامر، المصدر السابق، ص٧ ؛ هادي، جاسم محمد، المصدر السابق، ص١٧.

(٢) إبراهيم ، عبد العزيز عبد الغني، المصدر السابق، ص٤٩.

(٣) على سبيل المثال رفع الهولنديون اسعار الفلفل في عام ١٥٩٩، من ثلاثة شلنات الى ثمانية للرطل الواحد مما أدى الى ارباك السوق الأنكليزية، حاتم، صالح محمد، المصدر السابق، ص٢١.

(٤)نقلاً عن: القيسي، المصدر السابق، ص٤٩.

(٥) للتفاصيل حول الأسباب الأخرى لتأسيس الشركة يراجع: المصدر نفسه، ص٤٨-٤٩؛ http://ar.wikipedia.org.2007.P.3.

(٦)النجار، مصطفى عبد القادر، شركة الهند الشرقية. ملامحها وابرز سماتها في الخليج العربي ١٦٠٠-١٨٥٨، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٥، السنة الرابعة،(الكويت، تموز، ١٩٧٨)، ص١٠١-١٠٩.

(٧) البديري، خضير مظلوم، سياسة بريطانيا تجاه ايران ١٨٩٦-١٩١٩، اطروحة دكتوراه مقدمه إلى كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٩١، ص٩.

(٨) اينالجيك، المصدر السابق، ص٧٣.

أصبحت الشركة الجديدة بعد عدد من الرحلات الموفقة وسيلة لتغلغل النفوذ الإنكليزي في الهند[١]، لكن المشاكل التي لم تعد غامضة وتتعلق بمالية الشركة في الهند[٢] تضاف إليها المعلومات التي قدمها احد التجار الإنكليز وهو (ريتشارد ستيل R. Steel) موفد الشركة إلى بلاد فارس في العام ١٦١٤، عن القدرة الاستيعابية للسوق الفارسية للمنتجات الصوفية الإنكليزية، مع إمكانية الحصول على الحرير الفارسي بأسعار ارخص من المناطق الأخرى[٣]، دفعت الشركة إلى تفريع نشاطها التجاري الى بلاد فارس، وطيلة المدة المحصورة بين الأعوام ١٦١٥ – ١٦٣٥ التي اتصل فيها رجال الشركة بالأراضي الفارسية فقد حقق الإنكليز نجاحاً باهراً وسريعاً[٤].

تعززت العلاقات الإنكليزية – الفارسية في أعقاب طرد البرتغاليين – العدو المشترك، من جزيرة هرمز عام ١٦٢٢[٥]، الأمر الذي دفع بالشاه عباس الكبير في

(8)Masani , R. P, Britain in India an Account of British Rule in the Indian Sub continent , (oxford university press, 1962) , PP. 5-6.

(٢) عندما بدأت الشركة بالمتاجرة مع الهند واجهت مشكلة دفع اثمان البضائع التي تشتريها، اذ ان الإقتصاديون الإنكليز آنذاك كانوا يعارضون تصدير النقد (الذهب – والفضة) معارضة شديدة، لكن وكلاء الشركة وجدوا ان المشكلة يمكن ان تحل اذا وسعوا نشاطهم التجاري الى جزر الأرخبيل (اندونيسيا)لحاجة الجزر للأقمشة الهندية، إلا ان هذا الحل لم يستمر طويلاً بسبب قوة المنافسة الهولندية فيهذه الجزر اولاً ولحرارة الجو الذي ادى الى كساد المنسوجات الصوفية الإنكليزية ثانياً والفقر المدقع للسكان ثالثاً مما حتم على الشركة البحث عن فروع جانبية لتجارتها، أمين، عبد الأمير محمد، المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر واثرها في الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد ٨،(البصرة، ١٩٧٧)، ص١٨-٢٠؛ الخطيب، المصدر السابق، ص ١٣٥- ١٣٦؛ حاتم، المصدر السابق، ص٢٢.

(٣) عن بدايات التغلغل الإنكليزي في بلاد فارس يراجع: البديري، سياسة بريطانيا تجاه ايران...، ص ٨-١٠.

(٤) عن النجاحات الإنكليزية في بلاد فارس خلال الفترة اعلاه يراجع: أمين، عبد الأمير محمد، المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ – ١٧٧٨، ترجمة هاشم كاظع لازم ومراجعة مكي حبيب المؤمن، (بغداد، ١٩٧٧)، ص١٣-١٨.

(٥) اسماعيل، جاكلين، سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد، ١٦، السنة الرابعة عشر،(الكويت ، تشرين الأول، ١٩٧٨)؛

Searight, Op. Cit. P. 53.

العام التالي إلى السماح للإنكليز بتأسيس مركز تجاري لهم في بندر عباس[١]، بيد ان هذه العلاقاتلم تستمر طويلاً بعد زوال الخطر البرتغالي، إذ واجه التجار الإنكليز ضغوطاً وقيوداً من قبل بلادفارس، فضلاً عن منافسة المركز التجاري الهولندي الذي تزامن تأسيسه مع تأسيس المركز التجاري الإنكليزي ووصف بأنه (الأكبر) من المركز الإنكليزي[٢]، ومما زاد من فتور العلاقات الإنكليزية – الفارسية عودة الإنكليز وعقدهم الصلح مع البرتغال في عام ١٦٣٥ بهدف إحلال الهدوء في الخليج العربي من اجل ديمومة التجارة[٣] وأمام هذه الظروف لم يجد الإنكليز بداً للتخلص منها إلاّ بتفريع تجارتهم مرة أخرى والتوجه هذه المرة نحو الأقاليم العثمانية.

ثانياً. التغلغل البريطاني في الأقاليم العثمانية:

يرى بعض المؤرخين إن أول اتصال لشركة الهند الشرقية الإنكليزية مع البصرة كان في عام ١٦٣٥، بسبب التوقعات بضعف المنافسة البرتغالية هناك[٤] ففي ذلك العام قامت الشركة بإرسال أول شحنة صغيرة من البضائع إلى أسواق البصرة حيث لاقت رواجاً كبيراً، مما شجع التجار الإنكليز في عام ١٦٣٩ على إرسال مبعوثين هما (ثرستون Thurston) و (بيرس Pearce) وبعهدتهم كمية من البضائع، حيث سمح لهم متسلم البصرة علي باشا(١٦٠٤ – ١٦٤٧) بالمتاجرة مع منحهم التسهيلات التجارية[٥].

---

(١) العابد، صالح، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ – ١٨١٠،(مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٩)، ص٢٥.

(٢) البراوي، فتحية وآخرون،الخليج العربي، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية،(منشأة المعارف الإسكندرية، د. ت)، ص١٦٥؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٢٥؛

http//www.alrawahy.8k.com/alya3arb.htm

(٣) المشايخي، علي خضير، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨ – ١٨٩٦، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٨٧، ص٤٤. اما لونكريك فيشير إلى أن معاهدة الصلح عقدت في عام ١٦٣٤ وتأكدت في (كوا Gwa) في عام ١٦٣٦. لونكريك، المصدر السابق، ص١٣٥.

(٤) القهواتي، حسين محمد، اضواء على تجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة الخليج العربي، المجلد ٢٢، العدد ٢،(البصرة ١٩٨٠)، ص٢٠، لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٦٧.

(٥) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٤٦ ؛ صالح، زكي، المصدر السابق، ص٥٤. اما لوريمر فيجعل وصول هذين الشخصين في الحادي والثلاثين من آيار ١٦٤٠. لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٦٨ – ١٧٦٩.

تلا ذلك قيام الشركة في عام ١٦٤٣ إنشاء مقر لها في البصرة[١] كما شهد العام نفسه إنشاء معملاً صغيراً في المدينة[٢]، وفي عام ١٦٤٥ قررت الشركة نقل ممتلكاتها من بندر عباس إلى البصرة بسبب نشوب الصراع بين الهولنديين والفرس[٣]، ولم تلبث البصرة حتى أصبحت ((من أهم مراكز التعامل التجاري مع شركة الهند الشرقية الإنكليزية)) حسب تعبير المقيم الإنكليزي في أحدى رسائله لمجلس ادارة الشركة[٤].

ولأن البصرة ((أعظم سوق تجاري في هذه البحار)) كما وصفها الرحالة البرتغالي ألأب مانويل كودنهو M.Godenho ، عند زيارته للمدينة عام ١٦٦٣[٥]، فضلاً عن اختفاء المنافسة الهولندية فيها[٦]، فقد أسس البريطانيون مركزاً دائماً في البصرة سنة ١٧٢٣، يديره مقيم تابع لأشراف الوكيل في بندر عباس[٧] وفي عام

---

(١) العامر، المصدر السابق، ص١٢؛ لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٦٨. بينما يشير عبد العزيز سليمان نوار خطأً الى ان فتح المقر البريطاني في البصرة كان في سنة ١٦٣٩. نوار، عبد العزيز، داود باشا والي بغداد،(دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨)، هامش رقم (٣)، ص١٩٢.

(٢) لونكريك، المصدر السابق، ص١٣٦.

(٣) أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي...، ص١٩؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٤٦.

(٤) نقلاً عن: نوار، عبد العزيز، المصالح البريطانية في انهار العراق ١٦٠٠ – ١٩١٤، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص٦٧ ؛ صالح، زكي، المصدر السابق، ص٥٤.

(٥) نقلاً عن: عبد الحسين، فلاح حسن، مدينة البصرة كما وصفها الرحالة الأجانب في العصر الحديث، موسوعة البصرة الحضارية الموسوعة التاريخية،(جامعة البصرة،١٩٨٩)، ص٣٣٨.

(٦) اتصل الهولنديون لأول مرة بالبصرة، في عام ١٦٤٠، لكن منافستهم للبريطانيين سرعان ما أختفت على اثر مشاكل الوكيل الهولندي (كينغهاوزن Kenghaze) مع السلطات العثمانية في البصرة، مما دفع الهولنديين أخيراً الى سحب مركزهم التجاري الى خرج في عام ١٦٥٣ الربيعي : هيفاء عبد العزيز، غزاة في الخليج الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية دراسة تأريخية، (مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٩)، ص٦٥- ٦٧، ص١١٢ – ١١٩. وحتى فترة المنافسة الهولندية في المنطقة عموماً والتي يحدد لها المؤرخون بداية تأريخية بالعام ١٦٥٠ سرعان ما أختفت بعد العام ١٦٧٠ سواء للأنعكاس السريع لأحداث المسرح الأوربي على النشاط الهولندي في الشرق او لمقاومة سكان الخليج العربي للوجود الهولندي. للتفاصيل حول ذلك يراجع: التدمري، احمد جلال، قراءات ارشيفية في الوثائق الهولندية المكتشفة حديثاً وفي الصراع الدولي على الخليج العربي، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٣٤، السنة ١٣،(بغداد، ١٩٨٧)؛ أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي..، ص٢٤.

(٧) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٤٦.

١٧٢٨ حصل المقيم البريطاني في البصرة (مارتن فرنج M.Frich) (١٧٢٧ – ١٧٣٧) من الحكومة العثمانية على حق محاكمة الأشخاص التابعين للمركز البريطاني، ولم يمض على ذلك التاريخ سوى ثماني سنوات حتى حصل نفسه وبموجب مرسوم سلطاني موجه إلى متسلم البصرة أحمد باشا (١٧١٥-١٧٤١) على إقرار من المتسلم بأن الضريبة الكمركية على البضائع البريطانية هي ٣%[١] وتزداد قيمة ذلك الإقرار إذ ما علمنا إن التجار العثمانيين كانوا يدفعون ما نسبته ٧% على بضائعهم الواردة إلى البصرة[٢]

وعلى الرغم من النجاح الذي حققه البريطانيون في البصرة في مطلع الثلاثينات لكن ظروفاً جديدة بدأت تفرض نفسها على نشاطهم ابتداءً من منتصف ذلك العقد، فنتيجة للنشاط التجاري للشركة في البصرة الذي شهد به الرحالة الفرنسي (تافرنييه Tavernaie)قائلاً : ((كان في البصرة تجار من جميع البلاد فمن اسطنبول وأزمير وحلب ودمشق والقاهرة وجميع أنحاء تركية.. يتواردون عليها لشراء البضائع المستجلبة من الهند..))[٣] فقد عززت الشركة تواجدها التجاري بسفن حربية لحماية مصالحها، الأمر الذي أضفى الصفة السياسية على نشاطها علاوة على صفته التجارية[٤]، وبعبارة أدق تحولت إلى أداة مؤثرة في العلاقات العثمانية – الفارسية.لا سيما وأن بلاد فارس في ظل نادر خان (١٧٣٦ – ١٧٤٧)[٥] قد أولت مد نفوذها

---

(١) لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٧٩-١٧٨٠؛ نوار، داود باشا...، ٢٨؛ العامر، المصدر السابق، ص٢٠ – ٢١؛ الخطيب، المصدر السابق، ص٢٢٢.

(٢) العقاد، صلاح، الاستعمار في الخليج العربي، القاهرة (د. ت)، ص٢٥.

(٣)نقلاً عن : لونكريك، المصدر السابق، ص١٣٩-١٤٠.

(٤) البراوي، فتحية وآخرون، المصدر السابق، ص١٦١.

(٥) ولد في عام ١٦٨٨ في خراسان. دخل في خدمة الشاه طهماسب في عام ١٧٢٦، وفي عام ١٧٣٢ نحى الشاه عن السلطة وأعلن نفسه وصياً على الشاه الطفل عباس ميرزا، في العام ١٧٣٦ اصبح شاهاً لفارس، لعب دوراً كبيراً في تحرير فارس من الأحتلال الإفغاني والروسي والعثماني : عن نادر شاه يراجع:

Lockhart, L, Nadir shah.acritical study based minly up on contemporary sources, (London , 1938), PP. 35-45;

ميرزا مهدي خان استربادي، جهانكشاي نادري،(تهران، ١٣٣١)، ص٢٦-٢٧. وعن دوره في تحرير ايران من الإحتلال الأفغاني يراجع: المكصوصي، علي حسن علي، تطورات ايران الداخلية في ظل الأحتلال الأفغاني ١٧٢٢-١٧٢٩، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠٠٦،

على سواحل الخليج العربي الشملية والشرقية اهتماماً كبيراً حتى إن (السيطرة عليها تعد واحدة من مخططاته الرئيسة) [١]. فأدى ذلك إلى التصادم بين العثمانيين والفرس، ففي نيسان ١٧٣٥ قرر نادر شاه مهاجمة البصرة، وطلب من شركة الهند الشرقية ان تساعده بالسفن الراسية في بندر عباس[٢]، لكن الطلب الفارسي جوبه بالرفض لتخوف البريطانيين من أي رد فعل عثماني متطرف في شدته ضد مصالحهم في البصرة، وأصدرت الشركة أوامرها إلى وكيلها في بندر عباس بان لا يضع أي سفينة في خدمة الحاكم الفارسي،وإذا لم يجد مفراً من ذلك فعليه إن يغلق الوكالة ويغادر بندر عباس [٣] وحينما وصلت قوات نادر شاه إلى مدخل شط العرب طلب المتسلم العثماني احمد باشا من ممثل الشركة مساهمة السفن البريطانية في صد الهجوم [٤]، لكن الأخير رفض الطلب ايضاً خوفاً من نقمة نادر شاه على المصالح التجارية البريطانية في بلاد فارس، الأمر الذي دفع بالمتسلم إلى اخذ السفن البريطانية عنوة والأستفادة منها في صد الهجوم[٥].

كان لإشتراك السفن البريطانية أثره السلبي على العلاقات بين نادر شاه والشركة، اذ توترت العلاقات بينهما ولقي ممثلي الشركة في أصفهان وكرمان معاملة

ص١٢٨-١٤٩، ودوره ضد الوجود الروسي والعثماني يراجع: شهباز أزاد مهر، المصدر السابق، ص٤٢١ – ٤٣١.

(١)نقلاً عن : الزبيدي، عدنان هرير جوده، عمان وسياسة نادر شاه التوسعية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص٧٧.

(2) Wilson. Arnold , The Persian Gulf An History Stitch From The Earliest Times to the Beginning of the Twentieth Century ,(London , 1954) , p175.

وقد جاء الطلب الفارسي للمساعدة البريطانية نتيجة لضعف الأسطول الفارسي الذي يقدر حينها بثلاث قطع حربية وعدد من السفن المساعدة، ابو حاكمة، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، نشأة وتطور الكويت والبحرين ١٧٥٠ – ١٨٠٠، ترجمة محمد أمين عبد الله،(دار الحياة، بيروت، ١٩٦٥)، ص٥٠ – ٥١ .

(٣) لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٨٣؛ علي، علي شاكر ، تأريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ – ١٧٥٠،(نينوى ١٩٨٥)، ص١٩٣.

(٤) جاء الطلب العثماني لضعف القوة البحرية العثمانية في البصرة. للأطلاع على حالة البحرية العثمانية حينذاك يراجع: الحمداني، طارق نافع، ملامح سياسية وحضارية في تأريخ العراق الحديث والمعاصر، (الدار العربية للموسوعات، بيروت ١٩٨٩)، ص١٢٥.

(٥) نورس، علاء، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠ – ١٨٠٠،(دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٩)، ص١٧٦.

سيئة، دفعتهم الى التفكير جدياً بنقل الوكالتين من هناك، إلا أن التبدل المفاجيء في سياسة نادر شاه تجاه الشركة منذ أواخر عام ١٧٣٥ هو الذي أبقى على الوكالتين[١].

لقد كان جُلَّ اهتمام الشركة خلال فترة الصراع العثماني الفارسي منصباً على المحافظة على موقفها المحايد، الذي ((لم تحصل عليه الشركة إلا بشق الأنفس)) على حد تعبير لونكريك[٢] بهدف عدم إثارة أي من الطرفين ومحاولة احتوائهما لتأثير حالة الصراع على المصالح التجارية للشركة، ويستدل على ذلك من التقرير المرسل من ممثل الشركة في البصرة مارتن فرينج إلى مجلس إدارة الشركة والمؤرخ في التاسع عشر من حزيران ١٧٣٢ ومما جاء فيه ((إن الحرب مع بلاد فارس قد أدت إلى وقف الأعمال التجارية في هذه المنطقة حتى إننا لم نتمكن من تصريف بالة واحدة من البضائع خلال عدة اشهر ولست أرى من الحكمة أن نقوم بتفريغ السفن الحالية حتى نرى كيف تتطور الأمور...)) [٣].

ويتضح كل ما سبق بشكل جلي، عندما حاصر نادر شاه البصرة للمرة الثانية في الثامن والعشرين من آب ١٧٤٣، فقد بادر وكيل الشركة (توماس دوريل T.Dorill) (١٧٣٩ – ١٧٤٥) وتحسباً لأي موقف مشابهه كالذي حدث في عام ١٧٣٥ يعقد الأمور على الشركة، إلى منع جميع السفن الإنكليزية من البقاء في ميناء البصرة، رافضاً إعارتها للمتسلم العثماني رستم اغا[٤]، بل ان المقيم أمر بحرق إحدى القطع البحرية والعائدة له شخصياً، مما دفع بالمتسلم إلى اعتقاله ليومين، فحدث جراء ذلك فتور في العلاقات بين الشركة والسلطات العثمانية، إلاّ أن ذلك الفتور لم يستمر طويلاً إذ انتهى مع صدور أوامر نادر شاه إلى قواته برفع الحصار عن البصرة في السادس عشر من كانون الأول ١٧٤٣[٥].

وإذا كان احد أسباب اهتمام البريطانيين بالدولة العثمانية، كونها سوقاً مهماً لتصريف البضائع، فإن أحكام السيطرة على الطرق التي تخضع للسيادة العثمانية

(١) الخطيب، المصدر السابق، ص١٨٨، ١٩٠-١٩٤.
(٢) لونكريك، المصدر السابق، ص١٩٢.
(٣) نقلاً عن: ابو حاكمة، المصدر السابق، ص٥٢.
(٤) لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٧٨؛ علي، شاكر، المصدر السابق، ص٢٠٤.
(٥) المبارك، صفاء عبد الوهاب، البصرة في العهد العثماني ١٦٣٨ – ١٨٠٠، موسوعة البصرة الحضارية الموسوعة التاريخية،(جامعة البصرة، ١٩٨٩)، ص٢١٥ ؛ الخطاب، رجاء حسين، العراق والصراع العثماني الفارسي،(٠ بغداد، ٢٠٠١)، ص٧٦.

وتربط بريطانيا بمستعمراتها في الهند صار هدفا استراتيجياً في نظر البريطانيين للحفاظ على ممتلكاتهم في الشرق[١] وقد أشار الكاتب الفرنسي شيفاليه chevalie. بقوله: ((ينبغي ان نردد دائماً بأن واحداً من الإهتمامات الرئيسة للسياسة البريطانية هو ضمان أمن المواصلات بين لندن التي تمثل رأس الإمبراطورية والهند التي هي قلب هذه الإمبراطورية. ان اليوم الذي تنقطع فيه بريطانيا من الهند سيكون بدون أدنى شك نهاية للعظمة البريطانية، وبهذا فإن بريطانيا تحاول السيطرة على كل ما كان يمر به طريق الهند))[٢].

ومن هنا فقد تبوأ ما يسمى بـ (طريق قوافل الصحراء الكبرى) المار عبر العراق أهمية استثنائية بالنسبة للبريطانيين[٣] وتؤشر أهميته الأخبار التي تفيض بها عنه سجلات يوميات مقيمية البصرة[٤]، وقد تزايدت أهمية هذا الطريق إبان حرب السنوات السبع (١٧٥٦ – ١٧٦٣)[٥] بوصفه ((طريقاً قصيراً وأميناً))[٦]. إذ هيأ للبريطانيين أخذ زمام المبادأة في الهند، واستولوا على حصن (شاندر ناكور) الفرنسي، قبل أن يكون لدى الفرنسيين أي علم عن بداية الحرب في أوربا، أما في أوقات السلم فكانت أهمية الطريق تأتي من سرعة وصول البريد المتضمن أوضاع الأسواق والطلب المتوقع[٧]، ويصبح الأمر أكثر تأكيداً إذا أجرينا مقارنة بسيطة بين المدة التي تستغرقها رحلة البريد البريطاني عبر هذا الطريق من بومباي إلى لندن، والتي كانت تتراوح بين ١٠-١٢ أسبوعاً[٨]مقارنة بأحد عشر شهراً هو الوقت الذي

(١) للتفاصيل حول هذه الطرق يراجع: الراقد، المصدر السابق، ص٣٦١ – ٣٦٢؛ إبراهيم،عبد الفتاح، المصدر السابق، ص٤١؛ الخارطة الملحقة في نهاية هذه الدراسة .

(٢) نقلاً عن : الدليمي، المصدر السابق، ص٣٣.

(٣) العامر، المصدر السابق، ص٣٢.

(٤) أمين،عبد الأمير محمد، سجلات يوميات مقيمية البصرة ١٧٩٨-١٨١١، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤، (بغداد، ١٩٨٠)، ص٢٣٣.

(٥) للتفاصيل حول حرب السنوات السبع يراجع: بالمر، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤-٥٦ ؛ البطريق وآخرون، المصدر السابق، ص٢٨٨-٢٩٧.

(٦) لوريمر، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٠.

(٧) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٥١ ؛ أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي....، ص٩٧.

(٨) كيلي، جون، بريطانيا والخليج العربي ١٧٩٥-١٨٧٠، ج١، ترجمة محمد أمين عبد الله، (مطبعة عيسى البابي وشركائه ، ١٩٦٥)، ص٨٢.

تتطلبه رحلة البريد للوصل الى لندن عن طريق رأس الرجاء الصالح[١] فلا غرابة إذن أن أصبح الطريق الأول هو ((البديل السريع والأمين الوحيد للطريق البحري عبر رأس الرجاء الصالح)) [٢].

إذا كانت البصرة هي المحطة الأولى في طريق البريد البريطاني، فإن بغداد هي المحطة الثانية، لينطلق منها إلى حلب ثم اسطنبول وفينا وصولا إلى لندن، ومنذ عام ١٧٥٩ اختزلت منه المحطة الثالثة (حلب) ليبدأ من البصرة إلى بغداد ومنها إلى اسطنبول مباشرة حيث مقر السفير البريطاني، وفي عام ١٧٦١ صار البريد يرسل بنسختين الأولى عبر الطريق الأول والثانية عبر الطريق الجديد[٣].

نتيجة لكل ما سبق. ولأهمية موقع البصرة بالنسبة للتجارة العالمية، الذي تؤكده تقارير الرحالة الروس خلال القرن الثامن عشر[٤]فضلاً عن الفوضى التي اصابت بلاد فارس بعد اغتيال نادر شاه في عام ١٧٤٧[٥]، ثم على اثر اضطراب احوال الوكالة البريطانية في بندر عباس[٦]، أمست البصرة هي المقر الجديد للوكالة البريطانية في عام ١٧٦٣[٧]، وفي السنة التالية ارتفع التمثيل الى درجة قنصلية بناءً

(١) العقاد، الأستعمار في الخليج....، ص٢٢.

(٢) أمين، المصالح البريطانية في الخليج.....، ص٩٧.

(٣) البراوي، المصدر السابق، ص١٦٩؛ العامر، المصدر السابق، ص٣٤؛ امين، المصالح البريطانية في الخليج العربي...، ص١٠٨.

(٤) دانتسينغ.ب.م، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة معروف خزندار،(دار الرشيد، بغداد ١٩٨١)، ص١١٦ -١١٨.

(٥) دخلت ايران بعد اغتيال نادر شاه في فترة من الفوضى كنتيجة مباشرة لحالة الصراع التي نشأت بين الكيانات الرئيسية في البلاد، فلم يعد وحالة البلاد هذه ان يكون هناك نشاط اقتصادي جيد. كيلي،المصدر السابق، ص٧٩. عن حالة الفوضى التي اجتاحت بلاد فارس يراجع: شهباز ازاد مهر، المصدر السابق، ص٤٣٩- ٤٤٦، وعن حالة الشركة في خضم تلك الفوضى يراجع: الخطيب، المصدر السابق، ص١٩٦ – ٢١٩.

(٦) هاجم الفرنسيون مقر الوكالة البريطانية في بندر عباس عام ١٧٥٩ مما ادى الى تدمير بناياتها.
Wilson , op , cit.p177 ;
العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي....، ص٢٨.

(7) Wilson , Op. Cit. P. 178.
وللمزيد من التفاصيل حول أسباب نقل الوكالة من بندر عباس وظروف ذلك الإنتقال يراجع: أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي...، ص٧٣-٨٩.

علـى فرمـان حصـل عليـه السـفير البريطـاني فـي اسـطنبول (هنـري جرينفيـل H.Grenville) (١٧٦١ – ١٧٦٥) [(١)].

ويرى البعض إن الإرتقاء في مكانة ممثل الشركة من مقيم إلى قنصل يمثل بحد ذاته ارتقاء بنشاط الشركة التجاري إلى النشاط السياسي. وقد ترتب على ذلك أن أدى البريطانيون دوراً مهماً في أحداث المنطقة، لاسيما بعدما شهده عقد الستينات من تبلور للصراع الإقليمي بين العثمانيين والبريطانيين من جهة والقوة البحرية المتنامية لإمارة كعب[(٢)] من جهة أخرى[(٣)] بعد إن وجد البريطانيون بأن مصالحهم تقتضي التخلي عن الموقف الحيادي حيال الصراع العثماني - الكعبي، خاصة وأن العداء لهذه الإمارة كان القاسم المشترك بين البريطانيين والعثمانيين، فمن جانب وجد البريطانيين في إمارة كعب تهديداً لمصالحهم التجارية في البصرة، وخطراً على حرية الملاحة التجارية البريطانية في الخليج العربي، الذي كان يهمهم أن يكون منطقة أمان لسفنهم[(٤)] أما العثمانيون فكانوا ينظرون إلى تنامي قوة كعب بعدم الأرتياح لتهديدها المستمر بالسيادة على شط العرب، فضلاً عن عدم دفع الضرائب للحكومة العثمانية[(٥)].

ونستدل على تطابق وجهتي النظر البريطانية – العثمانية بهذا الخصوص من الرسالة التي بعثها والي بغداد علي باشا (١٧٦٢ -١٧٦٤) إلى وليم اندرو برايس W. A. price الوكيل البريطاني في البصرة في الثامن عشر من تشرين الأول ١٧٦٣، وذكر فيها ((... إن تقويض صرح كعب لا يعد مفخرة لي بقدر ما يعد مفخرة لأمتك، وأرجو بأن تثق بأن مساعدتك الفعالة هذه ستلقى من السلطان كل

(١) صالح، زكي، المصدر السابق، ص٨١ ؛ العامر، المصدر السابق، ص٣٠.

(٢) عن هذه الإمارة ودورها السياسي يراجع: النجار، مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ١٨٩٧ – ١٩٢٥، (دار المعارف، مصر، ١٩٧١)؛ نورس، العراق في العهد العثماني... ، ص٢١٦ – ٢٣٦.

(٣) النجار، مصطفى عبد القادر، عربستان وشخصيتها العربية، مجلة الخليج العربي، المجلد، ١٣، العدد ١٢،(البصرة، ١٩٨١)، ص١٧؛ العامر، المصدر السابق، ص٣٢؛ البراوي، المصدر السابق، ص١٥٣.

(٤) نورس، العراق في العهد العثماني...، ص٢١٩.

(٥) النجار، عربستان...، ص١٧؛ النجار، التاريخ السياسي لإمارة عربستان...، ص٤٤.

اعتراف وتعويض.....))[١]، وتأكد ذلك التوافق بين الطرفين من خلال الرسالة الجوابية التي بعث بها وليم اندروبرايس في التاسع عشر من تشرين الأول وجاء فيها ((...ونظراً للصداقة الوطيدة المعقودة بين الأمة البريطانية والباب العالي فقد بعثت بالسفن إلى المكان المعين..)) [٢].

وبناءً على هذا التفاهم بين البريطانيين والعثمانيين فقد شُنت حملات عسكرية مشتركة ضد إمارة كعب خلال الأعوام ١٧٦٣ و ١٧٦٥ و ١٧٦٦ ــ ١٧٦٨[٣]، وبغض النظر عن مسألة النصر والهزيمة التي تبادلتها جميع الأطراف فأن مجريات الصراع في المنطقة دفعت بالسلطة العثمانية في العراق إلى الاعتماد وبصورة كلية على الحماية البريطانية حتى إنها وافقت على دفع مبلغ ألف تومان شهرياً مقابل بقاء أسطول الشركة حامياً للبصرة، وكنفقات أيضاً عن خسائر الشركة في الصراع ضد كعب، الأمر الذي ساهم في ازدياد النفوذ السياسي البريطاني في العراق خاصة والدولة العثمانية عموماً[٤].

وعلى أية حال فإن هذه الهيمنه السياسية والنشاط التجاري الذي عاشته الشركة خلال تلك المرحلة لم تبق نفسها خلال سبعينيات القرن الثامن عشر، فنشاط الشركة التجاري، قد اخذ بالتدهور تدريجياً حتى جاءت الضربة القاسية لهذا النشاط في مطلع عام ١٧٧٣ المتمثلة بمرض الطاعون[٥] الذي لم يستثن بآثاره السيئة جانباً من أنشطة الحياة في البصرة، إذ ورد في تقرير المسترمور Moor المرسل إلى إدارة الشركة في السادس عشر من كانون الثاني ١٧٧٤ ما نصه ((... أن الوفيات في البصرة عددها كان يتراوح يومياً ولمدة شهر واحد تقريباً ما بين ٣-٧آلاف وأخيراً في نحو

---

(١) للإطلاع على النص الكامل للرسالة يراجع: نورس، علاء، وآخرون، امارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية،(دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢)، ص٣٣.

(٢) للاطلاع على النص الكامل للرسالة يراجع: نورس ،امارة كعب......، ص٣٤.

(٣) للتفاصيل حول تلك الحملات يراجع: لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٨١١ ــ ١٨١٥؛ نورس، العراق في العهد العثماني...، ص٢١٩ ــ ٢٣٤ ؛ العامر، المصدر السابق، ص٣٦ ــ ٤٢؛ لونكريك، المصدر السابق، ص٢٠٧ ــ ٢١٠.

(٤) أمين، الشركات التجارية الإحتكارية الإنكليزية...، ص٢١٢ ؛ النجار، التاريخ السياسي لإمارة عربستان...، ص٥٠، العامر، المصدر السابق، ص٤١ ؛ نورس، العراق في العهد العثماني....، ص٢٢٩.

(٥) كيلي، المصدر السابق، ص٨١ ؛ القهواتي، المصدر السابق، ص٢١ ؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٤٦.

٢٥ من شهر مايو ارتفع الوباء فجأة بعد أن ترك سكان البصرة في حالة يرثى لها من الفقر والخراب))[١].

أما في الجانب السياسي فأن الهيمنة السياسية التي حققتها الشركة أخذت بالتذبذب نتيجة لما شهده عقد السبعينيات من تصعيد في الصراع العثماني – الفارسي، لاسيما وأن نقل الوكالة البريطانية من بندر عباس إلى البصرة في عام ١٧٦٣. وإغلاق وكالتها في بوشهر في شباط ١٧٦٩[٢]، وتحول نشاط الشركة التجاري من المحمرة إلى البصرة بعد عام ١٧٧٠[٣] قد فسرت من كريم خان الزند حاكم بلاد فارس (١٧٥٧ – ١٧٧٩)[٤] بأنها خطوات من شأنها (جعل انهيار التجارة الفارسية أمراً محتوماً) [٥] بل إن بارسونز(parsons) يذهب إلى أبعد من ذلك فيشير إلى أن كريم خان الزند كتب رسالة إلى وكيل الشركة فيالبصرة محذراً إياه فيها بـ ((انه طالما إن جميع تجارة الهند تذهب إلى البصرة وعلى يد الإنكليز فأنه سيثأر بتدمير البصرة))[٦].

وبعد إن قرن كريم خان قوله بالعمل، وأطبق حصاره على البصرة في السابع من نيسان ١٧٧٥ وجد البريطانيون بأن موقفهم الحيادي حيال الصراع العثماني – الفارسي أصبح أمرا متعذراً، لذا فقد قاموا بسحب وكالتهم من البصرة إلى بوشهر في الحادي عشر من نيسان ١٧٧٥، بعد أن توصلوا الى اتفاق مع كريم خان يضمن لهم مصالحهم، وعلى الرغم من تعهدهم المسبق للعثمانيين بالبقاء في البصرة طالما بقيت تحت السيادة العثمانية[٧]، وفضلاً عن معارضة بعض مسؤولي الشركة في البصرة

---

(١) نقلاً عن : أبو حاكمة، المصدر السابق، ص١١٨.

(٢) كيلي، المصدر السابق، ص٨١، شهباز ازاد مهر، المصدر السابق، ص٤٥٤.

(٣) ابو حاكمة، المصدر السابق، ص١١٨.

(٤) دخل كجندي في جيش نادر شاه ثم ترقى فأصبح ضابطاً وبرز دوره السياسي بعد فترة الفوضى التي عمت بلاد فارس بعد وفاة نادر شاه، عن دوره السياسي يراجع:
Perry. J. R, Karim khan azanad , A.History of Iran 1747-1779,(London, 1919);
شهباز ازاد مهر، المصدر السابق، ص٤٤٩ – ٤٥٨.

(٥) نقلاً عن : نورس، العراق في العهد العثماني ...، ص٢١٥، ٢٤١.

(٦) نقلاً عن : العامر، المصدر السابق، ص٥١.

(٧) أمين، المصالح البريطانية في الخليج...، ص١٨٦ ؛ ابو حاكمة، المصدر السابق، ص١١٩. وعن تفاصيل الإتفاق يراجع، العامر، المصدر السابق، ص٥٢-٥٤ ؛ نورس العراق في العهد العثماني...، ص٢٦٩.

لهذا الإنسحاب ومنهم الوكيل هنري مور الذي كتب في الأول من تشرين الأول ١٧٧٤ إلى مجلس الإدارة قائلاً ((إن الحفاظ على ممتلكات فخامتكم وحماية تجارة الخليج بشكل عام يعتمد اعتماداً كلياً على سلامة هذه المدينة... أننا بكل تواضع نعرض لفخامتكم اعتقادنا بأنه ليس من العدل والأنصاف بالنسبة لكم أن تقفوا متفرجين لأي مشروع عدواني يوجه لهذا المكان))(١)، غير إن مجرى الأمور سرعان ما تغير على اثر اشتداد المقاومة المحلية في البصرة(٢)، ثم وفاة كريم خان في الثاني من آذار ١٧٧٩، مما أدى إلى انسحاب القوات الفارسية، وعلى إثره أعادت الشركة نشاطها إلى تلك المدينة، لكن صفة الضعف لازمته إلى نهاية القرن(٣).

لم تقتصر انعكاسات الحصار على النشاط السياسي للشركة فحسب، وإنما تعداه إلى المساس بمصالح بريطانيا الإستراتيجية وذلك بتحول طريق البريد البريطاني إلى الكويت بدلاً من البصرة(٤)، بيد أن التدهور في طريق البريد المار عبر العراق لم يستمر طويلاً ، إذ سرعان ما تظافرت عوامل عديدة إعادت له مكانته الأولى في نظر البريطانيين، ذلك أن تعرض قوافل البريد المار بالكويت إلى هجمات الوهابيين قد اثر لأخيراً في وصول أخبار الهند إلى لندن وبالعكس(٥)فضلاً عن حرب الأستقلال الأمريكية (١٧٧٥ – ١٧٨٣) (٦)، التي حتمت على البريطانيين إبقاء طريق البريد المار عبر البصرة تحت سيطرتهم، لاسيما وقد وّفر هذا الطريق للبريطانيين استلام زمام المبادأة في هذه الحرب مرة أخرى، ولهذا لم يرغب البريطانيين التخلي عنه حتى بعد انتهاء تلك الحرب(٧)، خاصة وقد جاءت الثورة

(١) نقلاً عن : أمين المصالح البريطانية في الهند...، ص٢٥.

(٢) عن تلك المقاومة يراجع: حميد حمد السعدون، امارة المنتفك واثرها في تاريخ العراق والمنطقة الإقليمية، ١٥٤٦ – ١٩١٨(عمان، ١٩٩٠)، ص١٠٩-١٣٥.

(٣) كيلي، المصدر السابق، ص٨٧ ؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٥٥.

(٤) الصباح، ميمونه خليفه، علاقات الكويت الخارجية خلال القرن الثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي،العدد ٣٤ السنة ١٣،(بغداد، ١٩٨٨)، ص٨٠.

(٥) العامر، المصدر السابق، ص٦٨ ؛ البراوي، المصدر السابق، ص١٥٤ ؛ الصباح، المصدر السابق، ص٧٣.

(٦) عن حرب الإستقلال الأمريكية يراجع: بالمر، المصدر السابق، ج٢، ص١٦٧-١٧٣ ؛ البطريق، المصدر السابق، ص٣٠١ -٣١٣.

(٧) أمين، المصالح البريطانية في الهند...، ص٢٥ ؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٥٢.

الفرنسية عام ١٧٨٩ بإفرازاتها المتمثلة بإندلاع الحرب بين فرنسا وبريطانيا عام ١٧٩٣، فبرزت نتيجة ذلك أهمية المركز البريطاني في البصرة كونه ((مركزاً متقدماً لنقل بريد الشركة من الهند إلى لندن وبالعكس))[١] ولهذا حينما قرر وكيل الشركة صاموئيل مانستي S.Mansty (١٧٨٦ – ١٧٩٥) نقل مقر الشركة من البصرة الى الكويت في الرابع والعشرين من نيسان ١٧٩٣ لمشاكله مع الجالية اليهودية والسلطة العثمانية في البصرة. لم يقابل هذا الإجراء باستحسان ورضا مجلس الإدارة في لندن، وبعد سلسلة من المكاتبات بين المجلس في لندن وحكومة بومباي ومانستي صدر القرار في نيسان١٧٩٥ بإعادة المركز الى البصرة[٢].

ومما فاقم من قلق البريطانيين، محاولات فرنسا التغلغل في الدولة العثمانية عن طريق إرسالها بعثات تابعت أخبارها وتنقلات شخوصها جميع المراكز البريطانية المنتشرة في الدولة العثمانية[٣] ومن أهم بعثاتها تلك التي ضمت عالمي الطبيعة (اولفيية Olivier) و (بروغيير Burguiere) اللذين أرسل بهما المجلس التنفيذي الفرنسي المؤقت الى الدولة العثمانية ووصلا اسطنبول في آيار ١٧٩٣[٤] في مهمة تهدف ضمن ما تهدف إليه ضم الدولة العثمانية وبلاد فارس إلى جانب فرنسا في تحالف موجه ضد روسيا وبريطانيا[٥]، وبعد جولة دامت زهاء ثلاث سنوات أمضياها بين اسطنبول ومصر والشام. وصلا إلى بغداد في نيسان ١٧٩٦ وأمضيا فيها ستة أسابيع استطاعا خلالها توثيق علاقتهما مع والي بغداد سليمان باشا (١٧٨٠

---

(١) كيلي، المصدر السابق، ص٢٨.

(٢) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٥٣-٥٥ ؛ الصباح، المصدر السابق، ص٨١.

(3) Wilson, Op. Cit. P. 190.

(4) Olivier. G. Voyage Don's Empire Ottoman , I. Egyte et persie 1801 – 1807, Tome I, (Paris,) P. 1-2.

(٥) بعد ان وصل المبعوثان الفرنسيان الى اسطنبول في آيار ١٧٩٣، وجدا نفسيهما وحيدين هناك لأن المواطن (دي سيمونفي De semonville) المبعوث الفرنسي فوق العادة لدى الباب العالي قد غادر اسطنبول لأستدعاءه من قبل حكومته وحل محله المواطن ديكورش (Dekorsh) الذي كان يجهل تماماً مهمتهما، وعليه لم يستطيع المبعوثان اجراء اية اتصالات دبلوماسية مع الساسه العثمانيين تحقق الأهداف التي جاءوا من أجلها، واكتفيا بدراسة السواحل البعيدة لآسيا الصغرى وبعض جزر الأرخبيل من النواحي العسكرية والسياسية والتجارية. العزاوي، محمد عبد الله، نشاط فرنسا السياسي في الخليج العربي والإجراءات البريطانية المضادة ١٧٩٣ – ١٧٩٨، مجلة الخليج العربي، المجلد ١٨، العدد ٣-٤،(البصرة، ١٩٨٦)، ص٣٢.

– ١٨٠٢)، ثم توجها جنوباً إلى البصرة وأطلعا عن كثب على الحركة التجارية هناك. ومن ضمن ما اقترحاه على حكومتهما بهذا الخصوص نقل القنصلية الفرنسية من بغداد إلى البصرة[١]، ثم قرر أعضاء البعثة التوجه إلى بلاد فارس لإتمام مهمتهم فوصلوها في الثاني من تموز ١٧٩٦، وأجروا مباحثات متعثرة مع المسؤولين هناك. لم تسفر عن نتائج سياسية تذكر[٢] إلا انه وبغض النظر عن هذه النتائج فإن تحركات أعضاء البعثة في الأراضي العثمانية والفارسية كانت كفيلة بإثارة قلق الوكالات البريطانية في الدولة العثمانية. إذ كتب المقيم البريطاني في حلب إلى حكومة بومباي موضحاً بأن المهمة السرية لمثل هذه الوفود هي إعداد التقارير عن كيفية الوصول إلى الهند عن طريق بغداد وفارس، لذا فقد قامت حكومة بومباي بإصدار تعليماتها إلى مقيم الشركة في بوشهر، وطلبت منه التنسيق مع مقيمها في البصرة، لتعقب تحركات الوفود الفرنسية والقبض على أعضائها وإرسالهم إلى بومباي، وحينما غادر المبعوثان الفرنسيان بلاد فارس إلى بغداد في كانون الأول ١٧٩٦. حاول وكيل الشركة في البصرة، إقناع وإلى بغداد سليمان باشا بتسليمهما للبريطانيين[٣] لكن شيئاً من ذلك لم يتم اذ غادر عضوا البعثة بغداد إلى اسطنبول في آيار ١٧٩٧ ومنها الى فرنسا التي وصلها اولفيية بمفرده في أواخر العام ١٧٩٨، بعد وفاة زميله بروغيير في انكونا[٤] في الثالث من تشرين الأول ١٧٩٨[٥] فوجد اولفيية بأن حكومة الإدارة الفرنسية قد استبدلت نشاطها السياسي تجاه الدولة العثمانية بتوجه عسكري تمثل بإرسال حملتها على مصر، تلك الحملة التي جعلت من طريق البريد المار عبر العراق ذات اهمية في نظر البريطانيين((تفوق كل ما كان له من قبل))[٦].

لم يكن الطريق المار عبر الشام والعراق هو الوحيد الذي مهد لأتصال بريطانيا بالدولة العثمانية،بل إن طريقاً آخر سلكته التجارة البريطانية تمثل بطريق البحر

---

(١) العقاد، الإستعمار في الخليج العربي...، ص٣٥.

(٢) عن هذه المباحثات يراجع: السراي، فاطمة سلوم، العلاقات الفرنسية الإيرانية ١٨٠٤ -١٨١٤، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠٠٦، ص٢٤ – ٢٦.

(٣) العامر، المصدر السابق، ص٩٦ ؛ العقاد، الأستعمار في الخليج.....، ص٣٥.

(٤) مدينة تقع على الساحل الشمالي الغربي للبحر الأدرياتيكي، يخترقها طريق يربط بين روما وانكونا ويرجع استخدام هذا الطريق الى زمن القوات الرومانية، شريف، إبراهيم، أوربا. دراسة اقليمية لدول اشباه الجزر الجنوبية،(الإسكندرية، ١٩٦٠)، ص٢١٣، ٢١٩.

(٥) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٤٥.

(٦)نقلاً عن : أمين، سجلات يوميات مقيمية البصرة...، ص٢٣٤.

الأحمر. ساهم في تغلغل بريطانيا في بعض الأقاليم العثمانية. ولم يكن ارتياد التجار الإنكليز لذلك الطريق في وقت مبكر بالأمر اليسير، إذ بعد ان سيطر العثمانيون على الأقاليم الواقعة على ضفتي البحر[١] فقد منعت الدولة العثمانية السفن الأوربية من الإبحار شمال ميناء مخا لأعتبارات دينية لا تجيز وصول هذه (السفن المسيحية) قبالة الأماكن المقدسة في الحجاز حيث الحرمين الشريفين[٢].

وتجدر الإشارة إن البرتغاليين قد شددوا الرقابة على البحر الأحمر بعد احتلالهم لسوقطره منذ عام ١٥٠٦، بهدف حرمان المسلمين من مزاياه الإقتصادية، والحيلولة دون إن يكون البحر الأحمر طريقاً تجارياً بين الشرق والغرب[٣] بيد إن ضعف النفوذ البرتغالي في هذه المنطقة لاحقاً فضلاً عن الضائقة المالية التي كان يعاني منها مركز شركة الهند الشرقية الإنكليزية في البنغال بسبب قلة النقد من الذهب والفضة، دفعت البريطانيين للتفكير جدياً بالوصول إلى البحر الأحمر[٤] إذ أن تجارة البحر الأحمر كان أهم ما يميزها أنها مجلبة للعملة النقدية[٥]. ويدعم هذا الأمر رغبة البريطانيين أيضاً لإيجاد طريق أسرع من ذلك المار عبر رأس الرجاء الصالح للمراسلات بين الهند ولندن[٦].

وتتأكد لنا أهمية البحر الأحمر بهذا المجال لو أجرينا مقارنة بسيطة بين طريق رأس الرجاء الصالح وطريق البحر الأحمر في رحلة بين الهند ولندن، فأن حسابات الأرقام تؤكد أن المسافة بين مدخل البحر الأحمر وجبل طارق هي(٦٥٠٠) كم بينما تصل المسافة عبر رأس الرجاء الصالح إلى (١٩٠٠٠) كم وهذا يعني إن الفارق بينهما(١٢.٥٠٠)كم وهو فارق كبير جداً وتزداد نسبته أكثر عندما يراعى عنصرا الزمن والتكاليف التي تتطلبها الرحلة عبر هذين الطريقين[٧]، وحري القول أن طريق

(١) إيفانوف، نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦ – ١٥٧٤، ترجمة، يوسف عطا الله، مراجعة مسعود ظاهر. بيروت ١٩٨٨، ص٨٣-٩٣، ٩٥-١١٩.

(2) Hoskins.H.L.British Routes to India ,(London ,1966) ,p4.

(3) Fisher.W.B.The Middle East,(London ,N.D) ,p159 -160 ;

(٤) حاتم، المصدر السابق، ص٢٢.

(٥) انيس، محمد، النشاط الأوربي بمصر وجيرانها اواخر القرن الثامن عشر – مصادره – وثائقه، المجلة التاريخية المصرية، العدد ٢، المجلد ٢، (القاهرة، تشرين الأول، ١٩٤٩)، ص١١٣.

(٦) بولارد، المصدر السابق، ص٢٦.

(٧) المشايخي، علي خضير، السياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٧٩٨ – ١٨٨٢، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية لآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص٨.

البحر الأحمر يعد أسرع من طريق الخليج العربي بعد الأخذ بنظر الاعتبار طول المسافة البرية التي تقطعها القوافل بين البصرة والأسكندرونة مقارنة بالمسافة البرية بين السويس والإسكندرية(١).

لذا فقد قرر الإنكليز مد اتصالاتهم إلى اليمن الخاضع وقتئذ للسيادة العثمانية، وإرسال بعوثهم إلى هناك، فكانت أولى محاولاتهم في عام ١٦٠٧، حيث أرسلت شركة الهند الشرقية الكابتن وليم كينج W.Keng إلى مدينة عدن، بهدف تأسيس وكالة تجارية ، لكن هذه المحاولة كان نصيبها الفشل بسبب إصرار العثمانيين على حماية الثغور الجنوبية من أي تدخل اوربي(٢) ثم كرروا المحاولة ثانية في عام ١٦٠٩ حينما أرسلت الشركة الكابتن اكسندر شاربي A.Sharpy الى عدن لغرض إقامة وكالة تجارية، لكن الرحلة كانت أكثرفشلاً من الأولى(٣). إلا إن هذا الفشل لم يمنع الشركة من إرسال بعثة اخرى في عام ١٦١٠ بقيادة الأدميرال سيرهندي مدلتون H.Middleton وعلى الرغم من زيارة مدلتون إلى عدن، لكنه لم يستطيع ان يؤسس علاقات تجارية لبلاده مع اليمن العثماني(٤).

حقق الإنكليز أول اتصال ناجح مع اليمن بإرسالهم الكابتن جون ساريز J.Saris في عام ١٦١٢، يقود ثلاثة سفن تجارية إلى ميناء مخا(٥)، والسر في نجاح هذه البعثة انها وصلت في وقت استثنت فيه الحكومة العثمانية ميناء مخا من التحريم(٦) ولعل ذلك نابع من إدراك العثمانيين إن الحصول على عوائد التجارة من ميناء مخا في حالة فتحه أفضل بكثير من عوائد مصر التي تذهب اغلبها لحكامها المماليك(٧)، الأمر الذي مهد السبيل لتأسيس وكالة تجارية إنكليزية في مخا في عام

---

(١) العقاد، الاستعمار في الخليج العربي....، ص٢٢-٢٣.

(٢) اباضة، فاروق عثمان، الحكم العثماني في اليمن، ١٨٧٢ -١٩١٨، (القاهرة، ١٩٧٥)، ص٢٦.

(٣) أشار المؤرخ البريطاني كور Kour بان هذه المحاولة كانت هي الأولى للاتصال باليمن.

Kour. Z. H, The History of Aden 1839-1872,(London, 1981), P. 4.

(٤) الصياد، محمد محمود، الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٤،(بغداد، ١٩٨٠)، ص٥٤.

(٥) طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩)، ص٢٥.

(٦) انيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ -١٩١٤،(مطبعة الأنجلو المصرية د.ت)، ص٢٧.

(٧) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص٣٩.

١٦١٨، على يد الكابتن (شلن Shillin)، الذي وصل إلى المنطقة على ظهر السفينة (آن رويال Ain Royal)، وحددت السلطات العثمانية في صنعاء الضريبة الواجب على البريطانيين دفعها بـ ٣% تدفع عيناً أو نقداً[١]، ويمكن إدراك مدى قيمة تلك الإمتيازات بالمقارنة مع التجار الهنود والفرس الذين كانوا يدفعون ما نسبته ١٦%، أما الهولنديين فلم يتمكنوا من تصديق الوعد الذي حصلوا عليه من حاكم مخا العثماني بدفع نسبة ٣.٥ على بضائعهم، مما دفع قائد البعثة الهولندية (فان دي بروك V.De brok) إلى مغادرة البلاد والعودة إلى الهند[٢].

لم يقف البريطانيون عند هذا القدر من الإمتيازات، بل أخذوا يتطلعون الى المزيد[٣] ويقف وراء هذا التطلع مجموعة من العوامل من بينها ادراك البريطانيين للضعف الذي اخذ ينتاب سياسة المنع العثماني، وتمكن السفن الأوربية نتيجة ذلك الضعف من الرسو في ميناء جده، بترحيب من أشراف مكه الذين شجعوا هذه الخطوة لأعتبارات اقتصادية[٤] اما العامل الثاني فيعود إلى ظهور الفرنسيين كمنافس قوي للبريطانيين في البحر الأحمر[٥]، وتمكنهم من فتح وكالة تجارية في مخا في العام

(1) Kour. Op. Cit, P. 5.

(٢) طه، المصدر السابق، ص٢٧ – ٢٨.

(٣) بعد أن وطدت الشركة اقدامها في اليمن فقد اخذت تتطلع الى الأتصال مع موانيء البحر الأحمر الأخرى، ولهذا فقد اخذت ترسل تجارها لدراسة امكانية تحقيق هذه الغاية، ومن بين من ارسلتهم التاجر(اوفينجتون Ovington) وقد طاف ذلك التاجر بين موانيء البحر الأحمر طيلة السنوات ١٦٩٠ – ١٦٩٣، فوصف ميناء جده بانه رئيسياً للتجارة القادمة من الهند، وبحلول العام ١٧٠٠ فقد اكد التاجر دانيال Daniel وجود وكالات بريطانية في جده وينبع، الحمدي، صبري فالح ،الحجاز خلال القرن الثامن عشر اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية الجامعة المستنصرية، ١٩٩٦، ص١٨، ١٤٢.

(٤) أنيس، الدولة العثمانية...، ص١٨٧، العقاد الاستعمار في الخليج ٠٠٠، ص٢٣.

(٥) كان للفرنسيين بعض المميزات التي تؤهلهم للقيام بدور المنافس القوي للبريطانين في الدولة العثمانية عامة والبحر الاحمر خاصة، واول هذه المميزات ان لهم امتيازاتهم القديمة في الدولة العثمانية =التي تؤكدها المعاهدات المعقودة بين الطرفين. أنيس، النشاط الاوربي بمصر وجيرانها، ٢٠٠٠، ص١١٤، وثانياً ان لفرنسا صلاتها الاقتصادية القوية مع الاقاليم العثمانية لاسيما مصر وسوريا، فعن صلاتها مع مصر التي اساسها تجارة مرسيليا معها يراجع: علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ج١، المجلد الرابع، موسوعة الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر ترجمة زهير الشايب القاهرة، ١٩٧٨، ص ، وأما عن صلاتها مع سوريا فيراجع: ريان، محمد رجائي، مصالح فرنسا الاقتصادية في سوريا ١٥٣٥-١٩٢٠، مجلة دراسات تاريخية، السنة ٨ العددان٢٧، ٢٨،(دمشق، ١٩٧٨)ص٣٣-٤٩، وثالثاً فأن للفرنسيين محاولاتهم السابقة لاحياء الطريق البحري المار عبر البحر

١٧٠٩[١]لكن تلك المنافسة لم تستمر طويلاً فسرعان ما ألقت حرب السنوات السبع بانعكاساتها على النشاط الفرنسي في البحر الأحمر، متجلياً ذلك بغلق الوكالة الفرنسية في عام ١٧٦٢[٢] وعليه فقد أصبح البريطانيون هم الوحيدين القادرين على القيام بدور فعال في المنطقة.

لقد شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر متغيرات مهدت السبيل للاندفاع البريطاني إلى القسم الشمالي من البحر الأحمر، وتتركز تلك المتغيرات في كل من مصر والهند[٣]فضلاً عن الحسابات الاستراتيجية للبريطانيين التي يمكن النظر إليها على انها رد فعل على الخطط الفرنسية التي ظهرت بعد توقيع معاهدة باريس لعام ١٧٦٣، إذ فُسرت هذه الخطط على أنها محاولات فرنسية لاستعادة نفوذ فرنسا في الهند[٤].

أما فيما يتعلق بالمتغيرات التي شهدتها مصر، فيتلخص أمرها بتلك الحركة الاستقلالية التي قام بها علي بك[٥] عن الحكومة المركزية في اسطنبول عام ١٧٦٩، ثم اتجاه أنظاره إلى التوسع وغزوه الحجاز في عام ١٧٧٠[٦]، ورغبته في تشجيع

الأحمر. وللتفاصيل عن هذه المحاولات يراجع: هيو. ج، شونفيلد، قناة السويس، ترجمة احمد خاكي، (القاهرة، ١٩٤٥)، ص٧-١٠.

(1) Kuor, Op. Cit., P. 5.

(٢) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الاحمر.....، ص٤٦.

(٣) انيس، الدولة العثمانية......، ص١٨٧.

(٤) العزاوي، محمد عبد الله، المصدر السابق ص٢٩؛

http//:www.al-arabay.com/articles/1018/060723-1010

(٥) ولد في عام ١٧٢٨ في القوقاز ثم بيع كمملوك في مصرفي العام ١٧٤٣، وبعد وفاة سيده إبراهيم بك اصبح مسؤول سنجقيته في العام ١٧٤٩، أصبح شيخاً للبلد في العام ١٧٦٠، ودخل في صراع مع منافسيه حتى استقرت له الامور في عام ١٧٦٨، عنه وعن دوره السياسي يراجع: يحيى، جلال، المجمل في تاريخ مصر الحديث، ط٢ (الاسكندرية،١٩٨٤) ص١٠٩-١١١.

(٦) استغل علي بك في فتح الحجاز طلب المساعدة الذي تقدم به عبد الله بن حسين آل بركات ضد منافسه أحمد بن سعيد آل زيد وهم من أشراف مكة. للتفاصيل يراجع: جارشلي، إسماعيل حقي أوزون، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، منشورات مركز دراسات الخليج العربي،(البصرة، ١٩٨٥)، ص١٤٥.

التجارة البريطانية مع موانئ جده والسويس، مما حفز البريطانيين على زيادة اهتمامهم بالبحر الأحمر وتوسيع نطاق تجارتهم إلى هذه الموانئ[١].

وإما الهند فتمثلت متغيراتها بالأزمة المالية التي تجددت فيها ابتداءً من عام ١٧٧٠ وظهرت بشكل واضح عام ١٧٧٢، الأمر الذي تطلب من البريطانيين زيادة حجم تبادلهم التجاري مع أقاليم البحر الأحمر، ولهذا يعد البعض هذه ألازمة هي (سر النشاط الذي أصاب الفرع التجاري البريطاني في البحر الأحمر)[٢].

تفاعلت هذه المتغيرات لتدفع البريطانيين إلى اتخاذ خطوة أكثر جدية، إذ تقدم احد التجار البريطانيين بأقتراح إلى علي بك في عام ١٧٧٠ ضمنه فكرة فتح طريق مباشر بين الهند وميناء السويس، وعلى اثر ذلك جرت مراسلات بين علي بك والحاكم العام في الهند، اسفر عنها التوصل إلى اتفاق يقضي بتسهيل وصول السفن البريطانية إلى جده والسويس، وحماية علي بك للتجارة البريطانية في مصر[٣].

بيد إن ذلك الاتفاق لم يدم طويلاً بسبب الصراع السياسي بين علي بك ومملوكه محمد بك أبو الذهب، حيث تمكن الأخير من السيطرة على مقاليد الأمور في مصر أوائل عام ١٧٧٣[٤] الأمر الذي اضطر الشركة إلى إرسال الرحالة والتاجر البريطاني (جيمس بروس J.Brous) للتفاوض مع أبي الذهب، فتم التوصل إلى اتفاق جديد في شباط ١٧٧٣، وتضمن تعهد محمد بك بتسهيل أمورا لتجارة البريطانية في القاهرة والسويس، مع منحهم تخفيضاً ضريبياً من ١٤% - ٨%[٥] لكن هذا الاتفاق لم يستمر أيضاً، بسبب معارضة السلطان العثماني مصطفى الثالث (١٧٥٧ –

---

(1) Huseyn.E., Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, (Cambridge, 1964), P.18 .

ومن الجدير بالذكر إن البريطانيين سبق وان عرضوا على علي بك فتح الطريق التجاري عبر البحر الأحمر، وتولى هذه المهمة الرحالة جيمس بروس، الذي ناقش الأمر مع علي بك في حزيران ١٧٦٨، لكن الظروف التي كان يمر بها علي بك لم تكن تساعده على اكثر من دراسة هذه الأفكار، إذ انه كان يعي ان تطبيقها على ارض الواقع يتطلب منه اولاً السيطرة على ميناء جدة.

Searight, Op. Cit, P. 77.

(٢) انيس، النشاط الأوربي....، ص١١٤.

(٣) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص٤٩.

(٤) للتفاصيل حول ذلك الصراع يراجع: يحيى، جلال، مصر الحديثة ١٥١٧ – ١٨٠٥،(الإسكندرية د.ت)، ص٢٥٨ – ٢٧٠.

(٥) بولارد، المصدر السابق، ص٢٧.

١٧٧٤) وإصداره فرماناً نص على منع السفن الأوربية من التوغل في مياه البحر الأحمر بين جده والسويس[١].

غير ان البريطانيين لم يكونوا على استعداد للتراجع والعدول عما حققوه من تقدم تجاري في البحر الأحمر، ولهذا فقد أخذوا يحاولون الإلتفاف على قرار المنع العثماني بتوجيه سفنهم مباشرة الى السويس طيلة العام ١٧٧٤[٢].فضلاً عن اقدام الحاكم العام للهند (وارن هستنكز W. Histenks) (١٧٧٤ – ١٧٨٥) على عقد اتفاق جديد مع أبي الذهب في السابع من آذار ١٧٧٥ تضمن تخفيض الضرائب إلى ٦.٥ %مع إمكانية دفعها نقداً أو عيناً، بالإضافة إلى قيام حاكم مصر بتامين حماية البضاعة البريطانية المنقولة من ميناء السويس إلى القاهرة[٣] وقد علق (جورج بالدوين G.Baldwen)ممثل الشركة في مصر على ذلك الاتفاق قائلاً ((لقد مزجنا في كؤوسنا مياه الكنج والتايمز والنيل وشربنا من على قمة الهرم نخب رضا انكترا))[٤].

كانت هناك بعض الجهات التي لمست في الأتفاقية ضرراً على نشاطها الاقتصادي. وفي مقدمة هذه الجهات كان الأشراف في الحجاز، خاصة حين نجحت بعض السفن البريطانية من كسر الطوق المتضمن احتكار تجارة البن بين موانيء البحر الأحمر، الأمر الذي دفع اشراف مكه الى الشكوى لدى الحكومة العثمانية[٥]، وتأثر نشاط شركة الشرق الأدنى بذلك الاتفاق ايضاً، حتى ان القائمين على الشركة اعتقدوا ان تجارتهم ستنهار تماماً إذاما فُتح البحر الأحمر بوجه التجاره الأوربية، ولهذا فقد اعربت الشركة عن رفضها المطلق لهذه المعاهدة، وقدمت التماساً الى الباب العالي عن طريق سفير بريطانيا في اسطنبول (روبرت اينسلي R.Ainsilie) (١٧٧٥ – ١٧٩٤) لإصدار فرمان يحرم فيه التجارة في البحر الأحمر[٦]. أما

(١) الحمدي، المصدر السابق، ص١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٧.

(٣) وقعها عن الحاكم العام للهند الكابتن شو Shaw. وللإطلاع على نص الأتفاق يراجع : خوري وآخرون، المصدر السابق، ص٢٤٧ – ٢٤٩.

(٤) نقلاً عن : المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص٥١.

(٥) العقاد، الأستعمار في الخليج...، ص٢٤.

(٦) للمزيد من التفاصيل حول موقف شركة الشرق الأدنى يراجع:

Wood , Op . Cit, p162 – 170

المسؤولين العثمانيين فقد عارضوا هذه الإتفاقية، ورفضوا كل ما ورد فيها، لأنه يمس بالسيادة العثمانية، بعد ان حذروا المماليك من مغبة التمادي في مثل تلك الإجراءات[١].

وقبل ان تحصد الأطراف الموقعة على الاتفاق ثمار مغامرتها، وتجني الأطراف المعارضة ثمار معارضتها، توفى أبو الذهب بصورة مفاجئة في أوائل عام ١٧٧٦، فجاء ذلك منسجماً مع رغبات الباب العالي، الأمر الذي أصبح معه الأتفاق في عداد المهملات، لأن خليفتي أبو الذهب مراد بك وإبراهيم بك لم يحترما الأتفاق[٢] كما أن الباب العالي أصدر فرماناً في عام ١٧٧٧ الغىفيه رسمياً ما ورد في ذلك الاتفاق، ومنع الملاحة مجدداً بين جده والسويس[٣]، فما كان من الحاكم العام في الهند إلا وأصدر هو الآخر قراراً في عام ١٧٧٨ يمنع فيه السفن البريطانية من نقل سلع الهند إلى مصر وبالعكس، وذلك بسبب المخاطر الجسيمة التي أخذت تتعرض لها السفن البريطانية بعد وفاة أبو الذهب[٤]، ومما زاد الأمور تعقيداً القاء السلطات العثمانية القبض على تاجر بريطاني في اسطنبول يدعى (وولي Wolly) كان قد حضر بمهمة من الهند في عام ١٧٧٩، فعثر بين أوراقه على كتاب من الأميرال (هوكز Hokz) قائد القوات البريطانية في الهند، موجه الى كل من شريف مكة وحاكم مصر، وفيه دعوة صريحة لتجديد الأتفاق الذي عقده هاستنكس مع أبي الذهب[٥]، وعلى ضوء ذلك يمكن القول ان المشروع البريطاني في البحر الأحمر أصابه الشلل والتوقف خلال عامي ١٧٧٨ ــ ١٧٧٩[٦].

لم يستمر توقف النشاط البريطاني طويلاً، ففرنسا ومنذ إن وقعت معاهدة باريس عام ١٧٦٣، أخذت تطرح خططها لأستعادة مكانتها في الهند، حيث أكدت جميع تلك الخطط استخدام الطريق الملاحي عبر البحر الأحمر، أو الطريق المار عبر الخليج العربي وسيلة لتطويق النفوذ البحري البريطاني في المحيط الهندي[٧]،

---

(١) يحيى، المجمل في تاريخ مصر...، ص١٥٠.
(٢) انيس، الدولة العثمانية...، ص١٨٨.
(٣) خوري ، المصدر السابق، ص٣٨ ؛ الحمدي، المصدر السابق، ص١٤٨.
(٤) عبد الكريم، المصدر السابق، ص٥٧.
(٥) خوري، المصدر السابق، ص٣٩ ؛ الحمدي، المصدر السابق، ص١٤٨.
(٦) انيس، الدولة العثمانية...، ص١٨٨.

(7) Hoskins , Op. Cit., P. 27.

لهذا وكرد فعل على اتفاقية هستنكز – أبي الذهب فقد أرسلت فرنسا في كانون الأول ١٧٨٥ أحد ضباط بحريتها المدعو (تروجيه Trogie) إلى مصر، فتمكن هذا من عقد ثلاث اتفاقيات الأولى مع مراد بك وتضمنت الترحيب بالتجار الفرنسيين وتوفير الحماية لهم، والثاني مع يوسف كساب ملتزم الكمارك العام وتعهد فيه بعدم زيادة الرسوم الكمركية على البضائع الفرنسية، والثالث مع الزعيم القبلي ناصر شديد وتعهد فيها بنقل البضائع الفرنسية بين السويس والقاهرة(١).

وعلى الرغم من الأمتيازات التي حصل عليها الفرنسيون طبقاً لهذه الإتفاقات التي تبدو أكثر أهمية مقارنة بما حصل عليه البريطانيين إلا أنها في الواقع لم تترجم بصورة عملية بسبب موقف الحكومة العثمانية الرافض لها(٢)، ومع ذلك فقد كانت كافية لإثارة مخاوف البريطانيين ودفعهم للتفكير بجدية حول نوايا الفرنسيين الآنية والمستقبلية حول مصر(٣). وأخذت الأصوات تتعالى في لندن محذرة من مخاطر استيلاء فرنسا على طريق البحر الأحمر، حيث لخص الكولونيل (جيمس كابر J.Capper) احد أعضاء شركة الهند فرضيته في كتابه المطبوع عام ١٧٨٥قائلاً : ((إن من الحماقة إن تعتمد إنكلترا على طريق ربما حل محله طريق آخر فقد تدهورت الدول القديمة، وفقدت ما كان لها من تفوق بنفس هذه الطريقة.... لم يفقد البنادقة تجارة الهند لعنف حربي قضى عليهم ولا لدهاء استخدم ليحرمهم إياها، بل ماتت تجارتهم من نفسها لأن البرتغال وأمم أخرى اتخذت طريق رأس الرجاء الصالح... وأن من لا يدرك ذلك الخطر، فهو شخص يجهل الكثير ولا يعرف إلا القليل من مباديء السياسة والتجارة...))(٤).

المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص٥٣ ؛

http//www.al-araaby.com/articles.

(١) محمود، صالح رمضان، الصراع الإنكليزي الفرنسي في مصر ١٧٦٣ – ١٨٨٢، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٧ تموز، (الكويت، ١٩٧٦)، ص٧١ – ٧٢؛الصياد، سامي صالح ، الصراع البريطاني الفرنسي على مشروع قناة السويس، أطروحة دكتوراه قدمت الى كلية الاداب – جامعة بغداد، ٢٠٠٦، ص٤٠؛

Hoskins , op, cit.P. 29.

(٢) يحيى، جلال، البحر الأحمر والأستعمار، (القاهرة، ١٩٦٢)، ص٢١.

(٣) للتفاصيل يراجع: الجمل، شوقي عطا الله، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر،(القاهرة، ١٩٧٤)، ص١٩ – ٢٠.

(4) Quoted in : Hoskins. Op. Cit., P. 32-33.

وأنبرى يؤيد هذا الرأي ايضاً جورج بالدوين محذراً حكومته بالقول ((إذا استولت فرنسا على مصر فسوف تملك بين يديها المفتاح الأول والأخير لكل محطات التجارة في العالم...وتستطيع ان تجعل من مصر مركزاً يقذف الهلع في العالم الشرقي... وسوف تدهم أعدائها بقواتها العديدة في أي وقت شاءت... وسوف تكون ممتلكات إنكلترا في الهند تحت رحمة فرنسا...)) [١].

وبناءً على ذلك فقد عينت بريطانيا جورج بالدوين قنصلاً لها في مصر مزودا بتعليمات من وزير خارجيته اللورد (كار مارتن C. Martin)على ان يسعى لعقد اتفاقية تتضمن امتيازات مشابهة لتلك التي حصل عليها الفرنسيون وفي مدة أقصاها سنة واحدة وان يكون اتصاله مع الخارجية البريطانية لا مع شركة الشرق ألأدنى كما هي العادة سابقاً[٢]، بيد ان بالدوين الذي وصل مصر في مطلع العام ١٧٨٦ لم يوفق بعقد اتفاق مع مراد بك وإبراهيم بك إلا في عام ١٧٩٤[٣] وعلى غرار الأتفاق الفرنسي – المصري، إلا ان ذلك الإتفاق لم يدخل هو الأخر حيز التطبيق العملي بسبب رفض الحكومة العثمانية له وحرص البريطانيين على عدم إثارة أية مشكلة مع هذه الحكومة لكي يحولوا دون حصول أي تقارب عثماني – فرنسي يكون بالدرجة الأساس موجه ضد مصالح بريطانيا في المنطقة[٤] لاسيما وقد لاحظ البريطانيون وصول بعثة العالمين اولفييه وبروغير إلى مصر في نفس العام ١٧٩٤ وبقاؤهم فيها حتى أيار ١٧٩٥، التي كثيراً ما خشي البريطانيون خطر تفاقم أمرها[٥] وخلال الفترة التي تلت ذلك لم تعر بريطانيا مصر أي اهتمام حتى الإحتلال الفرنسي لها عام

---

(١) نقلاً عن: شونفيلد، المصدر السابق، ص١٣-١٤.

(2) Hoskins , Op. Cit., P. 34;

الصياد، الصراع البريطاني - الفرنسي...، ص٤٠.

(٣) عندما وصل بلدوين الى مصر، وجد ان الموقف قد تغير فيها، فقد ارسلت الدولة العثمانية حملة تأديبية بقيادة حسن باشا الجزائرلي لوضع حد لأنفراد المماليك بالسلطة، ففر كل من مراد بك وإبراهيم بك الى الصعيد ولم يعودوا الى القاهرة إلا بعد انسحاب حسن باشا في عام ١٧٩٢، فاستطاع بلدوين الأتصال بالرجلين وعقد معهم المعاهدة المذكورة اعلاه، وللتفاصيل يراجع:

Vaujany. H. Histoire Del' Egypt,(Paris, 1885), PP. 339-342; Hokins, op cit ,p 43-45.

(٤) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر، ص٥٤.

(٥) ابراهيم ، عبد العزيز عبد الغني ، المصدر السابق، ص٦٥.

١٧٩٨[١]، ذلك الحادث الذي اعتقدت معه بريطانيا أن ارجحيتها في الدولة العثمانية أصبحت امراً لابد منه للحفاظ على مصالحها فيها من جهة، ولأبعاد الخطر عن الهند من جهة أخرى.

ثالثاً : الموقف البريطاني من الصراع الأوربي – العثماني في القرن الثامن عشر:

أخذت علامات الضعف تتضح على الدولة العثمانية منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر، ولأسباب عديدة داخلية[٢] وأخرى خارجية، انعكست بالتدخلات الأوربية في الشؤون العثمانية، وأخذ اثر هذه التدخلات يزداد بشكل مؤثر منذ نهاية القرن السابع عشر ومطلع الثامن عشر، لاسيما بعد بروز كل من روسيا والنمسا كقوتين متنافستين ترومان التوسع على حساب الدولة العثمانية[٣].

قرر القيصر الروسي بطرس الأول Peter I (١٦٨٢- ١٧٢٥)[٤] في عام ١٦٩٥ إعلان الحرب على العثمانيين في محاولة منه لتحقيق برنامجه السياسي الرامي للوصول الى المياه الدافئة في البحر الأسود، ومن ثم السيطرة على المضائق العثمانية[٥] حتى يتسنى له ((إيجاد منافذ لروسيا تستطيع معها التنفس)) [٦] ولأن ((من يحكم اسطنبول يمكنه أن يحكم على الدنيا كلها)) حسب قوله[٧]، لذا فقد ركزت

---

(١) أنيس، الدولة العثمانية....، ص١٨٩.

(٢) مرشو، غريغوار، الدولة العثمانية، قراءة جديده لعوامل الأنحطاط، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢١٧، مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت، ١٩٩٧)، ص١٣٩. وللتفاصيل حول تلك الأسباب يراجع فريدون آمجن، "الدولة العثمانية منذ قيام الدولة حتى معاهدة قينارجة الصغرى" ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)، المجلد الأول، ص٤٨-٥١.

(3) Toynbee. A, Turkey,(London , 1926), P. 33;

صفوت، محمد مصطفى، المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، معهد الدراسات العربية العالية، (القاهرة، ١٩٥٨)، ص٢..

(٤) ولد في موسكو في التاسع من حزيران ١٦٦٢، ارتقى العرش الروسي بعد مدة من وصاية أخته صوفيا عليه منذ العام ١٦٨٢، كانت أقصى طموحاته تحقيق منفذ بحري لروسيا.

Encyclopedia Britannica,U.S.A., Vol 14, P. 157..

(٥) صاغ بطرس برنامجه السياسي في وصية من اربعة عشر فقرة تركها لخلفاءه، للأطلاع عليها يراجع: جودت، احمد اسماعيل، تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر الدنا، ج١، (بيروت ١٨٩٠)، ص٣٩٥-٣٩٨.

(٦) نقلاً عن: شطب، جاسم محمد، العلاقات السوفيتية التركية، ١٩١٧ – ١٩٢٣، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص١٤.

(٧)نقلاً عن: المحامي، المصدر السابق، ص١٥٤.

سياسته الخارجية تجاه الدولة العثمانية على ثلاث مسائل: **اولاً** العمل على اخراج العثمانيين من اوربا، **ثانياً**توسيع الحدود الروسية جنوباً باتجاه الدولة العثمانية، **ثالثاً** تعزيز النفوذ القومي والديني لروسيا في البلقان بوصفها حامية للسلاف الأرثوذكس الذين يشكلون الأغلبية في هذه المنطقة[١].

وفي عام ١٦٩٦ تمكن الروس من الإستيلاء على قلعة ازوف(Azof) مستغلين انشغال الدولة العثمانية بحربها على الأراضي المجرية[٢] وفي محاولة من القيصر لتوسيع دائرة حلفه ضد العثمانيين. فقد تمكن في شباط ١٦٩٧ من إقناع النمسا والبندقية بتشكيل تحالف هجومي موجه ضد الدولة العثمانية[٣] أعقب ذلك في آذار من نفس العام ببعثة ضمته شخصياً إلى بلدان أوربا الغربية، تجاوزت أهدافها الإطلاع على أوضاع أوربا واقتباس الصالح منها[٤] إلى هدف سياسي يتلخص في تعزيز وتوسيع الحلف ضد الدولة العثمانية[٥] وعلى الرغم من بقاء بطرس في لندن لمدة أربعة اشهر لكنه فشل في تحقيق هدفه السياسي[٦].

ويعزى ذلك الفشل إلى تطورات اخذ يشهدها الموقف الدولي سواء أكان في الشرق الأدنى أم في أوربا، ففي الشرق لم يكن التوسع الروسي تجاه البحر الأسود يتلاءم ومصلحة بريطانيا وهولندا، لتخوفهما على مصالحهما التجارية فيه من المنافسة الروسية[٧]، أما في أوربا فقد كان النزاع حول مشكلة الوراثة

---

(١) شطب، المصدر السابق، ص١٤.

(2) Lenczwski. G. The Middle East in world Affairs,(London , 1980), P. 27;

جودت، المصدر السابق ، ترجمة عبد القادر الدنا، ج١، ص٢٧.

(٣) Vernadsky , Political and Diplomatic History of Russia ,(Boston , 1936), P. 226-227.

(٤) للتفاصيل حول هذه البعثة يراجع: مجلة المقتطف، الجزء ألأول من المجلد الثالث والأربعين،(بيروت، تموز ١٩١٣)، ص٤-٦.

(٥) التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية المرحلة الأولى ١٧٧٤ ــ ١٨٥٦،(بغداد، ١٩٩٠)، ص٣٠.

(6) Anderson. M. Britain's Discovery of Russia 1553-1815,(London, 1958), P.49-51.

(٧) العبيدي، احمد ناطق، مضائق البسفور والدردنيل ١٧٧٤-١٨١٥، دراسة تأريخية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية إبن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص٤٨.

الأسبانية(١٧٠٢-١٧١٣) [1] قد أخذ شكلاً جدياً مما ترتب عليه حدوث اصطفافات في الموقف الدولي، فأصبحت بريطانيا وهولندا ترغبان القيام بدور الوسيط بين الدولة العثمانية والنمسا لسحب الأخيرة من هذا الصراع لتنضم إليهم في الصراع الجديد [2]. وبطبيعة الحال فأن كل ذلك كان يصب في مصلحة الدولة العثمانية خاصة أنها كانت عاجزة عن مواصلة القتال بسبب ظروفها الداخلية السيئة[3].

وعليه فقد تحرك السفير البريطاني اللورد باجت (Paget) (١٦٩٢ – ١٧٠٢) والسفير الهولندي كولير (Coller) في وساطة لتقريب وجهات النظر بين الحكومة العثمانية من جهة والنمسا وبولندا والبندقية من جهة أخرى، وجرت مفاوضات في النمسا استمرت للمدة ١٦٩٨ – ١٦٩٩ تمخض عنها التوقيع على معاهدة كارلوفتز (Karlovitz) في السادس والعشرين من كانون الثاني ١٦٩٩، تنازلت فيها الدولة العثمانية عن بعض مقاطعاتها الأوربية إلى النمساويين والبنادقة، مقابل تحييد هؤلاء في مسألة الصراع العثماني – الروسي[4].

ومما يجدر ذكره في هذا السياق، ان الحكومة الروسية شعرت بأن اهدافها من الحرب لم تتحقق، لاسيما وأن مضيق كيرج Kerch، لا يزال بيد العثمانيين، لذا فإن المندوب الروسي لمؤتمر كارلوفتر فوزنتسيف(Fozentsev) حاول أقناع حلفائه بالعدول عن الصلح. إلا ان جهود السفيرين الإنكليزي والهولندي افشلت محاولاته الأمر الذي اقنع الروس بعدم جدوى الاستمرار في الحرب فتم التوقيع على هدنة أمدها سنتان في الرابع والعشرين من كانون الثاني ١٦٩٩[5].

---

(١) تسلم شارل الثاني عشر(Charles XII) عرش اسبانيا في عام ١٦٩٥وكان مريضاً وموته متوقعاً في أي لحظةدون ان يترك وريثاً للعرش، فظهر نتيجة ذلك عدد من المطالبين بالعرش بعده، وكان احدهم لويس الرابع عشر(Lewis XIV) ملك فرنسا بسبب زواجه من ماريا تريزا(Marry Tereza)أخت شارل الثاني عشر، الأمر الذي تطيرت منه بريطانيا وهولندا. للتفاصيل يراجع: البطريق، المصدر السابق، ص٢١٥ – ٢١٩.

(٢) التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص٣٠.

(3) Show Stanford , History of Ottoman Empire and Modern Turkey , Vol. I , Empire of the Gazis. The Rise and Decline of the Ottoman Empire 1280-1808, (Cambridge university press, 1976), P. 223.

(4) Creasy. E. S, Turks,(London, 1958), PP. 318 -322.

(5) Ibid., P. 320;

التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص٣١.

أن فشل روسيا في تحقيق أي اتصال بالبحر الأسود عن طريق المجهود الحربي دفعها إلى انتهاج السبيل الدبلوماسي لتحقيق غاياتها، فأرسلت بعثة أناطت قيادتها بالسفير الروسي في اسطنبول (اوكراينتسيف Ukraintsev) لإجراء مباحثات مع العثمانيين حول توقيع معاهدة سلام وتجارة تتيح من خلالها لروسيا حرية الملاحة في البحر الأسود، وخلال اللقاء الذي جمع السفير الروسي بالسلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥ – ١٧٠٣) في الثاني والعشرين من نيسان ١٧٠٠ رفض السلطان الاقتراح الروسي قائلاً ((أسمح للروس أن يدخلوا سرايي الهمايوني، اما جولانهم في البحر الأسود فأن سماحي الشاهاني، لا يمكن أن يشمل ذلك أبداً)) [١]، وأستطرد قائلاً فـ ((البحر الأسود في نظر العثمانيين بكر لا يحق ولا يجوز لأحد ان يمسها)) [٢]. وكان السبب وراء تصلب العثمانيين في موقفهم هو التأييد البريطاني والهولندي لهم في هذا الإتجاه، لذلك ليس من الغريب ان تستمر المفاوضات بين الطرفين ثلاثة اشهر حتى تم التوقيع على معاهدة بينهما في تموز ١٧٠٠[٣].

شعر بطرس الأول بأن العثمانيين ومن ورائهم البريطانيين والهولنديين يقفون عائقاً حقيقياً بوجه طموحات روسيا في البحر الأسود، لذا فقد قرر أن يتجه بتوسعاته شمالاً نحو بحر البلطيق، وتجدر الإشارة إلى إن ذلك الأتجاه الجديد في التوجه الروسي جاء متواقاً مع المصلحة العثمانية، وذلك بأن العقد (١٧٠٠ – ١٧٠٩) الذي انشغلت فيه روسيا في حربها ضد السويد، كانت الدولة العثمانية تمر فيه بفترة من أسوأ فتراتها، التي نكتفي للتدليل عليها بالقول بأن ذلك العقد شهد تبدل تسعة صدور عظام وتزداد قيمة هذا الرقم إذا ما علمنا إن صدراً أعظما واحداً هو نعمان باشا بقي في منصبه لمدة أربع سنوات بينما شغل الثمانية المتبقين ذلك المنصب في خمس

---

(١) نقلاً عن : اوزتونا، يلماز، تأريخ الدولة العثمانية، ج١، ترجمة عدنان محمود سلمان ومراجعة محمود الأنصاري،(أسطنبول، ١٩٨٨)، ٥٨٥.

(٢) نقلاً عن : خوري ، المصدر السابق، ص٢٧.

(٣) كواترت، دونالد، الدولة العثمانية ١٧٠٠ – ١٩٢٢، ترجمة أمين منازي،(الرياض، ٢٠٠٤) ، ص٩١ ؛ العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص٤٨.

سنوات فقط[١] أما كيفيات التغيير فكانت ((تبعاً للأهواء)) على حد وصف المؤرخين[٢].

ومن حسن حظ الدولة العثمانية أن هذه الأوضاع الداخلية السيئة لم يرافقها صراع خارجي، إلى ان تسلم محمد بلطجي باشا الصداره العظمى في عام ١٧١٠، وكان من اشد المتحمسين لنقض الأتفاق مع روسيا وإعادة ازوف، مستغلاً انشغالها بحربها مع السويد، وعلى اثر رفض روسيا لطلب الحكومة العثمانية بإعادة ازوف فقد أعلنت اسطنبول الحرب على روسيا في تشرين الأول ١٧١٠، مما دفع القيصر إلى أن يتحرك بجيشه لملاقاة العثمانيين، وعلى نهر بروث(Bruth) دارت المعركة التي انكسر فيها الجيش الروسي، وانتهت بتوقيع معاهدة تنازل فيها القيصر عن أزوف وما حولها من حصون في الحادي والعشرين من تموز ١٧١١[٣].

وبسبب عدم التزام الروس ببعض بنود المعاهدة أعلاه، فقد شهد مطلع عام ١٧١٣ توتراً آخر في العلاقات الروسية – العثمانية، كاد أن يفضي إلى حرب جديدة لولا تدخل بريطانيا وفرنسا اللتين خشيتا على مصالحهما في الدولة العثمانية، فأخذت الدبلوماسية البريطانية دورها في عقد معاهدة جديدة في الثامن عشر من تموز ١٧١٣ سميت بمعاهدة ادرنة، وتنازلت بموجبها روسيا عن كل ما كان لها حول بحر ازوف[٤] حتى ((لم يبق لها عليه مين اوثغور)) [٥].

شهدت العلاقات العثمانية –النمساوية إنهياراً تاماً للمدة ١٧١٤ – ١٧١٨، بسبب موقف النمسا المساند للبندقية، وكانت الأخيرة قد دخلت في صراع مع الدولة العثمانية حول خلاف نشب في إمارة الجبل الأسود، وتمكن العثمانيون من الحاق الهزيمة بالبنادقة عام ١٧١٤، الأمر الذي اضطر معه البنادقة لطلب النجدة من

---

(١) للتعرف على اسماء الصدور العظام خلال ذلك العقد يراجع: ياغي، اسماعيل احمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، (الرياض، ١٩٩٦)، ص٢٦٦ – ٢٧٧.

(٢) المحامي، المصدر السابق، ص٤٣.

(٣) Rywikin M. Russian Colonial Expansion to 117,(New York ,1965), P. 147;

لبيب، حسين، تاريخ المسألة الشرقية،(مطبعة الهلال،القاهرة، ١٩٢١)، ص٥٦. وللإطلاع على نص معاهدة بروث يراجع:. Hurwitz, Diplomacy in the Near and Middle East, P. 39-40

(٤) طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة الى الأنقلاب على الخلافة ١٢٩٩-١٩١٤،(بيروت ١٩٩٥)، ص٢٨٩ ؛ اوزتونا، المصدر السابق، ج١، ص٥٩٥؛ ياغي، المصدر السابق، ص١١٧.

(٥) المحامي، المصدر السابق، ص١٤٤.

الأمبراطور النمساوي شارل السادس(Charles VI) (١٧١١- ١٧٤٠) فتمكنت القوات النمساوية من الأستيلاء على مدينة تمسوار Temeswar في أيلول ١٧١٦ وفي آب ١٧١٧ استولت على بلغراد[١]، وبسبب خشية البريطانيين من امتداد التوسعات النمساوية بإتجاه الدولة العثمانية فقد تدخلت الدبلوماسية البريطانية في ذلك الصراع وتمت تسويته بموجب معاهدة بساروفتز Psarwviz في الحادي والعشرين من تموز ١٧١٨، إذ تنازلت فيه الدولة العثمانية عن بلغراد لصالح النمسا بينما تنازل البنادقة عن إقليم الموره للعثمانيين[٢].

تجدد التوتر العثماني الروسي مرة أخرى بعد ارتقاء القيصره(كاترين الثانيةchatren II ١٧٦٢ – ١٧٩٦) [٣] عرش روسيا، إذ تبنت هذه القيصرة طموحات بطرس الأول في الامتداد نحو المياه الدافئة[٤] فكانت النتيجة الحتمية لهذه الطموحات هي نشوب الحرب بين الطرفين طيلة المدة (١٧٦٨ – ١٧٧٤) على اثر التدخل الروسي في مشكلة وراثة العرش البولندي[٥] ويبدوا أن كاترين الثانية أعدت للحرب عدتها الدبلوماسية بشكل مسبق، ولغرض تضييق دائرة الحلف العثماني، فقد استطاعت ان تحول دون قيام تحالف عثماني بروسي، بعقدها معاهدة تحالف مع بروسيا في نيسان ١٧٦٤[٦]، أما بريطانيا وعلى الرغم من خروجها للتو منتصرة في حرب السنوات السبع، لكنها في الوقت ذاته لم تكن تستطيع ان تخفي ثقل الأعباء السياسية التي تعاني منها في الداخل[٧] كما أنها كانت ترزح تحت مديونية طائلة بلغت

---

(١) مانتران، روبير، "الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر، الضغط الأوربي"، ضمن كتاب (تاريخ الدولة العثمانية)، ج١، ص٤٠٦.

(٢) الدسوقي، محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية،(القاهرة، ١٩٧٦)، ص١٠٠.

(٣) ولدت عام ١٧٢٩، ابنة البرنس انهلت زربست الألماني، تزوجها القيصر بطرس الثالث (peter III) ، واستطاعت استمالة اهالي البلاد فعزلته سنة ١٧٦٢، سارت على خطى بطرس الأكبر في التوسع..Everyman's Encyclopedia, Vol. 3,(London, 1958), P. 78.

(٤) السامرائي، نوري، تطلعات روسيا القيصرية نحو فلسطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المجمع العلمي، ج٤، المجلد الواحد والخمسون،(بغداد، ٢٠٠٤)، ص١٣٥.

(٥) للتفاصيل حول مشكلة العرش البولندي يراجع: العكيلي، صالح حسن، بولندا ١٧٣٣ - ١٧٩٥، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ، ص١١١- ١٢٣.

(٦) أحمد، بان غانم، العلاقات العثمانية الألمانية، ١٨٨٢ – ١٩١٨، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠١، ص٨-٩.

(٧) للتفاصيل يراجع: خوري ، المصدر السابق، ص٢٩.

بعد حرب السنوات السبع مئة وأربعين مليون باوند استرليني وهذا لا يعني ان الحكومة كانت في انتعاش اقتصادي، إذ أنها كانت مدينة قبل الحرب بأثنين وسبعين باوند استرليني[١]. وفي مثل هذه الظروف فأن الأمتياز التجاري الذي منحته كاترين للبريطانيين في عام ١٧٦٦ كفيل بأن يؤدي إلى تقارب بين الطرفين، طالما إنه أعطى لبريطانيا وحدها حرية المتاجرة في البلطيق[٢]، بعد الأخذ بالحسبان ان الوزارة البريطانية حينذاك ممثلة بشخص رئيسها وليم بت (أيرل كاثام Earl Chatham)[٣]. كانت تميل إلى التقارب مع روسيا[٤].

لا تقف حدود أسباب التقارب الروسي – البريطاني في تلك المرحلة عند تلك الأسباب، بل يمكن أن يعزى أيضاً إلى اعتقاد البريطانيين أن القوة البحرية الروسية لا يمكن ان تنافس القوة البحرية البريطانية في مياه البحر المتوسط، خاصة وقد تعرضت البحرية الروسية لضربة قوية بفعل معاهدة بلغراد المعقودة في الثامن عشرمن أيلول ١٧٣٩ والتي حرمت روسيا من حق بناء السفن الحربية في بحر آزوف، أو البحر الأسود[٥] أما في البلطيق فقد كان الأسطول الروسي بطيء الحركة، وبحّارته تعوزهم الخبرة، ويذكر المؤرخون إن الأسطول الروسي لما رسا في الموانيء البريطانية عام ١٧٦٩ وهو في طريقه إلى البحر المتوسط لمحاربة العثمانيين كان البحّارة البريطانيين يسخرون من رجاله ويقولون إن سفينة روسية

---

(١) الياسري، يونس عباس، سياسة بريطانيا تجاه مستعمراتها في امريكا الشمالية ١٧٦٢-١٧٧٦، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٦، ص ٥٦.

(٢) كامل، مصطفى، المسألة الشرقية،(القاهرة، ١٨٩٨)، ص٣١ ؛ العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص٥٤.

(٣) أيرل كاثام : ولد في ١٥ تشرين الثاني ١٧٠٨كان والده عضواً في البرلمان الإنكليزي، وفي عام ١٧٣٥اصبح عضواً في البرلمان، شغل منصب وزير الدولة للفترة ١٧٥٤-١٧٥٦، وفي عام ١٧٥٧ شكل وزارته الأولى، وحقق خلالها انتصارات بريطانيا في حرب السنوات السبع، قدم استقالته منها= =سنة ١٧٦١، بعد خلاف مع الملك جورج الثالث، وظل عازفاً عن المناصب الوزارية حتى العام ١٧٦٦ حيث شكل وزارته الثانية بطلب من الملك.

www.victorianweb.org/history/bms/willimbitt.

(4) Miller, Op. Cit., P. 14;

بولارد، المصدر السابق، ص٢٩.

(٥) للأطلاع على نص المعاهدة يراجع:

Hurwitz , Diplomacy in the Near and Middle East , PP.74-51.

تحتاج إلى ثلاثمائة رجل بينما خمسة أو ستة من الروس يكفون لقيادة سفينة بريطانية كبيرة[١].

وآخر تلك الأسباب، فأن التقارب الفرنسي العثماني في هذه المرحلة -لاسيما بعد تسلم المسيو شوازيل Choisuel[٢] حقيبة الخارجية الفرنسية (١٧٥٧ – ١٧٧٠) الذي وجه اهتماماً كبيراً للتقارب مع الدولة العثمانية- قد أعطى التقارب البريطاني – الروسي دفعةًإلى الأمام، خاصة وأن فرنسا استطاعت ان تحقق نشاطاً دبلوماسياً كبيراً لدى الباب العالي[٣] إلى الحد الذي دفع المسيوشوازيل بأن يتقدم بطلب إلى حكومته للموافقة على ضرب المراكب الروسية في حالة اعتدائها على الممتلكات العثمانية، إلا ان الحكومة الفرنسية رفضت ذلك، وقبل الرفض جاء موقف الحكومة البريطانية معلنة بأن أي عمل يوجه ضد روسيا يعد اهانة لبريطانيا وإعتداء عليها[٤].

استمرت الحرب العثمانية الروسية طيلة الأعوام ١٧٦٨ – ١٧٧٤، فشهدت السنوات الأولى من هذه الحرب فقدان العثمانيين لمواقعهم في ولاشيا ومولدافيا خلال العامين ١٧٦٩ – ١٧٧٠، ومنذ عام ١٧٦٩، أرسلت روسيا اسطولين كبيرين من بحر البلطيق احدهما بقيادة الأميرال الروسي غريغوري اورلوف G.Orloof. والثاني بقيادة الأميرال البريطاني جون الفنستون J.Eliphinston ، لملاقاة الأسطول العثماني في المتوسط، وكذلك لإثارة وتشجيع أهالي البلقان على الثورة[٥]، وقد وصلت القوة البحرية المشتركة إلى اليونان واحتلت كورون Koron ثم توجهت إلى بحر إيجه واحتلت جزيرة خيوس Chios، وتوجه الأسطول الروسي بمفرده إلى ميناء جشمة Cheshme وتمكن من السيطرة عليه في تموز ١٧٧٠ بعد تدمير الأسطول العثماني هناك[٦] وكان لسيطرة القوة البحرية المشتركة على شرق المتوسط

(١) خوري، المصدر السابق، ص٣٠.

(٢) ولد في عام ١٧١٩ في اللورين، دخل الجيش في مقتبل عمره وترقى في الرتب العسكرية، شارك في حرب الوراثة النمساوية، ثم ارسل بعدها في بعثات دبلوماسية حتى تقلد حقيبة الخارجية الفرنسية في عام ١٧٥٧، فسيطر على السياسة الخارجية الفرنسية خلال حرب السنوات السبع، وتولى أيضاً وزارة الحربية والبحرية. Everyman's Encyclopedia , Vol. 3. P. 425

(3) Miller, Op, , Cit , P. 13.

(٤) كامل، المصدر السابق، ص٣٠.

(٥) مصطفى، احمد عبد الرحيم، أصول التاريخ العثماني،(بيروت، ١٩٨٢)، ص١٦٤.

(٦) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص٦٠ ؛ المحامي، المصدر السابق، ص١٥٧.

إثرها في تحقيق الروس انتصارهم البري في معركة كاغول(gachool) في آب ١٧٧٠[(١)].

إن هذا الحد من التوسعات الروسية كان كفيلاً بان استخفاف البريطانيين بالقوة البحرية الروسية ليس في محله، لاسيما وأن الأسطول الروسي بقي مرابطاً في المتوسط، وتنبه رجال السياسة في بريطانيا إلى عظم الخطأ الذي ارتكبوه، فخطب عضو مجلس العموم البريطاني وليم بت الأصغر W. Pitt[(٢)]، في المجلس محذراً من خطر التوسع الروسي قائلاً ((يقولون لنا دعوا روسيا تحتفظ بالمناطق التي احتلتها ودعوها تطرد العثمانيين من القطاع الأوربي، فأن هذه الأمور لا تهم بريطانيا. أما أنا فأني لست مستعداً لمناقشة الذين يقولون هذا القول ويؤمنون بهذه السياسة....)) [(٣)] ، ومنذ ذلك الحين تمحورت السياسة الخارجية البريطانية على حماية الدولة العثمانية، لتخوفها على مصالحها ليس بسبب قوة الدولة العثمانية وإنما لضعفها، وقد ظلت بريطانيا ثابتة على هذا المبدأ حتى سقوط الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى[(٤)] إذ سرى الأعتقاد بأن نهضة روسيا العسكرية والصناعية تتقاطع مع المصالح البريطانية لا في البحر المتوسط فحسب، وإنما في الهند أيضاً فأصبح ((الدفاع عن البسفور هو دفاع عن الهند)) [(٥)].

سارعت الحكومة البريطانية لتدارك خطأها السابق، وكتبت إلى سفيرها في اسطنبول السير (جون موراي J. Murray) (١٧٦٥ – ١٧٧٥) لأجل محابات العثمانيين، بأن يعرض وساطة بريطانيا للصلح بينهم وبين الروس، وخلال اللقاء الذي جمع بين موراي والسلطان مصطفى الثالث فوجيء السفير بمبادرة السلطان له قائلاً ((انه لمن الأمور المدهشة والخارقة للعادة، أن إنكلترا تعرض على الباب العالي توسطها في الحرب، مع ان لها سفناً في الأسطول الروسي حاربت ضدنا، ولذلك نحن

---

(١) فيدوسوف، بيفانوف، تاريخ الأتحاد السوفيتي، ترجمة خيري الضامن ونيقولا طويل،(دار التقدم، موسكو، د. ت) ص٢٥٤.

(٢) رجل سياسة بريطاني، ولد في الثامن والعشرين من حزيران ١٧٥٩، شكل الوزارة مرتين الأولى من ١٧٨٣-١٨٠١، والثانية من ١٨٠٤ – ١٨٠٦.

Encyclopedia Britiannica ,(U. S. A., 1970), Vol. 17 , PP. 1118 – 1122

(٣) نقلاً عن : خوري ، المصدر السابق، ص٣٢.

(٤) حجر، جمال محمود، القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين، تقديم عمر عبد العزيز عمر،(الإسكندرية، ١٩٨٩)،ص١٠، ١٣.

(٥) نقلاً عن : خوري ، المصدر السابق، ص٣٢.

نعتقد أن طلبها ستار لأغراض أخرى...، فلتعلن إنكلترا عن خطتها وسلوكها بدون مراوغة، حتى يعلم الباب العالي مع أي المتحاربين هي معه أم ضده)) [١].

كان وقع الرد ثقيلاً على بريطانيا التي استدعت في الحال ضباطها وبحارتها العاملين في الأسطول الروسي[٢] وحينما علمت الحكومة البريطانية بالاتصالات التي دارت بين قائد الأسطول الروسي اورلوف وبين علي بك الكبير اوائل عام ١٧٧٣، فقد أوفدت بريطانيا جيمس بروس إلى علي بك ليقنعه بعدم التمادي في علاقاته مع الروس، وبهذا الشكل أخذت بريطانيا تستأنف نشاطها المعارض للامتداد الروسي نحو المياه الدافئة[٣].

وعلى أية حال فأن هذه الخطوات الأحترازية البريطانية لم تقلل من شأن المكاسب التي حصل عليها الروس من الدولة العثمانية بموجب معاهدة (كوجك كينارجي Kutchuk Kainarge)التي أنهت الحرب بين الطرفين ووقعت في الحادي والعشرين من تموز ١٧٧٤[٤]، وقد تألفت هذه المعاهدة من ثمان وعشرين مادة تنازل فيها الباب العالي عن أهم القلاع العثمانية على البحر الأسود، ومُنح فيها الأسطول التجاري الروسي حق المرور عبر المضائق العثمانية، كما منح فيها السلطان بعض الأمتيازات للرعايا الأرثوذكس في الدولة العثمانية، وغير ذلك من التنازلات[٥].

أدلى المؤرخون بآرائهم منتقدين المعاهدة، لآثارها السلبية على الدولة العثمانية، فقال عنها البعض بأنها ((واحدة من اذهل أعمال الحماقة التركية))[٦] وحلى لآخر أن يصفها بأنها ((اشهر عهدةً أمضت عليها الدولة العلية، والحجر الأول

---

(١) نقلاً عن، كامل، المصدر السابق، ص٣٣.

(٢) بولارد، المصدر السابق، ص٣٠.

(٣) خوري ، المصدر السابق، ص٣٥.

(٤) رشاد، علي، وآخرون، تاريخ عثماني، اسطنبول، ١٣٢٧هـ، ص٩٢.

(٥) للأطلاع على نص المعاهدة يراجع:

Anderson. M. S. The Great Powers and the Near East 1774 – 1923. Documents of Modern History , (London , 1970), pp, 9-14 ; Hurewitz , Diplomacy in the Near and Middle East , pp54 – 61 ;

جودت، المصدر السابق ،ج١، ص ٣٩٨ – ٤١٠.

(6)Quoted in: Miller, Op, Cit , P. 8.

للمسألة الشرقية))[١]، كما وصفت بأنها ((من اكثر الوثائق شؤماً في التاريخ العثماني))[٢] بل إنها ((من اقسى وثائق التاريخ العثماني)) [٣].

كانت هذه المعاهدة واسعة التأثير لتشمل النشاط البريطاني في البحرين المتوسط والأسود خاصة والدولة العثمانية عامة، لدرجة عدها البعض بأنها ((فاتحة التحول البريطاني عن روسيا)) [٤]، فمن جانب بسبب السماح للسفن التجارية الروسية بإستخدام المضائق العثمانية، واعفاء هذه السفن من رسوم عبور المضائق الذي كانت تدفعه السفن التجارية البريطانية والفرنسية[٥] ومن جانب آخر أضحت الموانيء الروسية على البحر الأسود مرافيء رئيسة لاستقبال التجارة القادمة إليها من مختلف جهات أوربا وآسيا وتوزيعها، فأصبح الروس بذلك الوسطاء الحقيقيين بين الشرق والغرب، واتضح دورهم في دخولهم في منافسة جادة مع التجار البريطانيين، فكان كل ذلك كفيلاً بأن يثير مخاوف بريطانيا من اتساع مدى النفوذ الروسي في الدولة العثمانية[٦].

لذا من الطبيعي ان تنعكس مخاوف بريطانيا هذه على موقفها من المشروع السياسي الذي طرحته كاثرين الثانية في مراسلاتها السرية مع الأمبراطور النمساوي (جوزيف الثاني Josive II ١٧٨٠ – ١٧٩٠) خلال الأعوام ١٧٨١ – ١٧٨٢، بعد ان ادركت كاثرين الثانية بأن تحقيق أي توسع روسي في البلقان لا يمكن ان يتم دون التفاهم المسبق مع النمسا، وعليه فقد ترجمت القيصرة خططها التوسعية تجاه الدولة العثمانية في مشروع اطلق عليه بالمشروع اليوناني، وتوصلت مع الأمبراطور الى تفاهم سري حوله في عام ١٧٨٢[٧]. وقد تضمن المشروع طرد العثمانيين من أوربا وتقسيم ممتلكاتهم فيها بين روسيا والنمسا[٨] ولأجل تفادي معارضة فرنسا فقد ضمن

(١) نقلاً عن:كامل، المصدر السابق، ص٤٦.

(2)Quoted in: Shaw, Op. Cit. Vol. I, P. 250.

(٣) نقلاً عن :مصطفى، المصدر السابق، ص١٦٥.

(٤) نقلاً عن : بولارد، المصدر السابق، ص٣٠.

(٥) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص٦٢.

(٦) شطب، المصدر السابق، ص١٤- ١٥.

(7) Anderson ,M.S. The Eastern Question 1774- 1923 , A Study in International Relation , (New York , 1966) , PP. 8-2.

(8) Pares , B. A History of Russia ,(New York , 1948), P. 267.

المشروع لها حصة تمثلت بمصر وسوريا[١]. إلا ان روسيا لم تستطع تذليل معارضة بريطانيا التي استفزها المشروع وعدته موجهاً ضد مصالحها في الدولة العثمانية. فأقلقتها المكاسب المذهلة التي ستجنيها روسيا من المشروع، ولذا فقد أخذت تسعى لافشاله والعمل على حصر روسيا في البحر الأسود عن طريق إسناد الدولة العثمانية[٢].

في غضون ذلك حدث من الأمتداد الروسي نحو الدولة العثمانية مازاد من القلق البريطاني، ففي عام ١٧٨٣ أقدمت روسيا على ضم منطقة القرم، واعترفت الدولة العثمانية بذلك رسمياً في العام التالي[٣] كما جعلت من (سباستبولsepastpoal) في منطقة القرم و(خرسونkhrsoon) على البحر الأسود قاعدتين للأسطول الروسي، وقامت بنشر عملائها في البلقان للتحريض ضد الحكم العثماني[٤] مستندة في ذلك على القنصليات الروسية التي اقامتها القيصرة في الأقاليم العثمانية بموجب معاهدة كوجك كينارجي[٥] وقامت بتشجيع القراصنة اليونان بمهاجمة السفن التجارية العثمانية[٦]وفضلاً عن ذلك فقد ترجمت روسيا عن حقها الجديد في البحر الأسود بمنحها إمتيازاً للسفن اليونانية عام ١٧٨٣ بالمتاجرة في هذا

---

(1) Marriott, the Eastern Question, An Historical Study in European Diplomacy, (Oxford, 1969) , P. 155; Show, Op. Cit ,Vol. 1, P. 258.

(٢) التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص٤٠ ؛ العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص٦٦.

(3) Anderson, The Great Power and the Near East, PP. 14 –16; Parker and Others, Modern Turkey ,(London, 1940) , P. 26 -27.

ويشير د. كمال بكديللي ان روسيا استطاعت تحقيق ذلك لانشغال بريطانيا في شؤون مستعمراتها الأمريكية. بكديللي، كمال، "الدولة العثمانية من معاهدة قينارجة الصغرى حتى الانهيار"، ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)، المجلد الأول، ص٧٤.

(4) Marriott ,Op. Cit , P. 157; Anderson, the Eastern Question, P.8.

(٥) حسون، علي، العثمانيون والبلقان، ط٢، (بيروت، ١٩٨٦)، ص١٥٩، ١٦٧.

ومن المناسب القول ان الحكومة الروسية عينت لها قنصل في ازمير في عام ١٧٨٢، وفي عام ١٧٨٤، أرسلت قنصلها الى البانيا وساموس وخيوس ورودس وقبرص، وإلى طرابزون في عام ١٧٨٦. داتنسيغ، المصدر السابق، ص١٤٧.

(6) Shaw, Op, Cit , Vol. I, P. 258;

العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص٦٦؛ طقوش، المصدر السابق، ص٣٠٢.

البحر تحت علمها الخاص[١] وبصورة عامة فقد كان لسياسة التشجيع الروسي صدى لدى مسيحيي البلقان الذين اخذوا بالتحول الى جانب روسيا[٢].

امام هذه التطورات فقد شعرت بريطانيا بأنه آن الآوان لطرح ما بجعبتها لمواجهة المد الروسي، لاسيما وقد حانت الفرصة لذلك، متمثلة بإندلاع الحرب بين روسيا والنمسا من جهة والدولة العثمانية من جهة أخرى[٣].

كانت الخطة البريطانية تجاه الحرب تقوم على اتجاهين: الأول هو توسيع دائرة الحلف العثماني، وأول خطواتها في هذا السبيل تحريضها للسويد ضد روسيا، من اجل إشغال الأخيرة من الشمال، وبالفعل اندلعت الحرب بين الطرفين في حزيران ١٧٨٨، أعقبها هجوم سويدي واسع على الأراضي الروسية من الشمال في تموز من العام ذاته، في محاولة من السويد للسيطرة على مناطق البلطيق التي سبق لروسيا ان احتلتها[٤] وفي السياق ذاته لكن على محور آخر فقد عززت بريطانيا تعاونها مع السويد بحلف مع هولندا في الخامس عشر من نيسان ١٧٨٨، واستغلت العداء البروسي للنمسا وفي محاولة منها لضم بروسيا الى جانبها وقعت معها اتفاقية تحالف في آب ١٧٨٨ [٥].

كانت هذه المعاهدة هي الخطوة الأخيرة في الأتجاه الأول ومقدمة في الوقت ذاته للأتجاه الثاني من الخطة البريطانية، المتمثلة بتقليص دائرة الحلف الروسي، فقد استغلت بريطانيا اطماع بروسيا في بولندا[٦]، وبتشجيع منها فقد عقدت بروسيا تحالفاً

---

(1) Crawley , The Near East and the Ottoman Empire 1798- 1830 , in the New Cambridge Modern History, Vol. IX, , (Cambridge University press , 1965), p 544

(2) Anderson , The Eastern Question , P. 8.

(٣) في السادس عشر من آب ١٧٨٧ طالبت الدولة العثمانية روسيا بإعادة منطقة القرم، لكن الروس رفضوا ذلك فأعلنت الدولة العثمانية الحرب في الرابع والعشرين منه، وردت روسيا بإعلانها الحرب في منتصف ايلول، أما النمسا ولتخوفها من انفراد روسيا في البلقان فقد انضمت اليها في شباط ١٧٨٨.

Marriott, Op. Cit. P. 158; Miller, Op. Cit, P. 9; Anderson, The Eastern Question, P. 13.

(4) Anderson , The Eastern Question , P. 14.

(٥) طقوش، المصدر السابق، ص٢٨٦؛ التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص٤٣.

(٦) كانت بروسيا تحاول استغلال ظروف النمسا وأنشغالها بالحرب للتوسع وضم منطقة دانتزك وثورون من بولندا على أن تُعوض الأخيرة من قبل النمسا بغاليسيا. العكيلي، المصدر السابق، ص١٤٤.

مع الدولة العثمانية في كانون الثاني ١٧٩٠ موجهاً ضد النمسا وروسيا[١] ثم أخذت الدولتان (بريطانيا وبروسيا) تهددان النمسا بوجوب الأنسحاب من الحلف الروسي، وعلى اساس الوضع القائم قبل الحرب، أي انها تخرج خاوية الوفاض من كل المكاسب التي حصلت عليها خلال السنوات ١٧٨٧ – ١٧٩٠ المتمثلة ببلغراد والبوسنة ومكاسبها في ولايتي ولاشيا ومولدافيا[٢].

ومما سهل المهمة على بريطانيا وبروسيا، ان ظروفاً خطيرة استجدت بعد وفاة الأمبراطور جوزيف الثاني في شباط١٧٩٠،حيث واجه خلفه(ليوبولد الثاني Leopold II ١٧٩٠ – ١٧٩٥) أحداث الثورة في بلجيكا، مما حتم عليه الانسحاب الفوري من ذلك الحلف[٣]. فدخلت النمسا في مفاوضات مع الدولة العثمانية اسفرت عن التوقيع على معاهدة(سيستوفا Sistova)في الخامس من آب ١٧٩١، على اساس الوضع الذي كان قائماً قبل الحرب[٤].

كان تخلي النمسا عن حلفها مع روسيا، نهاية لما يسمى بالمشروع اليوناني، لكنه لم يكن نهاية للنشاط العسكري الروسي تجاه الدولة العثمانية، ولا نهاية للمعارضة البريطانية لذلك النشاط، فمن جانب روسيا فقد توقفت الحرب بينها وبين السويد في آب ١٧٩٠ بموجب صلح فيريل Firel على أساس الوضع الذي كان قائماً في البلطيق عام ١٧٨٨، مما مكن روسيا من حشد كل طاقاتها ضد العثمانيين[٥]، اما

---

(1) Marriott, Op. Cit, P. 161;

طقوش، المصدر السابق، ص٢٨٦.

(٢) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص٦٨.

(٣) كان ليوبولد الثاني يأمل أيضاً من بريطانيا ان تساعده في اخماد الثورة البلجيكية على اعتبار ان هذا الأمر يصب أيضاً في صالح بريطانيا، فوصول المد الثوري الفرنسي الى بلجيكا يعني تهديد الخط الدفاعي الأول لبريطانيا، وقد لوحت لندن بإمكانية مساعدة النمسا على إخماد الثورة، الأمر الذي سهل لهم أمر انسحاب النمسا من الحلف الروسي وإستبداله بالتوقيع مع ميثاق ريتشنباخ Reichenbach في ١٧٩٠ الذي تعهدت فيه النمسا بالتخلي عن مخططاتها تجاه الدولة العثمانية، على ان تساعد بريطانيا وبروسيا النمسا في بسط سيادتها على بلجيكا.

Anderson, The Eastern Question , P. 16-17 ;

العكيلي، المصدر السابق، ص١٤٨.

(4) Marriott, Op, Cit , P. 162 ; Anderson, The Eastern Question , P. 17;

وللأطلاع على نص معاهدة سستوفا يراجع: المحامي، المصدر السابق، ص١٧٤.

(5) Vernadsky, Op. Cit., P. 273;

التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص٤٧.

العثمانيين فمن جانبهم فقد شعروا بتحسن موقفهم بعد انسحاب النمسا من التحالف المناهض لهم، وعليه رفضوا عقد الصلح مع روسيا إلا بعد إعادتها لمنطقة القرم[١]، وعلى توافر أسباب ديمومة الحرب بين الطرفين فقد توقف الموقف البريطاني إذ اقترح رئيس الحكومة البريطانية وليم بت في الخامس والعشرين من آذار ١٧٩١ إرسال إنذار نهائي إلى حكومة كاترين الثانية، يؤكد معارضة بريطانيا للمكاسب التي حصلت عليها على حساب الدولة العثمانية، ويطلب من القيصرة أن تعلن خلال عشرة أيام استعدادها للتوصل إلى سلام مع الدولة العثمانية وبشروط معقولة واقترح وليم بت إرسال قطع من الأسطول البريطاني المرابط في البحر الأسود وبحر البلطيق، لكن هذه الإقتراحات اصطدمت بمعارضة البرلمان والرأي العام البريطاني[٢]، الذين اندهشوا من طرح فكرة الحرب على روسيا ذلك ((الحصن البعيد)) على حد تعبير بعضهم[٣].

وعلى الرغم من تراجع وليم بت عن قراره ((لإنقاذ ماء وجهه أمام الرأي العام في بريطانيا بأفضل أسلوب ممكن)) على حد قول كارل براون[٤]، لكن ذلك الموقف يؤشر من جانب آخر بأن حكومته لم تدخر وسعاً في الوقوف ضد الخطط الروسية.

وعلى اثر هزيمة العثمانيين في تموز ١٧٩١، استؤنفت المفاوضات بين الروس والعثمانيين، وأسفرت عن توقيع معاهدة ياسيJassy في التاسع من كانون الثاني ١٧٩٢، وتم الأتفاق فيها على ضم بلاد القرم لروسيا بصورة نهائية وجورجيا وبساربيا والأقاليم الواقعة بين نهري بوج (Boj) ودنيستر (Dnester) على ان يكون النهر الأخير حداً فاصلاً بين البلدين[٥].

---

(١) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص٦٨.

(2) Anderson , British Discovery of Russia , P. 156- 164; Mariott, Op. Cit., P. 162 – 163.

(3) Anderson ,The Eastern Question , P. 18.

(٤) براون، كارل، السياسة الدولية والشرق الأوسط ترجمة عبد الهادي حسين مراجعة سعد ناجي، (بغداد، ١٩٧٨)، ص٣٥.

(5) Anderson , The Great Powers and the Near East, P. 16-17; Vernadsky, Op. Cit., P. 273.

لقد وصفت هذه المعاهدة بأنها معتدلة بالقياس مع المشاريع التي كانت تضمرها كاترين الثانية للدولة العثمانية، ومرد ذلك الى الموقف المعارض التي وقفته بريطانيا مع تلك الخطط[١] ، فعلى الرغم من أطماع بريطانيا في الدولة العثمانية إلا أنها لم تكن تسعى لتفكيكها، بل على العكس وجدت أن مصالحها السياسية والإقتصادية تكمن في بقائها على هذه الحالة من الضعف، فبإسنادها تكون حائلاً جيداً دون وصول الروس إلى البحر المتوسط، هذا من جهة ومن جهة آخرى فإن بقاء الدولة العثمانية على هذه الحال يعطي بريطانيا الوقت الكافي لبلورة خططها للسيطرة على المناطق التي تقع على طريق الهند وتخضع للسيادة العثمانية[٢]، وانطلاقاً من الحقيقة الأخيرة فما أن عقدت معاهدة ياسي وأسدلت الستار عن آخر صراع عثماني روسي شهده القرن الثامن عشر حتى وجهت بريطانيا نشاطها السياسي العسكري نحو شرق المتوسط على اثر غزو جديد للأراضي العثمانية تمثل بالغزو الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨.

---

(١) التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص٥٠.

(٢) الفتلاوي، آلاء حمزة، السياسة البريطانية تجاه تركيا ١٩١٩ – ١٩٢٣، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص٤ ؛ جاسم، عبد الجبار عطيوي، ملاحظات حول أساليب تغلغل النفوذ الأوربي في الخليج العربي قبل الحرب العالمية الأولى، مجلة الخليج العربي، العدد ١٠ (جامعة البصرة، ، ١٩٧٨)، ص٣٨ .

الفصل الثاني

سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية في ظل الغزو الفرنسي لمصر ١٧٩٨ ــ ١٨٠١

أولاً.   الغزو الفرنسي لمصر والتحالف البريطاني ـ العثماني:

بالرغم مما قيل عن الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ بأنها وليدة الصدفة أو أملتها ظروف طارئة[١] أو أنها كانت نتيجة حتمية لخسائر فرنسا المستمرة لمستعمراتها فيما وراء البحار طيلة القرن الثامن عشر[٢] وللرغبة الجامحة عند الكثير من ساستها وتجارها ورحالتها لتعويض هذه الخسائر[٣]، فقد كان للفرنسيين ايضاً عدد من المسوغات في ترشيح مصر لغرض الغزو، فمن جهة أرادوا أستغلال حالة التفكك والضعف الداخلي الذي كانت تعيشه نتيجة الصراع بين حكامها المماليك وممثلي الباب العالي فيها الذي وصف بأنه (أشبه ما يكون بالحرب السرية بينهما) على حد تعبير أحد المعاصرين[٤]، ثم حسمه المماليك أخيراً لصالحهم ((فأنتقلت إدارة البلاد

---

(١) بولارد، المصدر السابق، ص٢٨.

(٢) بموجب صلحي أترخت في عام ١٧١٣ وباريس في عام ١٧٦٣ فقدت فرنسا أكثر مستعمراتها في العالمين القديم والجديد، للتفاصيل يراجع :شكري، محمد فؤاد، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، (القاهرة،د.ت)، ص٢٣- ٢٤.

(٣) من السياسيين الفرنسيين الدوق شوازيل وزير خارجية فرنسا (١٧٥٧ - ١٧٧٠) الذي كان يعتقد بأن بناء أمبراطورية أستعمارية وبناء بحرية قوية عاملان لا غنى عنهما للنجاح في المضمار الدولي، وشاطره الرأي أيضاً (سان بريست S.priest) السفير الفرنسي في اسطنبول (١٧٦٨ - ١٧٨٤) والذي شهد الحرب الروسية العثمانية (١٧٦٨ - ١٧٧٤)وأعتقد بان أنحلال الدولة العثمانية أمراً لامفر من الأعتراف به. وإذا تقرر ذلك فيجب أن تكون مصر من نصيب فرنسا من التركة العثمانية وكذلك كان رأي (جان بابتيست مور J . B . Mure) قنصل فرنسا في مصر أما الرحالة الذين عني الفرنسيون بدراسة كتاباتهم في السنوات القليلة التي سبقت الحملة، وكان لها أثر كبير في توجيه أنظارهم نحو مصر فيأتي في مقدمتهم البارون دي توت (Baron de Tott) الذي وصف مصر في رحلته التي نشرت في العام ١٧٨٤ بأنها ((مستعمره مثالية)) أما فولني(volny) الذي زار مصر بين الأعوام (١٧٨٣ـ ١٧٨٤) فقد طرح رأية فيها بأنه من الأفضل ((أن تتحرر مصر من سيادة العثمانيين حتى تتولى شؤونها دولة أخرى تشعر بالعطف على المصريين .. وتعنى بالبحث عن أثارهم))!! أما سافاري (Savary) الذي نشرت رحلته في عام ١٧٨٦ فقد ضمنها وصفا شيقاً لخصوبة أرض مصر ووفرة غلاتها. وللتفاصيل عن دور هؤلاء وغيرهم يراجع: كرستوفر، هيرولد، بونابرت= =في مصر، ترجمة فؤاد أندراوس، (القاهرة، د.ت)، ص ٢٠ -٢٢؛ شكري، الحملة الفرنسية ... ص ٤٢-٥٤.

(٤) الجبرتي، عبد الرحمن، عجايب الآثار في التراجم والأخبار، ج١، (دار الجيل بيروت، د.ت)، ص٢٢-٢٣.

الـى طغمـة المماليـك، وأصـبح رئيسـهم شـيخ البلـد بيـده بقـاء الـوالي (العثمـاني) أو عزله))[1]، ثم ما حدث بعد ذلك من تنافس بين المماليك أنفسهم لاسيما في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر خاصة بين إبراهيم بك ومرادبك مما أنعكس بعد ذلك على أحوال البلاد وأستنزاف قوتها[2] وأخيراً انعكاس ذلك التنافس على العلاقة بين المماليك والمصريين، مما يعني أنعدام أحتمال أي تنسيق للمقاومة يمكن أن يتم بين الطرفين[3]، فقد ساءت أوضاع المصريين الى الحد الذي جاءت معه كتابات المؤرخين طافحة في بيانها[4].

ومن جهة أخرى فأن الانهيار المتوقع للدولة العثمانية، قد أثار مخاوف الفرنسيين من قيام بريطانيا أو أية دولة أخرى بفرض سيطرتها على مصر مما يؤثر على المصالح الفرنسية هناك[5] ويرى البعض أن الفرنسيين فكروا بالسيطرة على مصر لأجل أن يكونوا في موقف أقوى يتسنى لهم من خلاله مقايضة بريطانيا مستقبلاً بخصوص مسائل الخلاف بين الدولتين[6] بينما يذكر البعض الأخر أن هدفهم الأساسي هو تعزيز تواجدهم فيما تبقى لهم من مستعمرات في المحيط الهندي. لأجل

---

(١) لوتسكي، فلاديمير، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، (دار التقدم، موسكو، ١٩٧١)، ص٣٠، ولتفاصيل أكثر عن هؤلاء المماليك وإدارتهم في مصر ونظمهم، يراجع: شكري، محمد فؤاد وآخرون نصوص ووثائق في التاريخ الحديث والمعاصر،(مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت)، ص ٤٦ -٦٦

(2)Vajunay. Op.cit , p340; Vatikiotis . p . j, the History of Egypt, Third Edition,(London, 1985), PP. 30-31..

(٣) شهدت القاهرة وعدد من الأقاليم المصرية في عام ١٧٨٠ انتفاضة شعبية تحت قيادة علماء الأزهر ضد حكم المماليك. الطائي، عمار محمد علي، المقاومة الشعبية للأحتلال الفرنسي لمصر ١٧٩٨ – ١٨٠١ رسالة ما جستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص ٢٢. وفي تموز ١٧٩٥ حدثت في القاهرة أنتفاضه أخرى أشترك فيها تجار القاهرة وباركها علماء الأزهر ؛ يحيى، مصر الحديثة...، ص٣٢٤ -٣٢٦.

(٤) للتفاصيل حول تلك الكتابات التي صورت أحوال مصر السياسية والأقتصادية والأجتماعية عشية الأحتلال الفرنسي لها يراجع: غربال، محمد شفيق، مصر عند مفترق الطرق ١٧٩٨ – ١٨٠١، (المقالة الأولى)، (ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندي أحد أفندية الروزنامه في عهد الحملة الفرنسية)، مجلة كلية الآداب، المجلد ٤، ج١،(القاهرة، آبار ١٩٣٦)، ص٤٠ -٦٩ ؛ شكري وآخرون، نصوص ووثائق ...، ص ٦٦ -٩٥ ؛ الطائي، المصدر السابق، ص١١-٣٤؛ الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج٢، ص٢٧٣ -٢٨٣.

(5) Jonquier, Histoire De L' Empire Ottoman, (Paris, 1914), P. 322; Hoskins, Op. Cit, P. 55; Miller, Op., Cit, P. 4.

(٦) الطائي، المصدر السابق، ص ٣٤ ؛ شكري، الحملةالفرنسية...، ص ٥٩.

تقويض الوجود البريطاني في الهند[1] خاصة بعد أن اتضحت نوايا البريطانيين بقطع الطريق أمام النفوذ الفرنسي في الهند من خلال تعزيز علاقاتهم مع المماليك في ظل أنحسار النفوذ العثماني في مصر[2]. وعلى أية حال، فقد وصل الفرنسيون عن طريق قنصلهم في مصر (شارل مكالونCharl Magalon) [3] الى قناعة تامة بان (مصر ثمرة ناضجة لا يستطيع المماليك حمايتها من ناحية ولا سيدها الأسمي [السلطان العثماني] كذلك لانشغاله بمشاكله العديدة)[4].

لم يشَرع الفرنسيون بغزوهم إلا بعد دراسات مستفيضة سواء أكان عن طريق مبعوثيهم الى الدولة العثمانية أم عن طريق قناصلهم في مصر، ففي عام ١٧٧٦ أرسلت الحكومة الفرنسية (دي مونتاني De Montiny) في رحلة كانت مصر أحد محطاتها،وتحدد غرضه المكلف به الحصول على معلومات دقيقة بطبوغرافية المنطقة وسكانها وتحصيناتها[5] وفي عام ١٧٧٧ أوفدت وزارة الخارجية الفرنسية البارون دي توت في مهمة هدفها المعلن هو تفقد المؤسسات القنصلية والتجارية الفرنسية في شرقي البحر المتوسط، أما مهمته السرية فتمثلت بإعداد تقارير مفصلة عن الأوضاع السياسية والعسكرية في الدولة العثمانية[6] وقد قدم دي توت تقريره النهائي الى حكومته فخلص فيه الى القول أن مصر (مستعمره مثالية) أما رأيه بقوة تحصيناتها وإمكانية الدفاع عنها فلخصه في أن احتلالها سوف يكون (احتلالاً سلمياً لبلد أعزل)[7].

وطيلة المدة التي بقي فيها شارل مكالون قنصلا في مصر، فقد أمطر حكومته بسيل من المذكرات التي يشكو فيهامعاملة المماليك للتجار الفرنسيين حاثاً أياها على الأسراع بغزو مصر[8] ففي السابع من حزيران ١٧٩٥ كتب مكالون الى فرنيناك Verninac السفير الفرنسي في أسطنبول مذكرة بعث بنسخة منها الى وزارة

---

(1) Chretien, Histoire De L` Egypt Modern, (Paris, 1951), P. 14.

(2) Vatikiotis, Op. Cit, P. 31-35.

(٣) أحد كبار التجار الفرنسيين عينته حكومتهقنصلاً عاماً لها في مصر طيلة الأعوام ١٧٩٣ – ١٧٩٧.

(4) Vatikiotis, Op. Cit., P. 38.

(٥) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص ٥٣.

(٦) عبدالكريم، المصدر السابق، ص٥٠ ؛ يحيى، مصر الحديثة...، ص٣٣٠.

(٧)نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية...، ص ٤٧ ؛ كرستوفر، المصدر السابق، ص١٨.

(٨) يحيى، مصر الحديثة...، ص٣٣١.

الخارجية الفرنسية قائلاً ((أنه من العبث أن يعتمد أنسان على الفرمانات، أو ما يصدره الباب العالي من أوامر الى القاهرة في إدخال تغيير من شأنه اصلاح مركز الفرنسيين في مصر، ولا يفيد اصدار هذه الفرمانات شيئاً مهما بلغت قوة لهجتها... وأما إذا شاءت حكومة الجمهورية أنتولي شؤون التجار أهتماماً جدياً، وأرادت أن تجني من هذه التجارة كل فائدة ممكنة فلا مناص في هذه الحالة من أن تمتلك مصر... وفضلاً عن ذلك فأن شأن الأستيلاء على السويس والسيطرة على البحر الأحمر التمهيد لطرد الأنكليز من الهند...))(١).

لم تقف مسوغات الحملة الفرنسية على مصر عند هذا الحد، بل يمكن النظر إليها على إنها أنعكاساً لحالة الصراع الدائر في أوربا، فبعد أن تمكنت فرنسا من تفتيت التحالف الدولي الأول الموجه ضدها في أعقاب الثورة الفرنسية وذلك في عام ١٧٩٥(٢)، فقد التفت الفرنسيون إلى سردينيا وسحقوا جيشها في موقعة موندوفي Mondovy مما أجبر الأخيرة على قبول هدنة كيرا سكو Kerasko في الثامن والعشرين من نيسان ١٧٩٦، أعقبها صلح باريس بين الطرفين في أيار من العام ذاته(٣).

---

(1) Quoted in: Hoskins, Op. Cit., P. 52.

(٢) ضم التحالف الدولي الأول (شباط – أذار ١٧٩٣) كل من (روسيا، بروسيا، هولندا،، أسبانيا، النمسا، سردينيا، بريطانيا) لكن سرعان ما أنفرط عقد ذلك التحالف، فأما روسيا فقد فضلت أستغلال أنشغال النمسا وبروسيا في مجابهة فرنسا لتنفرد هي في بولندا، وبالفعل حققت مكاسب كبيرة في بولندا في التقسيمين الأول عام ١٧٩٣ والثاني عام ١٧٩٥، مما أضعف مساهمتها في التحالف، وأما بروسيا فبعد أن حصلت على بوميرانيا Pomeraini في التقسيم الثاني وبولندا الوسطى وورشو Warsho في التقسيم الثالث فقد وجدت بأنه من الأفضل لها أن تعقد صلحاً مع فرنسا، إذ أنها تخوض حرباً غير مضمونة العواقب، فتوصلت معها الى صلح بازل في نيسان ١٧٩٥، أما النمسا وعلى الرغم من حصولها على غاليسيا الغربية Galicia في التقسيم الثالث، لكن أستمرار التهديد الفرنسي على ممتلكاتها في شمال إيطاليا حتم عليها الأستمرار في الحرب، أما دول التحالف الأخرى فقد أحكم الفرنسيون قبضتهم علىبلجيكا أبتداءً من حزيران ١٧٩٤ كما أطبقوا سيطرتهم على هولندا ثم وقعوا معها صلحاً = =في أيار ١٧٩٥ أما أسبانيا فقد أجبرت على توقيع صلح بازل في تموز ١٧٩٥، وهكذا لم يبق من دول التحالف شاهرةً السلاح في وجه فرنسا سوى سردينيا والنمسا وبريطانيا. للتفاصيل يراجع:

Grant . A . j, Outlines of European History,(london, 1958), pp341-344; Smith . L . Cecil, Main corrents in world History, (London, 1922), pp 208 -211.

البطريق ، المصدر السابق، ص٤١٢ – ٤٢١ ؛ العكيلي، المصدر السابق، ص١٥٦-١٧٦.

(٣) تنازلت سردينيا بموجبها عن نيس و سافوي Neas and Savoy إلى فرنسا.

Thomson, David, Europe Since Napoleon, (London, 1954), P47

أما النمسا فقد عانت جيوشها من هزائم عديدة على يد الفرنسيين الأمر الذي أضطرها الى قبول هدنة ليوبن Leoben في الثامن عشر من نيسان ١٧٩٧، تبعها صلح كامبوفورميو Compoformio في السابع عشر من تشرين الأول ١٧٩٧[١]، وبذلك لم تبق من دول ذلك التحالف شاهرة العداء بوجه فرنسا سوى بريطانيا.

وعلى صعيد العلاقات الفرنسية – البريطانية، فقد جرت مفاوضات للصلح طيلة المدة من حزيران – أيلول ١٧٩٧ بين اللورد ملمسبري Melmaspre مبعوث رئيس الوزراء البريطاني وليم بت ونظيره الفرنسي ليل Lell، بيد أن المفاوضات أصابها التعثر والفشل، بسبب رفض البريطانيين النزول عن مستعمرة الكاب[٢]، مما دفع أعضاء الحكومة الفرنسية الى التخطيط لتوجيه ضربة قاصمة لبريطانيا، حتى إذا تم ذلك ((وقعت أوربا باسرها تحت أقدام فرنسا)) كما كان يتخيل لنابليون نفسه[٣]

إن مسالة قيام فرنسا بتوجيه ضربة عسكرية للبريطانيين في عقر دارهم، أمر أحاطته صعوبات بالغة في حينه، في مقدمتها عدم القدرة على تجهيز أسطول بحري يضاهي الأسطول البريطاني أو يتفوق عليه، خاصة إذا أخذنا بالحسبان أن البريطانيين ومنذ عام ١٧٩٦ انشغلواأنشغالاً تاماً بالتحصينات على أرضهم نفسها[٤]،

---

(١) أقرت النمسا بموجب ذلك الصلح على كل التغييرات التي أقامها نابليون في شمال أيطاليا، كما تم فيه إلغاء جمهورية البندقية إذ وزعت أراضيها بين النمسا وجمهورية سسلباين Cislpine التي أقامها نابليون في شمال إيطاليا، كما وافقت النمسا على حصول فرنسا على ملحقات جمهورية البندقية الواقعة على ساحل الأدرياتيك وهي دلماشيا والجزر الأيونية.

Grant. A . G . A History of Europe, Part IV Europe in the nineteenth Century 1789 -1918,(London 1968), P. 618;

الشويلي، زيدان حسان حاوي، مؤتمر فينا ١٨١٤-١٨١٥، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية – أبن رشد – جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص١٨.

(٢) كرستوفر، المصدر السابق، ص٢٨.

مستعمرة الكاب: تقع في اقصى جنوب قارة افريقيا، أكتشفها البرتغاليون سنة ١٤٨٦ وبقيت تحت سيادتهم حتى عام ١٦١٨ حيث سيطر عليها الهولنديون، وظلت تابعة للأخيرين حتى عام ١٧٩٥ حيث سيطر عليها البريطانيون بعد خروج هولندا من التحالف الأول، فأخذ الفرنسيون يطالبون بهابأعتبار أن = هولندا خاضعة لهم وهذه المستعمرة من توابعها، عن المستعمره يراجع: السامرائي، نوري، النضال الوطني في جنوب أفريقيا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد٣١، السنة الثانية عشرة، (بغداد، ١٩٨٧)، ص٧٤-٨٠.

(٣)نقلاً عن : شكري، الحملة الفرنسية...، ص ٦٢.

(4) Harold. J. C., the Age of Napoleon, (New york, 1963), P.67; Anderson, the eastern Question, p25.

ولأجل ذلك أيضاً فقد سحبوا أسطولهم المرابط في البحر المتوسط في العام ذاته[١]، ولما كانت مسألة ضرب بريطانيا من خلال أيرلندا قد جربها الفرنسيون في عام ١٧٩٦ ففشلت هي الأخرى[٢] عندها آمن الفرنسيون بأنه لامفر من غزو مصر وقد عبر نابليون لتاليران Talleyrand[٣] عن ذلك بقوله ((لن نبقى طويلاً حتى ندرك أنه لأجل تدمير أنكلترا فأننا يجب أن نمتلك مصر))[٤] ، فبرأيه ((يجب الذهاب الى الشرق، فأوربا ليس فيها الكثير لتعطيه، وأن المجد العظيم الذي يمكن أن تظفر به فرنسا يكمن هناك))[٥].

وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا حول أيهما البادئ بالتفكير بغزو مصر أهو نابليون أم تاليران، لكنهم أتفقوا على أتفاق وجهتي نظرهما حول جهة الغزو[٦]. ونستدل علىذلك أولاً من الرسالتين الجوابيتين المؤرختين في الثالث والسابع والعشرين من أيلول ١٧٩٧ اللتين بعث بهما تاليران الى نابليون، حيث أكد فيهما أن الغاية النهائية لتوجه فرنسا نحو الشرق ستكون مصر[٧]. ثم من البحث الذي القاه

---

(١) البيضاني، ابراهيم سعيد، العلاقات البريطانية – الفرنسية ١٧٩٨-١٨١٥ وتأثيرها في الولايات المتحدة، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد٦،(بغداد ، ٢٠٠١)، ص٩٨؛ كرستوفر، المصدر السابق، ص٢٢ ؛ الطائي، المصدر السابق، ص٣٤.

(٢) شهد العام ١٧٩٦ محاولة فرنسية لغزو بريطانياعن طريق إيرلندا وكانت المحاولة الفرنسية قوامها (١٥.٠٠٠) جندي بقيادة الجنرال (لازار هوش L. Hoch) . للتفاصيل يراجع: الربيعي، هيفاء شاكر، التطورات السياسية في إيرلندا ١٧٨٩ -١٨٦٨، رسالة ما جستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص٤٣.

(٣) تاليران (١٧٥٤ – ١٨٣٨)سياسي وأسقف فرنسي، بعد تأسيس حكومة الإدارة أصبح وزيراً للخارجية خلال العامين ١٧٩٧-١٧٩٩، ثم ساعد نابليون في أنقلاب (برومبير)فأصبح وزيراً للخارجية مرة ثانية من أوائل سنة١٧٩٩-١٨٠٧، مثل فرنسا في مؤتر فينا، وأعتزل السياسة منذ أيلول ١٨١٥.بالمر،الان،موسوعة التاريخ الحديث ،ج٢ .ترجمة سوسن فيصل،(بغداد،١٩٩٢)،ص٣١٨-٣٢٠.

(4) Hoskins, Op. Cit, p55; Anderson, the Eastern Question, p 25.

(5) Harold, Op. Cit, p68.

(٦) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر..، ص٦٠؛كرستوفر، المصدر السابق، ص٢٦، وعن حقيقة نوايا نابليون بغزو الهند فيمكن الوقوف عليها في: العابد، صالح محمد، هل أستهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الأول،(بغداد، ١٩٨١)، ص١٢٤-١٣٤.

(٧) شكري، الحملة الفرنسية ...، ص٥٩.

تاليران في المجمع العلمي الفرنسي في تموز ١٧٩٧ الذي أشار فيه إلى فوائد امتلاك مصر[١].

ومما رجح كفة مصر في نظر الفرنسيين ، وجود بعض العوامل المساعدة لأنجاح الحملة، منها محاولة الأستفادة من الثورة الأيرلندية بتقديم الوعود والمساعدات للثوار الأيرلنديين عسى أن تنشغل بريطانيا بنفسها وقت تحرك الحملة[٢]، ومنها أن القوة البحرية البريطانية في مياه الهند الشرقية بقيادة الأميرال راينر Raynar كانت ضعيفة جداً وقتذاك، حتى لم يكن في ذلك الموقع سفينة واحدة تحت اليد يمكن أن تقوم باعمال المراقبة لأي تحرك قد يقوم به نابليون تجاه مصر[٣].

تزامنت رغبة نابليون وتاليران مع وصول شارل مكالون الى باريس اواخر تشرين الاول ١٧٩٧ حيثقدم تقريراً شاملاً الى حكومة الأدارة في التاسع من شباط ١٧٩٨، وضمنه دراسه متكاملة لنظام الحكم العثماني في مصر، والأوضاع التي يعاني منها التجار الفرنسيين هناك، ثم أكد في تقريره على الفوائد التي يمكن أن يجنيها الفرنسيون إذا ما أستولوا على مصر محددا آلية تحقيق ذلك بأمرين الاول ان يعمل الفرنسيون مباشرة من مصر لطرد البريطانيين من الهند عنوة، والثاني أن يقنعوا بتعطيل التجارة البريطانية مع الهند ويستأثروا بهذه التجارة لأنفسهم وفي الأخير أوضح الأساليب التي يمكن من خلالها للفرنسيين تحقيق كلا الأمرين[٤].

وعلىالرغم من أهمية هذا التقرير وشموليته، بيد أنه ليس الوحيد الذي قُدم إلى حكومة الإدارة، فهناك التقرير الذي قدمه تاليران في الثالث من شباط ١٧٩٨، وكان تقريراً مهماً للغاية وصفه المؤرخون بأنه ((يحتل مكانة كبيرة في تاريخ الحملة الفرنسية على مصر))[٥]، إذ ((أستندت اليه مجمل تخطيطات الحملة))[٦] ومما ورد

---

(١) العريس، محمد، موسوعة التاريخ الأسلامي،العصر العثماني،(دار اليوسف، بيروت، ٢٠٠٥)، ص١٧٣.

(٢) عن أثر الوعود والمساعدات الفرنسية على الثوار الأيرلنديين. يراجع: : الربيعي، هيفاء، ، ص ٤٣، ٥٥، ٦٠.

(٣) العابد، هل استهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند ..، ص١٣٣ ؛ كيلي، المصدر السابق، ص٩٩.

(٤) شكري، الحملة الفرنسية ....، ص٦٨-٦٩؛

Hoskins, Op. Cit, p 52-53.

(٥) شكري، الحملةالفرنسية...، ص ٦٩.

(٦) العابد، هل أستهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند...، ص١٢٩.

فيه ((إن قيام الفرنسيين بتثبيت أقدامهم في مصر، سيسبب أنقلاباً عظيماً في التجارة الأوربية، وسيكون ضربة لبريطانيا بصورة خاصة، حيث ستتحطم تجارتها في الهند، تلك التجارة التي كانت اساس عظمتها في أوربا...فإذا أصبحت الجمهورية [فرنسا] سيدة في القاهرة وسيطرت على السويس، فلن يعنينا مطلقاً في أيدي من سيكون رأس الرجاء الصالح))، وفي موضع آخر من التقرير أكد تاليران أن ((مصر يمكن أن تقدم أضافة الى ذلك، التسهيلات اللازمة لطرد البريطانيين من الهند، من خلال أرسال قوة مؤلفة من خمسة عشر الف مقاتل من القاهرة عن طريق السويس...)) كما توقع تاليران في تقريره أن رد الفعل العثماني لن يكون ذا تأثير، ذلك أن العثمانيين ((سوف يترددون طويلاً قبل أعلان الحرب على فرنسا لمشاكلهم الكثيرة لاسيما في البلقان)) أما عن قدرة المماليك في المقاومة فقد خلص تاليران الى تفاؤل يصل حد الأستغراب عندما قال ان ((فتح هذه البلاد لن يكلف الفرنسيين قطرة دم واحدة)) وتناول التقرير مواضيع مهمة أخرى تمثلت بشكاوى التجار الفرنسيين، ووسائل تنفيذ الحملة، ومزايا أحتلال مصر[١].

وبناء على ما تقدم، عقدت حكومة الأدارة أجتماعات مكثفة أبتداء من مطلع إذار ١٧٩٨ حتى الثاني عشر من نيسان، حيث اتخذت قرارها النهائي الذي اخرج فكرة الحملة على مصر من مرحلة التنظير الى حيز العمل والتنفيذ فأناطت قيادة الحملة التي سمتها بـ (جيش الشرق) الى نابليون بونابرت[٢] وقد تضمن نص القرار مقدمة وستة مواد، حيث ورد في المقدمة الأسباب التي قادت الحكومة الفرنسية لأرسال جيوشها الى مصر، مبررة ذلك بمعاقبة المماليك الذين وثقوا صلاتهم بالبريطانيين فاساؤا معاملة الفرنسيين، ولما كان البريطانيون قد أحكموا سيطرتهم على طريق رأس الرجاء الصالح، فأن الضرورة أملت على الفرنسيين البحث عن طريق تجاري آخر، ونصت المادة الأولى من القرار على أسناد قيادة الحملة الى نابليون، وُطلب منه في المادة الثانية أن يعمل على طرد البريطانيين من ممتلكاتهم في الشرق، ومن كل الجهات التي يستطيع الوصول إليها، وأكدت المادة الثالثة أمكانية شق قناة في السويس وفرض الهيمنة الفرنسية عليها، بينما نصت المادة الرابعة على ضرورة تحسين أحوال السكان في مصر، في حين أوصت المادة الخامسة قائد الحملة

(1)Quoted in: Hoskins, Op. Cit, PP. 55-56.

المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص٦٠-٦١.

(2) Jonquiere, Op., Cit, P. 344; Hoskins, Op., Cit, P. 56.

أن يحتفظ بعلاقات الصداقة والود مع السلطان العثماني، أما المادة السادسة فعكست رغبة حكومة الأدارة بإبقاء أمر الحملة في طي الكتمان وعدم السماح بطبع أو نشر ذلك التقرير[١].

أصدرت حكومة الإدارة أوامرها إلى نابليون بالتحرك من ميناء طولون الفرنسي في التاسع عشر من أيار ١٧٩٨، على راس جيش قوامه (٣٨.٠٠٠) مقاتل و (١٦.٠٠٠) بحار محمولين على (١٣) بارجة و(١٧) فرقاطة و(٣٥) سفينة حربية أخرى، اضافةً إلى (٢٨٠)سفينة نقل، فضلاً عن مجموعة كبيرة من العلماء يصل عددهم الى (١٨٧) عالماً رافقوا الحملة لخدمة أهدافها[٢].

ولما كان نابليون بحاجة الى نقطة ارتكاز في البحر المتوسط يؤمن من خلالها أتصالاته بفرنسا، فما أن وصل الى جزيرة مالطة حتى أتم أحتلالها في التاسع من حزيران، وبعد توقف دام عشرة أيام في تلك الجزيرة، نظم خلالها نابليون شؤون المستعمرة الجديدة، وأنطلق منها في التاسع عشر من حزيران لتدق قواته أبواب الأسكندرية في الأول من تموز، و بعد أن أحكم سيطرته عليها أستأنف زحفه بإتجاه القاهرة في الثالث منه[٣].

وفيما عدا معركة واحدة دارت بالقرب من شبراخيت في الثالث عشر من تموز كان النصر فيها حليف الفرنسيين، فأن القوات الزاحفة نحو القاهرة لم تواجه أية مقاومة أخرى حتى حدث الصدام الفاصل بين الطرفين في معركة الأهرام في الحادي

---

(1) Decree of the Directory ordering general Bonaparte to launch the Egyptian cam paign, 12 April, 1798, Quoted in :Anderson, The great power and the near east …, pp18-19; Hurewitz, the Middle east and north Africa in world politics..., pp. 61-62.

(2) Chandler, David, The compaigns of Napoleon,(London, 1967), p218;
ليفيير، جورج، عصر الثورة الفرنسية، ترجمة جلال يحيى،(دار الكتب الجامعية، الأسكندرية، ١٩٧٠)، ص٤٧٥.

(3) Charles . H, Histoire De L` Egypte, Vol. I, (Paris, 1940), P. 50-51; Fisher . H . A . l, Napoleon,(Oxford university press ,N.D) P. 48-49.
السروجي، محمد، محمود، تاريخ الأسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور، (الإسكندرية، ١٩٦٣)، ص٣٣٣-٣٣٤.

والعشرين منه، التي أسفرت عن دخول الفرنسيين مدينة القاهرة في الرابع والعشرين منه، مغادرة الوالي العثماني بكر باشامتوجهاً إلى الشام[1].

لم يعلم الباب العالي شيئاً عن جهة الحملة، حتى أصبح الأحتلال أمراً واقعاً، إذ حرص أعضاء القيادة الفرنسية على أخفاء ذلك عنه حتى يتم الأحتلال، وعندها يتم أطلاعه على أن فرنسا لا تقصد محاربته وإنما تأديب الحكام المماليك الذين طالما تعرضوا للمصالح الفرنسية، وبذلك يتم الأبقاء على الصداقة الفرنسية العثمانية حسب تصورهم[2]، لاسيما بعد أن أضاف تاليران الى ذلك الأجراء أجراء أخر متمم له مفاده ((...أن ترسل حكومة الجمهورية حين أرسال حملتها الى مصر، مفاوضاً لبقا وماهرا يحفظ علاقات الود والصداقة مع تركيا)) [3] إلا أن شيئاً مما كان يمنى به تاليران نفسه لم يتم إذ ما إن وصلت الأخبار باحتلال مصر الى أسطنبول، حتى أخذ السلطان يراسل ولاته على الأقاليم رغبة منه في أشراكهم في تحمل المسؤولية ودعم المجهود الحربي الذي خطط له قبل أعلانه الحرب ضد فرنسا[4].

لم تقتصر ردود الفعل تجاه الحملة على الحكومة المركزية في أسطنبول بل ولدت ردود فعل دولية بالغة الأثر، يكفي أن عدهابعض المؤرخين سبباً في ظهور ما يسمى بـ(المسألةالمصرية) التي بدأت منذ نزول نابليون أرض مصر، وأستمرت الى ما بعد خروج الفرنسيين منها في عام ١٨٠١[5] وتوسع البعض الأخر فعدها تصلح أن تكون

---

(1) Vaujany, Op. Cit., PP. 347-350; Chandler, Op. Cit., PP. 219-224;
زكي، عبدالرحمن، القاهرة تاريخها وأثارها ٩٦٩ -١٨٢٥، (الرابطة المصرية للتأليف والنشر القاهرة، ١٩٦٦)، ص٢٥٠-٢٥١ ؛ الأسكندري، عمر وآخرون، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر، ميراجعة الميجر . ج . سفدج،(مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٢٤)، ص١٠١-١٠٥.

(٢) الطعمه، باسم حطاب، الموقف الرسمي العثماني من الأحتلال الفرنسي لمصر ١٧٩٨ -١٨٠١، دراسه تحليلية في ضوء الوثائق العثمانية، مجلة دراسات تاريخيه، العددان الثالث والرابع، ١٩٩٩، ص٨٩. وحري بناء القول أن نابليون مهد لهذه السياسة منذ أن وصل الى مالطة حيث قام بإطلاق سراح جميع الأسرى العثمانيين المحتجزين في سجون مالطة، الحمداني، حميد مجيد، المقاومة الجزائرية للأحتلال الفرنسي ١٨٣٠-١٩١٤، رسالة مقدمة الى المعهد العالي للدراسات القومية والأشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨١، ص٣٤.

(٣)نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية ....، ص٧١.

(٤) للإطلاع على نصوص الرسائل يراجع: : الطعمة، المصدر السابق، ص٩٠-٩١.

(٥) رفعت، محمد، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية،(دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩)، ص٦٦.

بداية تاريخية لما يسمى بـ (المسألة الشرقية) التي كانت في جوهرها تعني الصراع الأوربي حول الدولة العثمانيةإبان ضعفها(١).

كانت بريطانيا في مقدمة الدول التي ولدت الحملة لديها أستياء كبيراً، ومخاوف حقيقية، نظراً لما تنطوي عليه من متغيرات جوهرية تمس المصالح البريطانية ليس في الدولة العثمانية فحسب، وإنما في الهند بالصميم، بل ولأول مرة يرى البريطانيون تهديداً فرنسياً ماثلاً خارج أوربا، ويقترب من المداخل البحرية للخليج العربي والبحر الأحمر والحدود الدولية لبلاد فارس وأفغانستان(٢).

ومما يجدر ذكره أنّ بعض أعضاء الحكومة البريطانية أخذ يتكهن بناءً على (بصيص الأخبار التي وصلت الى لندن عن الحملة قبل أنطلاقها)(٣) ومنهم وزير الحرب هنري دونداس H. Dandas، الذي أوضح في مذكرة مطولة أرسل بها الى وزير الخارجية اللورد كرينفيل Lord Grenville في الثالث عشر من حزيران ١٧٩٨، جاء فيها بأن هناك أربعة أتجاهات محتملة يستطيع نابليون الزحف عبرها الى الهند، بعد أن

(1) Akcura. yusuf, Osmanli Devletinin degilma devri,(Ankara, 1988), S50-51.

أما المؤرخ براون فيطرح ثلاثة تواريخ محتملة لبداية المسألة الشرقية أحد هذه التواريخ هو العام ١٧٩٨. للتفاصيل يراجع: براون ، المصدر السابق، ص٣١-٤٠.

ومما يجدر ذكره أنه ليس هناك أتفاق بين المؤرخين حول تعريف واحد لمصطلح " المسألة الشرقية" أو الفترة الزمنية التي يغطيها. فمنهم من يرى بأنه تسمية تطلق على الصراع الذي ظهر بعد نشوء الدولة العثمانية وأتساعها على حساب أوربا، كامل، المصدر السابق، ص٥-٦، ومنهم من يجعله صراعاً بين الأسلام واوربا بدايته منذ معركة مؤته ويستمر الى مابعد نشوء الدولة التركية الحديثة. الشاذلي، محمود، المسألة الشرقية: دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩-١٩٢٣،(القاهرة،١٩٨٩)، ص٧، ومنهم من يوسع نطاق الصراع، فهو برأيه "الصراع بين الشرق والغرب في كل العصور التأريخية"، لبيب، المصدر السابق، ص٤ . على أن المسألة الشرقية تعني بشكلها الواضح النزاع الذي اشتد بين الدول الأوربية في أواخر القرن الثامن عشر على الاملاك العثمانية وأستمر حتى نهاية تلك الدولة في عام ١٩٢٣. التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص٢١؛ مانتران، روبير، "بدايات المسألة الشرقية ١٧٧٤-١٨٣٩" ضمن كتاب (تاريخ الدولة العثمانية)، ج٢، ص٥، أما عن أستعمال هذا المصطلح بشكل عملي، فقد أستعمل لأول مرة في مؤتمر فيرونا Verona الذي عقده المحفل الأوربي عام ١٨٢٢ على خلفيات الوضع الذي نشأ جراء أندلاع الثورة اليونانية في عام ١٨٢١، حسين، فاضل وآخرون، التاريخ الأوربي الحديث ١٨١٥-١٨٣٩، (بغداد، ١٩٨٢)، ص٥٢-٥٨.

(٢) المشهداني، خليل إبراهيم صالح، موقف بريطانيا من نشاط القوى المحلية والأقليمية والدولية في الخليج العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية العشرين، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد٥٤،(بغداد،٢٠٠١)، ص٣١١.

(٣) كيلي، المصدر السابق، ص٩٦-٩٧.

يكون قد وصل الى الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، الأول من أسطنبول عبر البحر الأسود جنوباً وبحر قزوين ومن ثم عبر إيران، والثاني من السويس نزولاً الى البحر الأحمر، وذلك بواسطة سفن ترسل من مورشيوس الى السويس، والثالث من جده عن طريق الحجاز واليمن عبر ساحل حضرموت ومسقط الى الشواطئ الهندية، والرابع عن طريق الصحراء السورية الى بغداد ورأس الخليج ثم منه الى الهند(١)

وكان دونداس يعتقد بأن العثمانيين والروس سوف لن يسمحوا بمرور جيش نابليون عن طريق البحر الأسود، وأن نابليون سيجد من العسير عليه توفير السفن لسلوك طريق البحر الأحمر، فضلاً عن أنعدام إمكانية سلوك الطريق الثالث إذا تمكنت البحرية البريطانية أغلاق مداخل البحر الأحمر والخليج العربي(٢)، وأنتهى الى القول (ولكل هذه الأسباب فأنني مقتنع بأنه إذا ما تم تنفيذ هذا المشروع، فأن نابليون سيبذل جهده لتحاشي الأصطدام في البحر لأنه يعلم بأنه ضعيف في هذا المجال، وحسب أعتقادي وكما يظهر من خطته وحماسة أنصاره يحاول القائد الفرنسي الوصول الى هدفه عن طريق حلب وبغداد...ليتجه من هناك الى الجنوب، ماراً بشواطئ الخليج العربي قاصداً في زحفه الهند درة التاج البريطاني...)(٣).

وبناء على ذلك فما ان شرع الفرنسيون باحتلالهم لمصر، حتى تعين على الحكومة البريطانية أن تبذل مساعي دبلوماسية حثيثة، وتجري تدابير عسكرية واسعة على محاور متعددة، وبشكل متزامن في كل البلدان الواقعة على طريق الهند سواء أكانت الدولة العثمانية واقاليمها أو حتى في المناطق المجاورة(٤).

---

(١) صالح، زكي، المصدر السابق، ص٦٧؛ المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الاحمر...، ص٦٥.

(٢) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي ......، ص٨٦.

(٣)نقلاً عن : بيربي، جان جاك، الخليج العربي، دار الكشاف،(بيروت، د.ت)، ص١٢٨.

(٤) لم تقتصر الأجراءات الأحترازية البريطانية على الدول العثمانية، وإنما دخل في مجال أهتمامها كل المداخل والثغور المؤدية الى الهند، ومنها عمان التي وصل إليها ميرزا مهدي علي خان في أوائل تشرين الأول ١٧٩٨ مبعوثاً من ولزلي Wellesly الحاكم العام للهند (١٧٩٨-١٨٠٥)، وأستطاع الأول أن يؤمن على موقف بريطانيا في مسقط من خلال عقده معاهدة مع سلطان عمان سلطان بن أحمد في الثاني عشر من تشرين الأول، عن تفاصيل البعثة يراجع: أبو ياسين، محمد علي، العلاقات العمانية البريطانية ١٧٩٨-١٨٥٦،(منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨١)، ص٢٥-٢٧، وعن نص المعاهدة يراجع: : سي يو. اتجيسون بي سي أس، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، ترجمة العميد الركن البحري عبدالوهاب عبدالستار القصاب، ميراجعة وتقديم محمود على الداود، (منشورات بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١)، ص٣٤٥-٣٤٧.

كانت أول تدابير البريطانيين الأحترازية في الدولة العثمانية، فتح قنصلية لهم في بغداد في الخامس من تموز ١٧٩٨[(١)]، اذ تم الإيعاز الى هارفورد جونز H.Jonz الوكيل التجاري المساعد للشركة في البصرة، الذي كان متواجداً حينها في بريطانيا بأن يتوجه الى بغداد لتسلم مهام منصبه[(٢)] وكان الهدف من ذلك الأجراء السيطرة على والي بغداد، وصد النفوذ الفرنسي من التوسع نحو الشرق[(٣)].

إن أستقراءً لكتاب التكليف الذي تعين بموجبه هارفورد جونز، يوضح لنا الأسباب التي فتحت من أجلها المقيمية في بغداد، والواجبات التي تعين على المقيم القيام بها فيما بعد، حيث ورد فيه ((أنه بسبب الأحوال الراهنة والأشاعات التي أنتشرت بأن الفرنسيين يحاولون أن ينفذوا الى الهند أما عن طريق البحر الأحمر أو عن طريق الخليج العربي، فأنه يجب تعيين شخص في بلاد باشا بغداد وقد تم اختيارك لهذا الغرض)) كما يمكن النظر الى التعليمات التي صدرت الى هارفورد جونز على أنها تمثل السياسة البريطانية الجديدة خير تمثيل.فقد تضمنت أيضاً ((عليك أن تبلغ الباشا خبر وصولك الى بغداد ... وبعد أن يتم هذا تحذره في الوقت نفسه من العواقب الوخيمة التي ستصيب اراضي باشويته، بل اراضي الأمبراطورية العثمانية كلها في حالة السماح بأتخاذ موطن قدم لهم فيها عليك، أن تبذل كل ما بوسعك لأحباط المحاولات الفرنسية الرامية الى التغلغل والتوسع...)) [(٤)].

=أما المحطة الثانية التي حظت بإهتمام حكومة الهند واستوقفت مبعوثها ميرزا مهدي على خان فهي بلاد فارس، وقد أستطاع الميرزا مهدي من خلال ثلاث لقاءات مع فتح على شاه أن ينجز مهمته السياسية عن طريق أقناع الشاه بالوقوف الى جانب بريطانيا في حالة قيام فرنسا بالتوجه العسكري عبر الخليج العربي، مقابل تأييد بريطانيا لأطماع الشاه في أفغانستان وأمداده بالأسلحة.

Sykes , P., History of Persia, Vol. II, (London, 1958), 299;

البديري، سياسة بريطانيا تجاه إيران...، ص١٥.

(1) Hoskins, Op. Cit, p 64;

الدليمي، سحر أحمد، السياسة البريطانية في الخليج العربي خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨، رسالة ما جستير مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص٣.

(٢) دخل جونز (١٧٦٤-١٧٧٤) في خدمة الشركة كاتبا في حكومة بومباي وخدم طيلة فترة عمله في الخليج العربي كمساعد للمقيم في البصرة (١٧٨٤-١٧٩٤) لكن سوء صحته وشؤونه العائلية أضطرته الى المغادرة الى بريطانيا في عام ١٧٩٥، وقد استمر في منصبه الجديد في المقيمية حتى عام ١٨٠٦. العابد، موقف بريطانيا من النشطار الفرنسي ...، ص٩٨.

(٣) لوريمر، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٦.

(٤) نقلاً عن :أمين، سجلات يوميات مقيمية البصرة...، ص٢٣٧-٢٣٨.

كما تعين على المقيم أن يعد((تقريراً مفصلاً عن ولاية بغداد –سكانها – قوتها العسكرية – مصادرها الاقتصادية – امكانياتها التجارية))[١] ويأتي هذا بطبيعة الحال من جمع المقيم للمعلومات من ((أية صفة تعتقد أنها قد تكون ذات فائدة، سواء أكانت لشركة الهند الشرقية، أم لبريطانيا العظمى بصورة عامة))[٢]، كما يتوجب عليه أن يحافظ على الأتصال بحكومة بومباي ((لنقل الأخبار بين الهند وانكلترا ومراقبة نشاط الوكلاء الفرنسيين والإبلاغ عنها..))[٣].

وصل هارفورد جونز الى بغداد في أيلول ١٧٩٨و التقى الوالي سليمان باشا (١٧٨٠-١٨٠٢) الذي أستقبله استقبالا طيباً، وأعلن استعداده للتعاون في كل ما من شأنه وقف النشاط الفرنسي، الأمر الذي فرح له المقيم لدرجة جعلته يكتب الى وزير الحرب هنري دونداس قائلاً ((أن ما يمنحني الرضى العظيم أن أؤكد بأنني وجدت في باشا بغداد أستعداداً قوياً لبذل طاقته لمعارضة نشاط الفرنسيين إذا مافكروا بالمرور الى الهند عبر هذا الجزء من الأمبراطورية العثمانية...))[٤].

وفي غضون ذلك فقد كتب السفير البريطاني في اسطنبول سبنسر سمث Spincer Smith (١٧٩٥-١٧٩٩) الى صاموئيل مانستي مقيم الشركة في البصرة، حاثاً أياه على ضرورة توجيه عناية حكومة الهند بالخطر الناجم عن الأحتلال الفرنسي لمصر، وأتخاذ الحيطة والحذر لمنع بونابرت من تهديد المصالح البريطانية في الهند، كما أوضح بأن العثمانيين أنفسهم أظهروا له هـذه الرغبة في الثامن والعشرين من تموز ١٧٩٨[٥] وتحت تأثير المقيم البريطاني في البصرة فقد قام المتسلم العثماني عبدالله أغا (١٧٩٣-١٨٠٣) بالقاء القبض على الممثل الفرنسي في البصرة مع الرعايا الفرنسيين وأرسلهم الى بغداد حيثُ جمعوا هناك[٦] ، مع روسو Russo القنصل الفرنسي في بغداد، الذي كان هو الأخر قد أحتجز من قبل الوالي العثماني سليمان باشا مع العاملين معه، بأستثناء سكرتير القنصلية الذي تمكن من الهرب من المركز الفرنسي وأرسلوا جميعاً إلى اسطنبول، كما تم تفتيش منزل القنصل الفرنسي، والأستيلاء على موجوداته فضلاً عن مصادرة السجلات الرسمية

---

(١)نقلاً عن: العامر، المصدر السابق، ص٧٢.

(٢)نقلاً عن : العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٩٨.

(٣)نقلاً عن : صالح، زكي، المصدر السابق، ص٨١.

(٤)نقلاً عن : العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي....، ص١٠٠.

(٥) شكري، الحملة الفرنسية...، ص ٣٩٥.

(6)Wood, op, cit , P.187.

والأوراق الخاصة بالقنصلية، وقد التمس هارفورد جونز من والي بغداد الأطلاع عليها فحصلت موافقة الأخير على ذلك[1] وهذا أن دل على شيء فليس أكثر من أنحياز الوالي سليمان باشا للبريطانيين.

لقد تعددت وجهات النظر بخصوص موقف الوالي، فذكر البعض أنه وفاء لجهود المقيم البريطاني في البصرة المستر لاتوش Latosh، في تسلمه منصب الولاية عام ١٧٨٠[2] بينما أشار البعض الأخر أن الوالي كان يسعى لاقامة تحالف بينه وبين مختلف الحكام العرب في الخليج بقصد مواجهة خطر الوهابيين، وهو بهذا يتقرب من البريطانيين كي يكونوا وسطاء لاقامة ذلك التحالف[3] على أن القسم الأخر يرى بأن موقف الوالي يكمن في أمرين أولهما ضمان الحصول علىالسلاح والذخيرة من الهند بهدف التصدي للهجمات الوهابية التي نشطت وقتذاك، أما الثاني فهو الرغبة في الحصول على دعم الأسطول البريطاني المرابط في الخليج ضد اية هجمة قد يقدم عليها أمام عمان، حيث كان الأخير يعتقد بأن والي بغداد كان وراء قطع المكافأة السنوية التي كان السلطان العثماني مراد الثالث قد أمرها لأمام عمان لقاء مساعدته للعثمانيين خلال حصار البصرة[4].

وعلى اثر ذلك التفاهم فقد بادرت حكومة الهند إلى أمداد والي بغداد بالأسلحة والأعتدة[5] كما أرسلت عدد من الضباط ورجال المدفعية من الهنود والأوربيين الى البصرة[6]، لهدف تجاوز مواجهة أمتداد النفوذ الفرنسي، الى هدف أستراتيجي آخر

---

(1) Kirk, G. E, A Short History of Middle East from the Rise of Islam to Modern Time,(London, 1961), P. 74;

كيلي، المصدر السابق ،ص٩٨؛ لوريمر، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٩ ؛ لونكريك، المصدر السابق، ص٣٠٥ ؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي .....، ص١٠٠. بينما يشير د.عبدالعزيز نوار أن الوالي تجنب أتخاذ أية أجراءات ضد القنصل الفرنسي في بغداد ؛ نوار، عبدالعزيز، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٦٨)، ص٣٢.

(٢) صالح، زكي، المصدر السابق، ص٨٢.

(٣) العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي،(مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت)، ص٧٣. وعن خطر الوهابيين وقتذاك يراجع: نورس، علاء، حكم المماليك في العراق،١٧٥٠-١٨٣١، (بغداد، ١٩٧٥)، ص٥١-٥٩؛ لوريمر، المصدر السابق،ج٥، ص٢٧١٩-٢٧٢٠.

(٤) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص١٠٣،١٢١.

(٥) العامر، المصدر السابق، ص٧٥؛ لونكريك، المصدر السابق، ص٣٠٦.

(٦) لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص ١٩٠٩.

جوهره جعل العراق تحت السيطرة البريطانية المباشرة في ظل تكهنات هارفود جونز بأن تفكك الدولة العثمانية وأنهيارها أصبح أمراً وشيكاً، وإرسال أولئك الضباط مسألة لابد منها كخطوة تمهيدية لعملية السيطرة البريطانية[١].

لقد كان فتح قنصلية بغداد على جانب عظيم من الأهمية، فعلاوة على قيامها بالتنسيق مع والى بغداد، فقد أخذت تقدم لحكومتها خدماتها الأخرى التي اُسست من أجلها[٢] وقد نجح هارفورد في ذلك إيما نجاح، وبالشكل الذي دفع حكومة الهند تثميناً لجهوده الى تكريمه بكتاب شكر بُعيد أنتهاء الحملة الفرنسية[٣].

على الرغم من أن هنري دونداس قد رجح في مذكرته المؤرخة في الثالث عشر من حزيران ١٧٩٨طريق الفرات، لكنه لم يغفل الطريق الثاني وهو طريق السويس ليحيطه بتدابيره وإجراءاته الاحترازية، فلم يكن لمثله أن يجهل إمكانية الفرنسيين في أرسال سفن نقل الى مورشيوس ومنها الى السويس حيث يمكن من هناك نقل قوات بونابرت وأنزالها في احد موانئ تيبو صاحب[٤] ربما في مانكلور على ساحل ماليبار[٥] لذا فقد حث دونداس الاميرالية البريطانية على الإسراع في

(١) العامر، المصدر السابق، ص٧٥.

(٢) للتفاصيل حول تلك الخدمات يراجع: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي ...، ص١٠٤-١٠٦.

(٣) لوريمر، المصدر السابق، ج٤، ص١٩١٤.

جدير بالذكر ان بريطانيا حققت أرجحيتها في العراق في عام ١٨٠٢ ويتمثل ذلك بحصول السفير البريطاني في أسطنبول اللورد الجين Lorde Elgin علىأمر سلطاني في الثاني من تشرين الأول ١٨٠٢، يفضي قبول هارفورد جونز قنصلاً لبريطانيا في بغداد وماحولها، صالح، زكي، المصدر السابق ، ص٨١؛ نوار، داود باشا والي بغداد .....، ص١٩٣.

(٤) أسمه فتح علي ويلقب بتيبو سلطان أوتيبو صاحب، تولى حكم ميسور بعد وفاة والده حيدر علي في عام ١٧٨٢، وأستمر في الحكم حتى عام ١٧٩٩، من أشد الأمراء الهنود عداء لبريطانيا، ولهذا كانت فرنسا تعده الحليف الطبيعي لها، خاضت بلاده أربعة حروب ضد البريطانيين في الهند خلال الأعوام ١٧٦٧-١٧٦٩، ١٧٨٠-١٧٨٤، ١٧٩٠-١٧٩٢، وفي هذه الحرب هزم تيبو صاحب وأرغم على عقد أتفاقية سرنجابا تام التي فقد فيها الكثير من أملاكه ودفع غرامه باهظة، ولهذا كان تيبو صاحب دائم البحث عن حليف لأخذ ثائره، نوار، عبدالعزيز، تاريخ الشعوب الأسلامية في العصر الحديث، ج٢، دار النهضة للطباعة والنشر، (بيروت ١٩٧١)، ص٣٨٢-٣٨٦.

(٥) في أواخر عام ١٧٩٧ أرسل تيبو صاحب سفارة الى مستعمرة أيل دي فرانس (مورشيوس) الفرنسية طالباً من حاكمها الكونت مالارتيك (١٧٩٢-١٨٠٠) أرسال قوات فرنسية لمساعدته على مواجهة التهديد البريطاني، وحملت السفارة أيضاً مشروع معاهده تحالف بين فرنسا وميسور هدفها طرد البريطانيين من الهند. العابد، هل استهدفت الحملة الفرنسية غزو الهند...، هامش ٢٥، ص١٣٢. وقد كان

إرسال ثلاث قطع من الأسطول البريطاني الى منطقة البحر الأحمر عن طريق رأس الرجاء الصالح، للقيام بدوريات فيما بين منطقتي الخليج العربي والبحر الأحمر[١].

وفي الوقت الذي كان فيه دونداس يؤكد على اهمية الطرق المؤدية الى الهند كطريقي الفرات والبحر الاحمر، فإن الادميرال هوراشيو نلسن H. Nelson[٢]، احد قادة الاسطول البريطاني كان جُلّ ماينشده هو انهائه لفترة المطاردة الطويلة التي أمضاها باحثاً عن الاسطول الفرنسي بقيادة برويسBrueys فوجده اخيراً راسياً في ميناء ابي قير، وبغارة بحرية ناجحة استطاع تحطيم الاسطول الفرنسي في الأول من آب ١٧٩٨[٣] الامر الذي كان له ابلغ الاثر على الوجود الفرنسي في مصر، لما ترتب على ذلك من نتائج، كان في مقدمتها تغيير ميزان القوى البحرية في البحر المتوسط لصالح البريطانيين، بعد ان خسر الفرنسيون ثلثي اسطولهم[٤].

حاول نابليون التخفيف من الاثار التي أحدثتها معركة أبي قير بنشاط دبلوماسي محموم بذله تجاه الباب العالي وحكام الاقاليم، فكتب الى الصدر الاعظم يوسف ضياء باشا في الثاني والعشرين من اب ١٧٩٨، مبرراً الاسباب التي قادت

البريطانيون يعلمون بوجود مثل تلك الأتصالات بل أنهم كانوا يعتقدون بأن مسقط هي حلقة الوصل في هذه الأتصالات، وهذا ما يعنيه وكيل شركة الهند الأنكليزية في بوشهر عندما كتب في الرابع والعشرين من أيار ١٧٩٨= =((أن مسقط ستصبحعما قريب وكراً للجاسوسية الفرنسية على الهند، لأن خمساً أوست سفن عربية تقوم بنقل التجارة بين مورشيوس ومسقط وساحل ماليبار، ولاشك أن نقل الأنباء مورد ربح للتجار العرب...)) العقاد، التيارات السياسية...، ص٦٨.

(١) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر .....، ص٦٦.

(٢) ولد في التاسع والعشرين من ايلول ١٧٥٨، وتعلم فنون البحرية بسن مبكرة، امتاز بين اقرانه بالذكاء الحاد، عين وكيل اميرال في العام ١٧٩٧، واوكلت له في تموز ١٧٩٨ مهمة الاستيلاء على جزيرة تنريف الاسبانية، الا انه فشل في احتلالها، فأوكلت له على اثر ذلك مهمة تعقب الاسطول الفرنسي وتدميره، للمزيد من التفاصيل حوله يراجع: :

Dane. C,The Nelson touch, An Anthology of Lord Nelsons Letters,(London 1942),PPXIII – XVIII .

(٣) إبراهيم، محمد فؤاد وآخرون، اللورد نلسن، مجلة المعرفة، العدد ٧٧، المجلد ١٧،(جنيف، ١٩٧١)،ص ١٢٢٨.

(٤) للتفاصيل حولة معركة أبي قير وعدد سفن كل من الأسطولين وقواتهما يراجع:

Letter from Rear –Admiral sir Horatio Nelson, K. B. to st. Vincent, 3Aug. 1798. Quoted in :English Historical Document, Vol. x1,1783-1832, No.552 General Editor by David. C. Douglas,(London), PP. 890-893; Dane, Op. Cit., PP. 80-81; Jonquiere, Op. Cit, P. 324.

حكومة الادارة الى القيام بعمل عسكري في مصر، بأنها لاتتعدى معاقبة المماليك الذين أساؤوا الى المصالح الفرنسية والحقوا الاذى بالتجار الفرنسيين، وارسل في الحادي والثلاثين من آب الى والي مصر السابق بكر باشا طالباً إليه العودة الى القاهرة وتسلم مهام منصبه السابق، وفي الوقت ذاته أعرب نابليون عن حسن نوايا فرنسا في رسالة بعث بها الى أحمد باشا الجزار حاكم عكا(١)، كما وجه نابليون رسالتين مؤرختين في الشهر نفسه إلى الشريف غالب بن مساعد أعلن فيهما عن أستعداده لتوفير الحماية اللازمة لقوافل الحج، وبقاء الأوقاف المصرية المخصصة للحرمين كما كانت، وإذا استثنينا موقف الشريف يمكن القول بإن جهود نابليون لم تثمر شيئاً مع البقية(٢).

وإزاء هذه التحركات الفرنسية، فقد أستغل السفير البريطاني في اسطنبول أصداء معركة أبي قير، وأتصل بالسفير الروسي بازيل تامارا B.Tamara(٣) وأتفقا على العمل لدفع الحكومة العثمانية على إعلان الحرب ضد فرنسا بوصفها دولة معتدية، وقد تكللت جهودهما بالنجاح، حيث أعلن العثمانيون الحرب في التاسع من

(١) شكري، الحملة الفرنسية...، ص١١٦؛ الطعمة، المصدر السابق، ص٩١.

(٢) أعرب شريف مكة عن ترحيبة بالمبادرة الفرنسية، ويشير د. صبري الحمدي ان سبب تبني الشريف لهذا الموقف ينشطر في امرين أولهما شعوره بضعف الدولة العثمانية عن حماية ممتلكاتها، فأراد الشريف التودد لنابليون خشية منه، وثانيهما قناعته بحقيقة ضعفه الأقتصادي، فموارده الضئيلة لاتتحمل توقف نشاط الحجاز التجاري، خلال فترة الصراع البريطاني الفرنسي في المنطقة، الحمدي، المصدر السابق، ص١٥٤، وللأطلاع على نصوص الرسائل المتبادلة بين نابليون والشريف غالب يراجع: : الجبرتي، عجايب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، تحقيق عبدالعزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي،(القاهرة، ١٩٩٧)، ص١١١-١١٦.

(٣) كان الروس أيضاً ممتعضين من النشاط الفرنسي بعد توقيع معاهدة كامبو فرميو في تشرين الأول ١٧٩٧ والتي حصلت فرنسا من النمسا بموجبها على الجزر الأيونية وموانئي منطقة أبيروس، إذ أعتبر الروس ذلك النجاح الفرنسي بداية لتوسعهم في منطقة البلقان مما يهدد مصالحهم هناك، ثم جاءت الضربة القاضية للعلاقات الفرنسية الروسية باحتلال نابليون لمالطة والذي أعتبره الروس أهانة شخصية للقيصر بول الأول (١٧٩٦-١٨٠١) إذ أن منظمة فرسان القديس يوحنا الحاكمة في الجزيرة كانت قبيل ذلك قد منحت القيصر لقب المعلم الأعظم للمنظمة.

Morfill.W. R, A history of Russia, from the Birth of peter the great to the Death of Alexander 11,(London , 1902), P261; Shaw, op, cit vol, p268.

أيلول ١٧٩٨[١] فكان ذلك الأعلان بمثابة أيذاناً لرئيس الوزراء البريطاني ولم يبت لتكثيف جهوده في أوربا وتشكيل تحالف دولي ثان ضد فرنسا[٢].

لم يقف نابليون موقف المتفرج أزاء نشاط الدبلوماسية البريطانية المناهضة لمشاريع فرنسا، فقد أمر بتأليف أسطول جديد بهدف توجيه ضربة للبريطانيين في الهند[٣] وقد أشارت التقارير الوارده الى بومباي عن قيام (٣٠٠) جنديا فرنسياً من القوات الفرنسية المتواجدة في السويس بمصادرة (٤٠-٥٠) سفينة حمولة كل منها (٨٠-١٠٠) رجل من سفن المصريين[٤]. وأوعز في الوقت ذاته ببناء عدد من القلاع والتحصينات على الطريق من الأسكندرية إلى رأس البحر الأحمر، وأهتم بالسويس من أجل تطوير موانئ البحر الأحمر، لأنعاش الحركة التجارية وبناء السفن[٥] فيما قام المهندسون الفرنسيون بإجراء مسوحات بين البحرين المتوسط والأحمر، للتحقق من أمكانية أنشاء قناة تربط بينهما، وذلك بقصد السيطرة على طرق التجارة الرئيسة في العالم بما يحقق لفرنسا ميزة كبيرة في مجابهة بريطانيا، وقد أهتم بونابرت بهذا المشروع أهتماماً شخصياً، إذ كان على رأس جماعة العلماء والمساحين والمهندسين الذين حاولوا أن يتتبعوا بقايا القناة بين نهر النيل والبحر الأحمر[٦].

أمام هذا التحرك الفرنسي الجاد، شعرت بريطانيا بحاجتها لتكثيف الجهود تجاه الباب العالي، وتوثيق العلاقات معه، مع المحافظة على بقاء جوهر خطتها السياسية تجاه الصراع العثماني – الفرنسي القائم على عدم المشاركة الفعلية في القتال الدائر

---

(1) Jones, Colin, the Longman companion to the French revolution third edition, (Malaysia, 1998), P. 53.

(٢) فشر، هربرت، تاريخ أوربا في العصر الحديث ١٧٩٨-١٩٥٠، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط٢،(القاهرة، ١٩٧٢)، ص٥٤؛

Jonquiere, Op., Cit, P. 223.

(٣) كيلي، المصدر السابق، ص١٠٣؛

Hoskins, op, cit, p57.

(٤) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٨٩-٩٠.

(٥) العابد، هل أستهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند...، ص١٢٥.

(٦) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الاحمر...، ص٦٨. وللتفاصيل حول سفرة نابليون للسويس. يراجع: الجبرتي، عجايب الآثار...، ج٤، ص١٦٢-١٦٤.

على الأراضي العثمانية ثابتاً دون أي تغيير[١]، لذا فقد قررت الحكومة البريطانية القيام ببعض الخطوات منها تكليف السير سدني سميث Sdny Smith شقيق السفير البريطاني سبنسر سمث، الخبير في الشؤون العثمانية، بالسفر الى اسطنبول على ظهر السفية تيجر Tiger، بعد إن خولته صلاحية الأشتراك مع أخيه سبنسر سمث في أية مفاوضات يمكن أن تتم، و تم أختيار الكولونيل كوهلر Kohler للذهاب الى اسطنبول أيضاً على رأس بعثة عسكرية مهمتها تنظيم الجيش العثماني[٢].

وعلى محور آخر فقد أصدرت حكومة الهند أوامرها الى الكابتن راينر Rynar بتحريك السفينتين الحربيتين سنتورين Sentorn، والباتروس AL-batrross[٣] من ميناء مخا إلى السويس لتدمير السفن التي جمعها الفرنسيون هناك[٤] و أمرت بارسال سفينة الشركة المسلحة بلفدير Belvider ، الى ذلك القطاع على أن تتبعها السفينة الحربية أيرل هاو Earl Howe، والسفينة برنس شارلوت Prince Charlot، كما قررت أيضاً تحويل سفن الأستيراد القادمة من الصين الى سفن قتالية، ترسل إلى البحر الأحمر في حالة تأخر وصول الأميرال جون بلانكت[٥] و صدرت الأوامر في أواخر تشرين الثاني الى حكومة بومباي بوجوب تجهيز حملة وإرسالها الى جزيرة بريم Brem[٦] للأستيلاء عليها، إذ يمكن عن طريق هذه

---

(١) كانت سياسة بريطانيا أزاء الصراع العثماني – الفرنسي قائمة علىأساس أن يأخذ العثمانيون وحدهم مهمة تحطيم القوات الفرنسية الموجودة في مصر، بينما يكرس البريطانيون جهودهم لتقديم مساعدات ثانوية للعثمانيين للتخفيف من الضغط الواقع عليهم، وكذلك محاصرة القوات الفرنسية في مصر، وكان من أبرز منظري هذا الرأي رئيس الوزراء وليم بت. شكري، الحملة الفرنسية...، ص٣٩٣.

(٢) خوري، المصدر السابق، ص١١٥.

(٣) كانت السفينة الباتروس جزءاً من أسطول الأميرال جون بلانكت J. Blanket الذي تسلم الأوامر في التاسع من تموز بالتحرك على رأس قطعة بحرية مؤلفة من سفن البحرية الملكية ليوبارد Leopard وديدالوس Dedalos واورست Orest والسفينة الباتروس، لكن السفينة الأخيرة تحركت قبل تحرك الأسطول فوصلت الى ميناء مخا قبل وصوله الذي تأخر الى نيسان ١٧٩٩، وبعد وصول السفينة الباتروس وصلت السفينة سنتورين من الهند تحمل الكابتن راينر. العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٨٨-٩٠ ؛ كيلي، المصدر السابق، ص٩٩.

(٤) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر ......، ص٧٠.

(٥) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٩٠.

(٦) جزيرة صخرية تقع في باب المندب مساحتها حوالي (١٣) كم٢، أدى الموقع الأستراتيجي للجزيرة وتحكمها بمدخل البحر الأحمر التعرضها للأحتلال مرات عديدة فقد أحتلها البرتغاليون في عام ١٥١٣ وأحتلتها فرنسا في عام ١٧٣٨ لمدة قصيرة، ثم أحتلتها بريطانيا في عام ١٧٩٩ . الثور، عبدالله محمد،

الجزيرة إغلاق مدخل البحر الأحمر،فضلاً عن أنها تصلح أن تكون قاعدة متقدمة لتحشد القوات فيما لو تقرر مهاجمة الفرنسيين في مصر(١).

وما يوازي هذه الأجراءات العسكرية في أهميتها، ذلك النجاح السياسي الذي حققه سدني سمث الذي بمجرد أن وصل الى اسطنبول في أواخر كانون الأول ١٧٩٨، وجد بأنه قد آن الآوان لعقد معاهدة تحالف مع الدولة العثمانية، لاسيما وأن الروس قد سبقوهم إلى اتخاذ خطوات أكثر عملية(٢)، اقنعت الدولة العثمانية بتوقيع معاهدة تحالف معهم في الثالث والعشرين من كانون الأول ١٧٩٨(٣).

وبناءً على ذلك فقد دخل سدني سمث وأخيه سبنسر بمفاوضات مع وزير الخارجية العثمانية أحمد عاطف، اسفرت عن توقيع معاهدة تحالف في الخامس من كانون الثاني ١٧٩٩، أبرز ما أشارت اليه هو تعهد بريطانيا بضمان أملاك الدولة العثمانية، كما كانت عليه قبل الغزو الفرنسي، وتعهد السلطان العثماني بالمحافظة على المصالح البريطانية في عموم الولايات الخاضعة للسيادة العثمانية، كما إن أمد المـــعاهدة كان ثماني سنوات(٤).

هذه هي اليمن، مطبعة المدني، (صنعاء، ١٩٦٩)، ص٤٧٥؛ http:// Ju . edu . Jo / publication / cultur . AL mandeb

(1) Cavin , Aden under British rule 1839 -1967 ,(London , 1975) , p22 ;
طه، المصدر السابق، ص٣٨.

(٢) أقترحت الحكومة الروسية على الحكومة العثمانية أرسال أسطولها الحربي إلى البحر المتوسط للقتال ضد الفرنسيين، وقد وافقت الحكومة العثمانية على ذلك فتحرك الأسطول الروسي بقيادة الجنرال أوشاكوف Oshacov من البحر الأسود ماراً بالمضائق العثمانية في أيلول ١٧٩٨، وعندها خرج السلطان العثماني سليم الثالث لتفقد سفن الأسطول الروسي بنفسه، ثم بعد ذلك أستأنف الأسطول الروس أبحاره جنباً الى جنب مع الأسطول العثماني البالبحر المتوسط لشن هجمات مشتركة على الفرنسيين في الجزر الأيونية، وقد تم ذلك حتى قبل أن يتم حلف رسمي بين البلدين.

Shaw , Op . Cit , vol. I , 269;

التكريتي، المسألة الشرقية...، ص ٥٣، ٢١٦.

(3) Treaty of Defensive Alliance between Russia and Turkey , 23 December 1798, Quoted in: the Consolidated Treaty Series , Edited by Clive Parry ,(New York , 1969) , Vol. 54 , PP. 349-345; Howard, N. Harry, The Problem of the Turkish Strits, (Washington, 1947), P. 14.

(٤) عن المفاوضات البريطانية العثمانية يراجع:

وتشير الوثائق العثمانية أنه ما أن تم ذلك التحالف، حتى شرعت الحكومة العثمانية بأرسال الرسائل الى ولاة الأقاليم التابعين لها، تطلب منهم القيام بالأستعدادت اللازمة لمواجهة الخطر الفرنسي، ومنح التسهيلات وإبداء المساعدات للحلفاء البريطانيين[١]وخاصة السير سدني سمث الذي مُنح تفويضاً مطلقاً بموجب الأمر السلطاني الذي اصدره السلطان بهذا الخصوص ومما ورد فيه ((مهما مرّ عليكم من مراكبه وأتباعه فسيروا له بالإكرام الزايد، والإنعام الوافر، وليعلم الخاص والعام، زود صداقته مع الإسلام، والإعانة لنا منه على الدوام، على تدمير الفرنساوية اللئام، وأعلموا بذلك وأعتمدوه غاية الأعتماد والسلام...))[٢].

وما أن تم التحالف حتى أخذ السلطان سليم الثالث يعد خطته لمهاجمة الفرنسيين في مصر، وكانت الخطة تقوم على إرسال جيشين يزحف الأول عبر سوريا وينطلق الآخر من رودس لمهاجمة سواحل مصر الشمالية[٣] لكنه في الوقت ذاته كان متيقناً تماماً بأنه على الرغم من الأصلاحات التي أدخلها على قواته البرية والبحرية[٤]إلا أن مشروعاً طموحاً كهذا لا يمكنه تحمل أعباءه لوحده لضعف إمكانيات القوات العثمانية أزاء إمكانيات الجيش الفرنسي، وإطلاقاً من هذه الحقائق

Ghorbal . M . S . The Beginning of the Egyptian Questions and the Rise of Mohemet Ali, A Study in the Diplomacy of the Napoleonic Era based on Research in the British and French Archives , (London , 1928) , pp53-56.

وللأطلاع على نص المعاهدة العثمانية البريطانية يراجع:

The Anglo-Turkish Defensive Alliance , 5 January 1799 , cited in : Anderson the Great Power and near east..., PP. 21-22 ; the Consolidated Treaty Series, Vol. 54 , PP. 389-394 . ومما يجدر ذكره إن هاتين المعاهدتين كانتا فاتحة التحالف الدولي الثاني، إذ انضمت اليه نابولي بموجب معاهدة أسطنبول الموقعة في الحادي والعشرين من كانون الثاني، ثم أنضمت النمسا في الرابع والعشرين منه . طقوش، محمد سهيل، المصدر السابق، ص٣١٤.

(١) للأطلاع على نصوص الرسائل يراجع، الطعمة، المصدر السابق، ص٩٣-٩٥.

(٢) للأطلاع على نص الفرمان يراجع، الجبرتي، عجايب الآثار...، ج٤، ص٦٠.

(٣) الطعمة، المصدر السابق، ص٩٥.

(٤) للوقوف على أصلاحات السلطان سليم الثالث يراجع:

Baily , frank Edgar , British policy and the Turkish Reform Movement , A study in Anglo –Turkish Relations 1826-1853 ,(New York , 1970) , p26-27; Lewis, Geoffery, Turkey, second edition,(London, 1960), PP. 31-33;

الأموي، محمد عصفور سلمان، حركة الأصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي ١٨٣٩-١٩٠٨ أطروحة دكتوراه، مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص١١-١٥.

فقد أدرك السلطان بأن جهود السير سدني سمث لا يمكن الاستغناء عنها، فتمت مفاتحته بهذا الخصوص، وقد كان الأخير يعتقد هو الآخر بأنه من المتعذر الإعتماد على العثمانيين وحدهم للقيام بعمل جدي دون مساعدة خارجية، فعول السير سدني سمث على مساعدة الأسطول البريطاني، وكتب بذلك الى اللورد نلسن في الرابع والعشرين من كانون الثاني ١٧٩٩، و طلب الإمدادات المالية من حكومته حتى يمكن تجهيز الأسطول العثماني، واخذ السير سدني يكثف إجتماعاته مع المسؤولين العثمانيين وتباحث معهم سبل الأستعدادات البرية والبحرية، وأبحر الى رودس فإلتقى حاكمها حسن بك، ثم أنتقل منها للقاء أحمد باشا الجزار في عكا واتفق معهما حول العمليات الحربية[١].

مما لاشك فيه أن هذه النشاطات البريطانية المحمومة والمتسارعة، قد حفزت نابليون على توسيع دائرة حربة يلسياً وعسكرياً أيضاً، ففي المجال الأول فقد بعث نابليون برسالة الى سلطان مسقط سلطان بن حمد(١٧٩٢-١٨٠٤) في الخامس والعشرين من كانون الثاني ١٧٩٩، ضمنها رغبتة بتوطيد الصداقة معه[٢] وأرفق بها رسالة ثانية، طالباً من السلطان إيصالها إلى الزعيم الهندي تيبو صاحب،موضحاً فيها رغبته بأن يرسل الأخير مندوباً عنه للتشاور معه في الموقف العام وكيفية التعاون بينهما ضد البريطانيين[٣] لكن هاتين الرسالتين وقعتا بيد ممثل شركة الهند في مخا صاموئيل ولسن S. Wilson[٤] فأرسلهما الى حكومة بومباي[٥] وعلى الرغم من أن هاتين الرسالتين لم تفصحا عن خطة فرنسية بالهجوم على الهند، و لم يعد بهما نابليون شيئاً، غير ان تلك الرسائل كانت كافية للتأكيد على سعي الفرنسيين بشتى

---

(١) شكري، الحملة الفرنسية ....، ص١٢٤ ؛ الطعمة، المصدر السابق، ص٩٥.

(٢) للأطلاع على نص الرسالة يراجع : صالح زكي، المصدر السابق، ص٧٤.

(٣) للأطلاع على نص الرسالة يراجع : العابد، هل أستهدفت الحملة الفرنسية غزو الهند .....، ص١٢٧.

(٤) السكرتير العسكري لحاكم بومباي، تم أرساله في أيلول ١٧٩٨ الى جده، لكي يعمل على أبعاد شريف مكة عن نابليون، وإذا تمكن من ذلك يكون حلقة وصل بين الشريف وحكومة بومباي، ويعمل في الوقت ذاته على تحريض الزعماء العرب في جنوب الجزيرة على مقاومة أي زحف يقوم به نابليون عبر ذلك الطريق، العقاد، التيارات السياسية...، ص٦٩.

(٥) يتفق د. العابد مع دالعقاد أن نابليون سلم الرسائل الى شريف مكة، وهذا بدوره بدلاً من أن يرسل بها الى جهاتها المعنونة لها، سلمها الى الممثل البريطاني ولسون. العابد، هل أستهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند ...، ص١٢٦؛ العقاد، التيارات السياسية ...، ص٧٢ – ٧٣ .

الوسائل للوصول الى الهند، الأمر الذي ينذر بالخطر على المصالح البريطانية هناك(١).

أما اجراءات نابليون العسكرية التي اثارت مزيداً من قلق الحكومة البريطانية فتمثلت بحملته على سوريا، بعد أن اعتقد نابليون بأن لا أمان ولا أستقرار لحكومة تقوم في القاهرة، دون تأمين الحدود الشمالية الشرقية لمصر، ولايتم ذلك إلا بالسيطرة على الشام(٢)،فضلاً عن حرمان الأسطول البريطاني من إستخدام الموانئ السورية(٣).

أصدر نابليون أوامره في أواخر كانون الثاني ١٧٩٩ إلى الجيش بالتقدم نحو العريش، وتم الأستيلاء عليها في العشرين من شباط، ثم واصل الفرنسيون زحفهم فدخلوا يافا في السابع من آذار، ففرضوا حصارهم على عكا ابتداءً من الثامن عشر منه(٤).

لم يتمكن الفرنسيون من إحكام حصارهم، لعكا، بسبب وصول السير سدني سمث باسطوله إلى المدينة قبل بدء الحصار بيومين، الأمر الذي أبقى الطريق مفتوحاً بين عكا ورودس، فبقيت الأمدادت تصل إلى عكا بصورة مستمرة، و تمكن البريطانيون من الأستيلاء على مدافع الحصار التي أرسلت من مصر البالغ عددها أربعة وعشرين مدفعاً، مع تدمير السفن الفرنسية التي كانت تحملها(٥) و لجأ سدني سميث الى اسلوب الحرب النفسية في محاولة لزعزعة معنويات القوات الفرنسية من خلال القاء المنشورات المطبوعة على القوات الفرنسية المرابطة عند أسوار عكا، ومما جاء في أحدها ((هل يغامركم الشك في أن حكومة الأدارة حين أرسلتكم الى بلد ناءٍ كهذا، كان هدفها الوحيد هو نفيكم عن فرنسا...))، ويستدل على تأثير هذه

---

(١) لوريمر، المصدر السابق، ج٢، ص٦٧١؛ المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص٦٩ .

(٢) سعيد، أمين، تاريخ الأستعمار الأوربي في بلاد العرب،ج١، تاريخ الأستعمار الأنكليزي في بلاد العرب، مطبعة عيسى البابي وشركاه، (القاهرة، د.ت)، ص٨٣.

(٣) للتفاصيل حول أهداف الحملة السورية كما حددها نابليون في تقريره لحكومة الأدارة المؤرخ في العاشر من شباط ١٧٩٩ يراجع : شكري، الحملة الفرنسية ...، ص١٢٦ .

(4)Ghorbal , op , cit , pp 79 – 83 ; Vaujany , op ,cit , pp 357 – 361 .

(٥) Ghorbal , op , cit , p85 .

المنشورات على القوات الفرنسية من الإجراءات الشديدة التي اتخذها نابليون ضد جنوده[١].

واجه نابليون عراقيل حقيقية أثناء حصاره لعكا،إذ أن وباء الطاعون أخذ نصيبه من الجنود الفرنسيين ومن معنويات قيادتهم[٢] ووصلت الى مسامعه أخبار تمكن الأسطولين الروسي والعثماني من إنتزاع جزيرة كورفو(Corfu) من الفرنسيين، وإن الأسطول العثماني في طريقه الى مصر[٣]، وللإستفادة من أعداء نابليون فقد أستمال السير سدني سميث الكولونيل فيليبو Phelipo، أحد المهاجرين الفرنسيين أنظم الى أعداء الثورة الفرنسية منذ العام ١٧٩٢،وكان ضابطاً مدفعياً أسندت اليه مهمة وضع الخطط العسكرية للدفاع عن عكا، فتكللت خططه بالنجاح بإفشال المحاولات الثلاث لنابليون بإقتحام أسوار المدينة في الرابع والثامن والعاشر من آيار ١٧٩٩[٤].

ومن الجدير بالذكر بأن نابليون في الوقت الذي كان فيه يحاصر عكا، فقد استمر وصول التعزيزات البريطانية الى البحر الأحمر، ففي منتصف نيسان ١٧٩٩، وصل أسطول الأميرال جون بلانكت الى ذلك البحر،وأخذ يفرض حصاراً شديداً على السويس، ثم أخذ يدك بمدافعه ميناء القصير في الرابع من آيار ١٧٩٩[٥]، وتمكن المقدم موري Murray الذي وصل إلى جزيرة بريم، من الاستيلاء عليها في الثالث من آيار ١٧٩٩[٦] مما اضطر نابليون أخيراً الى رفع الحصار عن عكا وسحب قواته بإتجاه مصر[٧].

---

(١) نقلاً عن: كرستوفر، المصدر السابق، ص٢١٢ – ٢١٣ .

(2) Jonqiere , Op. Cit., P. 324 .

(٣) طقوش، المصدر السابق، ص٣١٥.

(٤) شكري، الحملة الفرنسية ...، ص١٣٠ .

(٥) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي ...، ص٩١ .

(٦) هارولد ف. يعقوب ك. س. آي، ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد الضواحي، ط٢، دار العودة،(بيروت، ١٩٨٨)، ص٢١ – ٢٢.

(٧) للمزيد من التفاصيل حول اسباب فشل الحملة يراجع :

Kirk , op , cit , p73 ;

لوتسكي، المصدر السابق، ص٥٣ .

لقد اثبتت الحملة السورية بأن أي تهديد فرنسي للوجود البريطاني في الهند حينذاك هو ((ضرب من الخيال))[١] لأنه ((أمر غير واقعي وبعيد عن التنفيذ))[٢] فعلى الرغم من أنتصار نابليون اللاحق في موقعه ابي قير البرية على القوات العثمانية في الخامس والعشرين من تموز ١٧٩٩ إلا ان السير سدني سميث استطاع ان يفوت على نابليون نشوة ذلك الأنتصار،مستغلاً الإتصالات التي دارت بينه وبين الضابطين الفرنسيين مرلان Mirlan وديكورش Decorsh حول تبادل الأسرى، ليرسل معهما الى نابليون عدد صحيفة فرانكفورت Frankfort الفرنسية الصادر في العاشر من حزيران ١٧٩٩، وقصد من ذلك اطلاع نابليون على الهزائم التي أخذت تتعرض لها فرنسا في القارة الأوربية، لأحراج موقف نابليون في مصر[٣]، حتى أن بعض الدراسات عدت لهذه الخطوة أعظم أثر في تفكير نابليون بالعودة الى فرنسا، ويستندون في ذلك الى ما نقله أحد ضباط الحملة من أن نابليون قد دهش بعد فراغه من قراءة تلك الصحيفة وقال: ((لقد وقع ماكنت أخشاه، وضاعت أيطاليا، فما أتعسهم، لقد ذهبت أنتصاراتي جميعها سدى ولا بدلي من العودة حالاً دون إبطاء))[٤]، وبدون أدنى شك فان ذلك الشعور يعكس بصورة واضحة الموقف المحرج الذي اصبح يحيط بفرنسا نفسها بصورة عامة[٥] وموقف الحملة الفرنسية بصورة خاصة.

لقد شكل فشل نابليون في الشام، والأخبار السيئة التي تضمنتها تلك الصحيفة إنعطافة مهمة في طبيعة سياسته تجاه الباب العالي، فقد قرر نابليون الدخول في مفاوضات مع الدولة العثمانية لأجل الصلح، وكتب بهذا الخصوص الى الصدر

---

(١) العابد، هل أستهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند ...، ص١٢٨ .

(٢) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي ....، ص٨٢ .

(3) Ghorbal , op ,cit , p100 -101 ; Voujany, op , cit , p361 – 362 .

(٤) نقلاً عن : شكري، الحملة الفرنسية ...، ص١٣٣ .

(٥) في الوقت الذي كان فيه نابليون في الشرق، تسارعت الأحداث في أوربا في غير صالح فرنسا، إذ أخذت تعيش هزائم عديدة على يد قوات التحالف الدولي الثاني، فقد طُرد الفرنسيون من نابولي وهُزمت جيوشهم في سويسرا، وقد توج القائد الروسي سوفوروف Sovorov هذه الأنتصارات في أيطاليا، عندما أنزل بالفرنسيين هزيمة ساحقة عند نوفي Novy في الخامس عشر من آب ١٧٩٩ فأنهارتا على اثر ذلك جمهوريتا إيطاليا وروما، وبدا النصر النهائي على فرنسا مؤكداً، إذا تأكدت بين المتحالفين عرى الوحدة. للتفاصيل حول تلك الأنتصارات يراجع :

Duffy , Christopher , Russia's Military way to the west Origins and Nature of Russian Military Power 1700 – 1800 ,(London , 1973) , pp 216 – 222 .

الأعظم يوسف باشا في السابع عشر من آب ١٧٩٩[١] إلا أن اخبارا وصلت الى مسامعه مفادها أن السفن البريطانية والعثمانية المحاصرة للشواطيء المصرية قد توجهت الى قبرص في مساء ذلك اليوم لغرض التزود بالمؤن والذخيرة، فقرر في نفسه استغلال الفرصة ومغادرة البلاد الى اوربا، دون أن ينتظر معرفة وجهة نظر العثمانيين حول الصلح، ذلك ألأمر الذي تركه مع شأن القيادة للجنرال كليبر Kleber وغادر في الثالث والعشرين من آب متوجهاً الى فرنسا[٢].

والواقع أن نابليون عند مغادرته، لم يفكر بترك مصير الحملة للقدر، بل عشية عودته ترك مجموعة من التعليمات حدد فيها ما يجب على الجنرال كليبر فعله في المرحلة القادمة، واهم ما جاء في هذه التعليمات جزؤها الخاص بالمفاوضات مع العثمانيين، حيث فوض الأخير بالدخول في مفاوضات معهم والتوصل الى صلح نهائي، لكنه قيد ذلك التفويض بقيود معينة، فلا يتم اتفاق إلا إذا أخفقت حكومة الإدارة في محاولة الأتصال بكليبر، وتعذر وصول أية إمدادات من فرنسا خلال الشهور المقبلة وحتى شهر آيار من عام ١٨٠٠، وفي حالة توصل الجنرال كليبر لصلح مع العثمانيين فإنه يجب أن يعمل قدر الأستطاعة على جعل أمر الجلاء عن مصر مرهون بأنسحاب العثمانيين من التحالف الدولي الموجه ضد فرنسا، مع محاولة إرجاء تنفيذ شروط الصلح الى حين عقد صلح عام في أوربا، حتى يكون الصلح مع العثمانيين جزءا من ذلك الصلح العام[٣].

إلا أن كليبر وجد بأن هذه التعليمات لا يمكن أن تكون برنامج عمل للمرحلة القادمة، وبعد دراسة للظروف المحيطة بالحملة سواء أكان ذلك في داخل مصر أم خارجها، فقد خلص الجنرال كليبر الى مجموعة من الآراء التي دونها في تقرير ارسله الى حكومة الأدارة في السادس والعشرين من أيلول ١٧٩٩، وأعتبر فيه ان أقصى ما يمكن ان يفعله هو أن يمضي قدماً في مفاوضات الصلح التي حاول بونابرت نفسه ان يشرع بها مع العثمانيين[٤] وبناءً على ذلك، فقد كتب الجنرال كليبر

---

(1) Ghorbal, Op, Cit , P. 102;

شكري، الحملة الفرنسية...، ص١٣٥ .

(2) Jonquiere ,Op. Cit , p325 ; Vaujany , op , cit , p361 .

(3) Ghorbal , Op . Cit , p103 ;

كرستوفر، المصدر السابق، ص٣٥٦ .

(٤) للمزيد من التفاصيل حول تقرير الجنرال كليبر يراجع : شكري، الحملة الفرنسية ...، ص١٥٠ – ١٥٢ .

في أواخر أيلول الى الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا رسالة جدد فيها الدعوة للدخول في مفاوضات الصلح(١).

ويبدو أن الحكومة العثمانية قد فسرت رحيل نابليون، واصرار الجنرال كليبر على مسألة الصلح بأنه ضعفا، وربما وجدت في ذلك حافزاً للعمل على طرد الفرنسيين من مصر(٢) لذا فإن الرد العثماني كان مليئاً ((بالكبرياء والعجرفة القريبة من الإهانة البالغة)) على حد قول كليبر نفسه(٣).

بيد أن منطق الحكومة العثمانية الرافض للصلح وقتذاك لم يدم طويلاً، ذلك أن تفسير العثمانيين الخاطئ للموقف الفرنسي. دفعهم لمهاجمة القوات الفرنسية في دمياط في الثامن من تشرين الثاني ١٧٩٩، لكن الفرنسيين تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالجيش العثماني، فكان ذلك بمثابة الصفعة القوية التي فاق على أثرها العثمانيون فقبلوا بمبدأ المفاوضات(٤) وجاء رد الباب العالي هذه المرة ((في غاية التأدب والملاطفة)) حسب تعبير كليبر أيضاً(٥)

كان الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا يدرك بأن أي أتفاق مع الفرنسيين لايمكن أن يتم دون علم بريطانيا. لذا قام باستدعاء السير سدني سميث وأطلعه على نصوص رسائل نابليون وكليبر لمعرفة وجهة نظره حول مفاوضات الصلح، ورغم أن سمث كان مؤيداً لمسألة المفاوضات التي تنتهي بالجلاء الفرنسي الشامل عن مصر بصورة سلمية، لكنة في الوقت ذاته انتابته مخاوف من اجراء مفاوضات ثنائية فرنسية – عثمانية دون علمه(٦). ولما كان قد أمِن الجانب العثماني بهذا الشأن بعد لقائه بالصدر الاعظم، وجد سدني سمث أنه من الضروري توجيه رسالة الى الفرنسيين يعلمهم فيها عدم امكانية التوصل الى تفاهم فرنسي- عثماني دون اشراك بريطانيا بالامر. فكتب الى الجنرال كليبر قائلا: ((يتعذر على العثمانيين قبول الصلح او الهدنة لوحدهم، ما دامت معاهدة التحالف البريطانية العثمانية الموقعة في الخامس من كانون الاول ١٧٩٩ قائمة، وأنه ليس بوسع الفرنسيين الانسحاب من هذه البلاد

---

(1) Ghorbal , Op .Cit , p104; كرستوفر، المصدر السابق، ص٣٦١
(2) Vaujany , Op . Cit p362;
الطعمة، المصدر السابق، ص٩٨.
(٣) نقلاً : شكري الحملة الفرنسية .....، ص١٦٠.
(4) Ghorbal , Op ,Cit , P. 105.
(٥) نقلا عن: شكري، الحملة الفرنسية...، ص .
(٦) خوري ، المصدر السابق، ص١٣٥.

دون موافقة بريطانيا او علمها، لذا يجب ان تكون بريطانيا طرفا في أي اتفاق يعقد بين الفرنسيين والعثمانيين))[١].

رحّب الجنرال كليبر بوجهة النظر البريطانية، وأعرب عن ذلك برسالة وجهها الى السير سدني سمث وورد فيها ((آن الأوان لتكف الأمتان اللتان هما أكثر أمم أوربا حضارة عن مقاتلة أحداهما الأخرى...ولا أعرف مجداً أجمل وأصح من المجد الذي سيوزعه التاريخ على الذين سيسهمون في أنهاء الحرب...)) [٢].

وعلى هذا الأساس من التفاهم فقد جرت المفاوضات التي أسفرت عن توقيع معاهدة العريش في الرابع والعشرين من كانون الثاني ١٨٠٠، ونصت على جلاء الفرنسيين من مصر مع كامل أسلحتهم وأمتعتهم في مدة أقصاها ثلاثة أشهر قابلة للتمديد إذا ما دعت الضرورة لذلك، وعلى سفنهم الخاصة أو تلك التي يقتضي الحال تقديمها من الباب العالي[٣].

ما أن أطّلعت الحكومة البريطانية على مسودة المعاهدة، حتى أعلنت رفضها لما ورد فيها، وعارضت – دون الأخذ بالأعتبارات العثمانية أو موقف مسؤولها سدني سمث – تنفيذ فقرات اتفاق العريش بحجة أن الحرب ضد فرنسا لاتزال قائمة في أوربا ولابد من تسليم قواتها العائدة عبر البحر كأسرى حرب[٤].

كان للحكومة البريطانية عدد من المسوغات في رفضها للمعاهدة، منها أنها رأت لقوتها البحرية ميزة الأرجحية في البحر المتوسط، بالشكل الذي يمكنها من محاصرة الجيش الفرنسي في مصر، وقطع طريق الإمدادات اليه، ثم أجباره على

---

(١) نقلاً عن : كرستوفر، المصدر السابق، ص٣٦٢.

(٢) نقلاً عن: خوري ، المصدر السابق، ص ١٣٩ ؛ كرستوفر، المصدر السابق، ص٣٦٢.

(٣) للتفاصيل حول مفاوضات أتفاقية العريش يراجع:

Ghorbal , Op. Cit 110-114.

شكري، الحملة الفرنسية .....، ص ١٥٧-١٧٥ وللوقوف على نص الأتفاقية يراجع:

Convention between France and Turkey 24 January 1800, Quoted in: The Conslidated Treaty Series , vol 55 , pp141-143;

الجبرتي، عجايب الآثار .....، ج٤، الملحق رقم (٢٠) ص٤٥٢-٤٥٧ ؛ خوري ، المصدر السابق، المستند رقم (٤)، ص٢٥٩-٢٦٥.

(٤) الصلابي، علي محمد محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط،(القاهرة، ٢٠٠٤)، ص٣٠٧.

التسليم، لذا فمن الخطأ التفريط بهذه الأرجحية[1] وبقدر ما يكون هذا السبب صحيحاً فإن هناك اسباباً أخرى لا تقل أهمية عن ذلك منها أن بريطانيا رأت في تنفيذ المعاهدة خطراً على ميزان القوى العسكرية في أوربا في حال عودة القوة الفرنسية بسلاحها الى أرض الوطن[2]، وبعبارة أخرى فإن بقاء جيش الحملة محصوراً في مصر، لايكلف البريطانيين سوى ملاحظة منافذ البحرين الأبيض والأحمر، وهذا بحد ذاته أقل خطورة وأهون شراً من السماح بعودة الجيش الفرنسي الى فرنسا واشتراكه في المعارك الدائرة في أوربا[3].

أنطلقت بريطانيا أيضاً في رفضها لأتفاقية العريش من نظرتها الى المسألة على أنها أكثر من أن تنتهي بجلاء القوات الفرنسية عن مصر، فقد رأت بأنها لكي تأمن مصالحها في مصر، فأن ذلك لا يأتي إلا عن طريق تواجدها العسكري المباشر فيها، فلا يمكن أن تكون هنالك مكاسب دون مشاركة فعلية، تتمثل بنزول قوات برية على أرض مصر، وكان نقض المعاهدة يوفر لها تلك الفرصة[4] لاسيما إذا أخذنا بنظر الأعتبار أن بريطانيا أصبحت وقتذاك قادرة على الإقدام على مثل هذه الخطوة بعد أن حققت أرجحيتها في الهند بقضائها على حليف الفرنسيين تيبو صاحب منذ أيار ١٧٩٩[5] فأصبحت بذلك متفرغة في الشرق بكليتها للمسألة المصرية.

وعلى الرغم من هذه المبررات لم يعد يسيراً على الحكومة البريطانية أن تمضي قدماً في موقفها الرافض للمعاهدة، لان حلفائهم العثمانيين أمتعضوا كثيراً جراء ذلك الموقف[6] حتى أن السلطان سليم الثالث وصف الموقف البريطاني بأنه ((مناوره شطرنجية غير مدروسة العواقب، ولم تقدر طبيعة الخطر الذي تتعرض له

---

(1) Stewart . Desmond , Yaung Egypt,(London, 1964) , P. 33.

(٢) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٩٦.

(٣) شكري، الحملة الفرنسية...، ص ١٩٤، ٣٨٩.

(4) Shaw , Op. Cit , Vol. I , P. 269;

المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص٧٩.

(٥) سبقت الأشارة الى أن تيبو صاحب أرسل بعثة الى حاكم أيل دي فرانس، وكانت تلك البعثة تحمل مشروعاً لمعاهدة فرنسية – ميسورية، فما كان من حاكم أيل دي فرانس الكونت مالارتيك الا وقام بنشر هذه المعاهدة في الثلاثين من كانون الثاني ١٧٩٨، وقد عُرف خبر المعاهدة في كلكتا في حزيران من العام ذاته، فأستغل ولزلي الحاكم العام للهند ذيوع ذلك النبأ لتوجيه ضربة لدولة ميسور، أنتهت بالفعل بمصرع تيبو صاحب نفسه في الرابع من أيار ١٧٩٩. العابد، هل أستهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو الهند...، ص١٣٢.

(٦) طقوش، المصدر السابق، ص٣١٨ ؛ خوري ، المصدر السابق، ص١٦٢.

البلاد))[1] هذا من جانب ومن جانب آخر فإن السير سدني سمث الذي كان يدرك مدى تمسك العثمانيين واصرارهم على تطبيق بنود المعاهدة، أخذ يوضح هذا الأمر الى حكومته وأضاف اليه أن هذه الأتفاقية تعد أقصى نجاح سياسي يمكن أن تحققه بريطانيا في صراعها الى جانب الباب العالي ضد فرنسا، مؤكداً ذلك بقوله ((لما كانت عملياتنا الكبرى في هذه الجهات تستهدف استعادة مصر وإرجاعها الى حلفائنا – العثمانيين – وتأمين الممتلكات البريطانية في الهند، وكل هذه فوائد يتطلب الوصول إليها تضحيات كبيرة، فإنني لا أشك بتاتاً في أنكم سوف توافقونني على أن هذه المفاوضات قد حققت أقصى ما قد يرجو الإنسان بلوغه في حرب))[2].

و عاب على حكومته أن تطلب المزيد من الرضوخ من الجنرال كليبر وهو الذي ((لم يقف يوماً من أحد، حتى من قائده الأعلى ورئيس دولته بونابرت موقف الجندي الآلي أو الرجل المستضعف المستسلم، وإن الرجل الذي لا ينحني أمام بونابرت لا ينتظر منه أن يحني الرأس أمام عدو يضمر له الكره والحقد...)) على حد قوله[3]، ثم حذر حكومته من مغبة المضي في موقفها الرافض، لأنه لن يزيد الفرنسيين إلا تعنتاً وتمسكاً بمصر فـ ((مما يجب أن يذكره المرء دائماً أن الجيش المدرب الذي عركته التجارب مهما أشتد تذمره من الحال التي هو عليها، فأن اليأس سوف يجعله يحتفظ طويلاً ببلاد منعزلة تشق القنوات العديدة أرضها وتكثر بها السدود حتى أنه ليتعذر الدخول إليها...))[4]، وأخذ يكتب إلى اللورد الجين Elgin السفير البريطاني في اسطنبول (١٧٩٩-١٨٠٣)علّه يساعده في أقناع الحكومة في لندن قائلاً له ((أن الهدف القومي العظيم سيتحقق إذا أخرجنا الفرنسيين من البلاد حتى لو حملوا الأهرام معهم))[5].

أثمرت جهود سدني سمث في لندن، وأعادت الحكومة البريطانية النظر في موقفها، فوجدت بأن المعاهدة لا تخلو من نقاط إيجابية، منها أسترجاع العثمانيين لسيادتهم على مصر، الذي من شأنه أن يمكن الأسطول البريطاني من استخدام الموانئ المصرية والتردد عليها طالما بقيت معاهدة التحالف البريطانية العثمانية

(١) نقلاً عن: الطعمة، المصدر السابق، ص٩٩.

(٢) نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية...، ص١٩٩.

(٣) نقلاً عن: خوري ، المصدر السابق، ص١٥٩.

(٤) نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية...، ص١٩٩.

(٥) نقلاً عن: كرستوفر، المصدر السابق...، ص٣٦٨.

قائمة[١] و أن المعاهدة أعطت بريطانيا ممثلة بالسير سدني سمث مكانة ممتازة عندما أقامته حكما مما يمكنه من مراقبة الانسحاب بكل دقة[٢]،وفضلاً عن ذلك فلما كان من الصعب على الحكومة البريطانية أن تنقض عملاً قام به احد مسؤوليها لما في ذلك من الإساءة إلى سمعتها، وإضعاف الثقة بها والانتقاص من هيبتها أمام حلفائها وأعدائها على السواء، فقد أضطرت أخيراً الى التراجع عن موقفها والموافقة على تنفيذ بنود الأتفاق[٣]، لذا فقد أوعز وزير الخارجية البريطانية اللورد جرنفيل في الثامن والعشرين من آذار ١٨٠٠ الى اللورد الجين في أسطنبول بالعمل مع الحكومة العثمانية لإتمام الإجراءات الخاصة بانسحاب الجيش الفرنسي[٤]، وفي الوقت ذاته صدرت أوامر الحكومة البريطانية الى اللورد كيث Keith أحد قادة الأسطول البريطاني بإعلام السير سدني سمث قرار تراجع الحكومة البريطانية عن رفضها للمعاهدة[٥].

لكن الرفض جاء هذه المرة من الجانب الفرنسي، إذ فسّر الجنرال كليبر الأمر على أنه ((خدعة بريطانية جديدة))[٦] فحواها أن يسمح البريطانيون لجنوده بمغادرة مصر، فيطبق الأسطول البريطاني عليهم، ويعتقلهم كأسرى حرب[٧] و أعتقد كليبر أن أن زمام المبادرة باتت بيد الفرنسيين إثر انتصاره على الجيش العثماني في معركة هيليو بوليس "عين شمس"(helluy Boles) في العشرين من آذار ١٨٠٠[٨]،فضلاً عن سيطرته علىالأوضاع الداخلية عن طريق إتفاق وقعه مع المماليك في الخامس من نيسان ١٨٠٠ أنهى حالة الصراع بين الطرفين، وتعهد فيه المماليك بتقديم المساعدات للجيش الفرنسي عند الحاجة[٩] ثم اخماده ثورة القاهرة الثانية في الثامن عشر من

---

(١) شكري : الحملة الفرنسية .....، ص٢٠٢.

(٢) نصت المادة الثالثة من المعاهدة بأنه لحل أي خلاف قد ينشب أثناء الانسحاب بين الفرنسيين والعثمانيين فلابد من الرجوع الى السير سدني سمث.

(٣) خوري ، المصدر السابق، ص١٦٠.

(٤) شكري، الحملة الفرنسية...، ص٢٠٢ ؛ كرستوفر، المصدر السابق، ص٣٦٧.

(5) Ghorbal , Op . Cit , p117.

(٦) نقلاً عن : الطعمة، المصدر السابق، ص٩٩.

(٧) خوري ، المصدر السابق، ص١٦١.

(8) Renouf. V. A, Outlines of General History,(London, 1910), P. 372.

(٩) للأطلاع على نص الأتفاق يراجع: الجبرتي، عجايب الآثار ....ج٤، الملحق رقم (١٩) ص٤٤٩-٤٥٢.

نيسان ١٨٠٠[١] فكتب الى الجنرال لانوس Lanos أحد ضباط الحملة في الثامن والعشرين من نيسان قائلاً ((إن الأخبار التي حملها إلينا اللورد كيث دون خجل أو حياء قليلة القيمة بعد الأنتصارات التي أحرزناها...)) [٢].

وبناء على ذلك فقد أدركت الحكومة البريطانية أن تحقيق شروط الصلح بين فرنسا وبريطانيا رهن بما يتمخض عنه أمتحان قوتها في شرق المتوسط من نتائج، لاسيما وأن متغيرات أخرى أخذ يشهدها الموقف الدولي، حتمت على الحكومة البريطانية أن تجري تعديلات على خطتها أزاء الصراع العثماني – الفرنسي، ثم القيام بعمليات مشتركة مع العثمانيين.

ثانياً. العمليات البريطانية – العثمانية المشتركة وأجلاء الفرنسيين عن مصر:

سبقت الأشارة الى أن الحكومة البريطانية قد أكدت على أن يترك للعثمانيين وحدهم مهمة تحطيم القوات الفرنسية المتواجدة في مصر، بينما يكرس البريطانيون جهودهم لتقديم مساعدات ثانوية لتخفيف بعض الضغط الذي قد يتعرض له الجيش العثماني، وأستمر البريطانيون بهذه الفكرة التي دافع عنها رئيس الوزراء البريطاني وليم بت الى مابُعيد معركة هيليوبوليس.

كان وليم بت يستند في دفاعه الى مجموعة من الحقائق التي تتمحور كلها في مسألة واحدة مفادها، أن الأساطيل البريطانية تطبق حصارها بشكل جيد على القوات الفرنسية في مصر، وهذا بحد ذاته كفيل بمساعدة العثمانيين للقضاء عليها، بعد ألأخذ بالحسبان عدم قدرة الفرنسيين على ايصال اية امدادات، فمن جانب فإن الأسطول البريطاني هو المتحكم الوحيد بطريق رأس الرجاء الصالح، بعد سيطرته على مستعمرة الكاب، ومن جانب آخر فلا يزال الأسطول البريطاني يحقق أرجحيته في المتوسط بعد انتصاره البحري في أبي قير، بل وحتى المركز الفرنسي الوحيد في المتوسط المتمثل بجزيرة مالطة، قد أعياها حصار الأسطول البريطاني، وهي على وشك الأستسلام، الأمر الذي ضمن معه البريطانيون عدم وصول أية أمدادات من فرنسا الى مصر عبر هذين المحورين[٣].

---

(١) عن ثورة القاهرة الثانية يراجع: شارويم بك، ميخائيل، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ج٣، (مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٨)، ص٢٥١-٢٦٠ ؛ الجبرتي، عبدالرحمن، مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس (يوميات الجبرتي)، ج٢،(دار المعارف، القاهرة، د.ت)، ص٢٤-٤٩.

(٢) نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية...، ص٢١٤.

(٣) شكري، الحملة الفرنسية...، ص٣٩٠.

أما على محور البحر الأحمر، فقد استقر رأي حكومة بومباي على إبقاء اسطول الأميرال جون بلانكت مرابطاً في ذلك البحر، طالما أنه قادرً على أن يؤدي مهمته بشكل كامل في السيطرة على مدخل ذلك البحر[1]، كما استطاع جون بلانكت ان يجتمع مع شريف مكة في حزيران ١٨٠٠ ونجح في إقناعه بالأمتناع عن قبول او تقديم أية مساعدة للفرنسيين وبالتزام الجانب البريطاني، وكتب بلانكت الى حكومته ((جرى بيننا حديث في غاية الود، وأنني استطيع ان أعتبر الشريف منذ هذا الوقت من أصدقائنا، أن نفوذه كبير وصداقته ذات قيمة كبيرة لنا))[2]، وبذلك يمكن القول بأنه قد قضي على أية بارقة أمل في وصول أية إمدادات للجيش الفرنسي المرابط في مصر بنجاح البريطانيين في إقفال جميع المنافذ البحرية المؤدية إليها .

ومما يجدر ذكره أن فكرة بت هذه قد جوبهت بمعارضة شديدة من قبل بعض السياسيين والعسكريين الذين اعتقدوا بأنه من الخطأ ترك العثمانيين يواجهون لوحدهم حسم مسألة الوجود الفرنسي في مصر، وأختلفوا مع بت في عدّ أمر الحملة منتهياً أثر الخسارة التي تعرض لها الأسطول الفرنسي في أبي قير عام ١٧٩٨، أو حتى بتخلي نابليون عن حملته وعودته الى باريس في عام ١٧٩٩[3]، فكتب هنري دونداس إلى بت في تشرين الثاني١٨٠٠قائلاً ((يتعذر عليَّ اعتبار الحملة منتهية إذا كان الفرنسيون لا يزالون محتفظين بجيش كبير في مصر))[4] أما سدني سميث فقد أكد ((أن نابليون لن يترك مصر وشأنها، وأنه سوف يرسل النجدات لها بكل السبل))[5]، والواقع فأن سدني سميث كان دقيقاً في تقديره للموقف، إذ قدِم إلى لندن في مطلع كانون الثاني ١٨٠٠ المندوب الفرنسي اوتو Otto للتفاوض نيابة عن نابليون مع الحكومة البريطانية،حاملاً معه أفكاراً لا تنم عن نية الفرنسيين بالتخلي عن المكاسب التي حصلوا عليها في مصر، وإذا ماحصل ذلك فالأمر مرهون بحصولهم على تعويضات مجزية، إذ اقترح اوتو عقد هدنة بين الطرفين تتضمن حرية الملاحة للسفن التجارية والحربية، بهدف إتاحة الفرصة لنقل الإمدادات الى مالطة والأسكندرية، تطبيقاً للقاعدة التي كان يجري العمل بها لتزويد المواقع التي كان يحاصرها الجيش

(١) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...،ص٨٠.
(٢) نقلاً عن: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٩٧.
(٣) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص٨٠.
(٤)نقلاً عن : شكري، الحملة الفرنسية...، ص٣٩٣ ؛ وللوقوف على أراء دونداس حول الحملة يراجع: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٩١ – ٩٢.
(٥) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص٨٠.

الفرنسي في المانيا مثل (فيليبسبورغ Philipsbourg) و (أولم Ulm) و (أنجلوشتاد Inglostad)، غير أنه لم يكن من اليسير على الحكومة البريطانية القبول بوجهة النظر الفرنسية لما تنطوي عليه من دلائل عن مدى تشبث نابليون بمصر[(١)].

ومما عزز موقف المعارضين لسياسة بت، هي المتغيرات الجديدة التي تنوعت بين ماشهدته الساحة المصرية من تطورات في الفترة التي أعقبت معركة هيليوبوليس، أوتطورات أخذ يشهدها الموقف الدولي، فكان لها بمجملها أبرز الأثر في دفع وليم بت لإجراء تغيرات جوهرية في خطته، بل في قلب خطته رأساً على عقب بجعلها قائمة بدلاً من عدم التدخل الى التدخل المباشر وإرسال ثلاث حملات الى مصر لتشترك مع العثمانيين في طرد الفرنسيين.

أما تطورات الساحة المصرية فتتمثل بإغتيال الجنرال كليبر في الرابع عشر من حزيران ١٨٠٠[(٢)] الامر الذي قضى على أية بارقة أمل في التفاوض حول الإنسحاب السلمي[(٣)] وتأكد هذا الأمر بوصول الجنرال منو Meno إلى قيادة الحملة، وكان من أشد الناقمين على اتفاقية العريش، وأحد أشد الرافضين لمسألة تخلي فرنسا عن مصر[(٤)]، ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى رسالتين متبادلتين بين الجنرال كليبر والجنرال منو تظهران بشكل جلي وواضح نمط تفكير كل منهما حول مستقبل الحملة، ويعود تأريخ هاتين الرسالتين الى مابُعيد انتصار كليبر في هيليوبوليس، إذ كتب اليه الجنرال منو قائلاً ((إذكان أتفاق التسليم الموقع في العريش في رأيي خطأً سياسياً، فأن النصر الباهر الذي حققته، وإعادة فتح مصر الذي أنجزته يكللانك بالمجد، ليس لي أيها الجنرال من أمنية سوى مشاركتك مجدك وجهادك ... فاذكر من أنت تصبح

---

(١)نقلاً عن : شكري، الحملة الفرنسية...، ص٣٨١.

(2) Ghorbal , Op. ,Cit., , P. 119 .

(٣)لم يكن رفض كليبر للمفاوضات والذي سبقت الأشارة اليه، سوى انعكاساً لحالة الغضب التي اعترته نتيجة موقف البريطانيين في تعطيل معاهدة العريش، ثم موافقتهم عليها بعد اخلاء الفرنسيين لعدد من مواقعهم، وقد ظل كليبر لا يثق بنوايا البريطانيين الى نهاية أمره، وعليه فأن رفضه للمفاوضات كان يقتصر فيما إذا كانت مع البريطانيين، أما آراءه حول الجلاء فبقيت ثابتة، أي بأستحالة بقاء الحملة في مصر، ولهذا فقد كان الحل برأيه أن يمم وجهه نحو العثمانيين لفتح قنوات جديدة للتفاوض معهم، إلا ان وفاته حالت دون تحقيق ما كان يرنوا اليه، شكري، الحملة الفرنسية ...، ص٢١١ – ٢٢٥ ؛ طقوش، المصدر السابق، ص٣١٨ .

(٤) غرايبة، عبد الكريم محمود، تاريخ العرب الحديث، (المطبعة الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٨٤)، ص٧٠؛ يحيى، مصر الحديثة...، ص٣٨٧ – ٣٨٩ .

مؤسس مستعمرة عظيمة))[١]، فجاء جواب الجنرال كليبر ساخطاً بقوله ((وصلني كتابك أيها الجنرال، ودهشت لما جاء فيه مما يخالف تفكيري ونظري إلى الأمور، فلا أتفاق العريش كان خطأً سياسياً، ولا النصر الذي احرزته في هيليوبوليس كان مما يسكر صاحبه ويدفعه للغرور،وما زلت مؤمناً إيماناً عميقاً بأني إذ وضعت اتفاق العريش وجت حلاً معقولاً ونهاية مشرفة لمغامره جنونية، ويقيني أننا نكون مخطئين إذا عللنا أنفسنا بوصول نجدات الينا، او بأمكان أنشاء مستعمرة في مصر، مادامت الحرب قائمة، إلا إذا قبلت النخلة وشجرة القطن ان تثمرا جنوداً ورصاصاً، وعلى كل حال فليكن كتابي هذا خاتمة نقاشنا السياسي، إن وجهك أيها الجنرال يتجه صوب الشرق أما وجهي فنحو الغرب ولن نلتقي أبداً))[٢].

يتضح مما تقدم ان تعيين الجنرال منو قد قطع اية فرصة لأنسحاب فرنسي سريع من الأراضي المصرية، لاسيما بعد أن ترجم هذه العقائد الثابتة لديه بشكل عملي ورفض الدعوة التي تقدم بها البريطانيون للمفاوضات رفضاً قاطعاً[٣] الأمر الذي حتم على اصحاب القرار السياسي في لندن مراجعة حساباتهم بخصوص فكرة بت.

وفضلاً عن هذه المتغيرات، فقد حدثت تغيرات في مواقف الدول الأوربية التي شكلت ما عرف بالتحالف الدولي الثاني، إذ تمكن نابليون من الحاق الهزيمة بالنمساويين في معركة مارنجو Marengo في الرابع عشر من حزيران ١٨٠٠، فأضطرت النمسا الى عقد الهدنة في الثامن والعشرين من تموز، الأمر الذي مهد لخروجها من التحالف الدولي المناهض لفرنسا[٤]، وأزاح جانباً أساسياً من الضغط العسكري الذي كان يعاني منه نابليون على الساحة الأوربية، وتمكينه من التوجه بزخمه الحربي لانقاذ حملته في مصر[٥].

---

(١) نقلاً عن: كرستوفر، المصدر السابق، ص٢٦٨.

(٢) نقلاً عن: خوري، المصدر السابق، ص١٥٨ -١٥٩ .

(٣) شكري، الحملة الفرنسية...، ص٢٣٣ .

(4) Robeinson .J .H . and Others, A General History of Europe , part II , Recent European History ,(Boston , 1926) , P. 454 .

وللأطلاع على البنود التمهيدية التي تضمنها نص الهدنة يراجع :

Preliminary Articles of Peace between Austria and France, 28 July 1800. Quoted in: The Consolidated Treaty Series , Vol 55 , PP. 261 -263 .

(٥) العابد، هل استهدفت الحملة الفرنسية غزو الهند ...، ص١٢٩ .

والأهم من تغير الموقف النمساوي هو التغيير الذي طرأ على الموقف الروسي، وكما شهد به نابليون نفسه فيما بعد الى تاليران في رسالة كتبها للأخير في العشرين من كانون الثاني ١٨٠١قائلاً له فيها ((إن السلام مع النمسا لا توازي أهميته شيئاً في جانب التحالف مع روسيا))[١]، فقد تخلى الروس عن التزاماتهم تجاه حلفائهم البريطانيين والعثمانيين بالتفاهم مع الفرنسيين[٢] وقد أسفر ذلك التفاهم عن توقيع ما عرف بعصبة الحياد المسلح في الثاني من كانون الأول ١٨٠٠[٣] ولا يقل عن تأثير ذلك ما أسفر عنه الخلاف العثماني – الروسي حول الجزر الأيونية من أحداث فجوة في العلاقات العثمانية الروسية[٤] ثم إذا كان انتزاع البريطانيين لمالطة

---

(١)نقلاً عن: شكري، الحملة الفرنسية ...، ص٣٧٨ .

(٢) ان جذور التفاهم الفرنسي – الروسي تعود الى اللحظة التي كان فيها القائد الروسي سوفوروف يقاتل على ألأراضي السويسرية، اذ ترك النمساويون جيشاً روسياً محاصراً من قبل الفرنسيين على تلك الأراضي، مما حتم على القائد الروسي سوفوروف أن يندفع لأنقاذ ذلك الجيش، لكنه بعد وصوله وجد بأن الجيش قد تحطم، مما جعله يعتقد بأن النمساويين قد خانوه، فأدت هذه العملية الى التراخي في العلاقات النمساوية – الروسية، وفي محاولة من نابليون لأستغلال هذا التراخي وأحداث تقارب مع الروس فقد اقدم على اطلاق سراح الأسرى الروس الذين اسرهم في المعارك السابقة.

Duffy , Op., Cit., , P. 229 – 231 .

(٣) شكل القيصر بول الأول بالأشتراك مع الدنمارك والسويد وبروسيا عصبة الحياد المسلح، لحماية حقوق المحايدين والأضرار ببريطانيا بشكل خاص، فكانت هذه العصبة نقطة الضعف في درع بريطانيا. فشر، تاريخ أوربا الحديث ...، ص٦٣.

(٤) سبقت الأشارة الى أن الأسطولين الروسي والعثماني عبرا المضائق سوية لشن هجوم مشترك على الجزر الأيونية التي أحتلها الفرنسيون، وقد أسفر الهجوم عن طرد الفرنسين منها، لكن سرعان ما دب الخلاف بين الروس الذين حاولوا مد نفوذهم من هذه الجزر الى بحر الأدرياتيك وبين العثمانيين الذين أخذوا يعارضون هذه النوايا، وقد أنتهى الطرفين الى توقيع أتفاقية في الحادي والعشرين من آذار ١٨٠٠، أصبحت هذه الجزر بموجبها جمهورية تحت سيادة الباب العالي وتحت الحماية الروسية وأصبحت تسمى جمهورية الجزر السبع.

Shaw, Op. , Cit., Vol. I , P. 269 ; Crawly, Op. , Cit., , P. 545; Miller, Op. Cit., P. 40;

التكريتي، المسألة الشرقية...، ص٥٣.

وللاطلاع على نص الأتفاقية يراجع:

Convention between Russia and Turkey , 21 , March 1800. Quoted in: The consolidated treaty series , Vol. , 55, PP. 169 -187.

لكن هذه الأتفاقية لم تحسم الخلاف العثماني الروسي، فقد أخذ الروس يحاولون تفعيل أتفاقية الثالث والعشرين من كانون الأول ١٧٩٨، والتي تسمح لهم بالمرور عبر المضائق الى هذه الجزر التي وضعتها معاهدة عام ١٨٠٠ تحت حمايتها، وهذا ما كانت الدولة العثمانية ترفضه على الدوام، وإذا سبق

من الفرنسيين في الخامس من أيلول ١٨٠٠[١]جاء معززاً في أحد جوانبة لموقف الحكومة البريطانية في مفاوضاتها مع المندوب الفرنسي أوتو، إذ منحها القدرة على رفض مطالب بعثته[٢]، ففي الجانب الآخر كانت بمثابة الضربة القاضية للعلاقات البريطانية - الروسية[٣] إذ أصدر القيصر الروسي بول الأول(pull I) في أيلول ١٨٠٠ أمراً حضر بموجبة دخول السفن والبضائع البريطانية إلى المياه والموانئ الروسية الأمر الذي أقلق الحكومة البريطانية[٤]، لاسيما وقد بدأ الحديث عن ما عرف بـ (المشروع الشرقي العظيم) الذي طرحه نابليون بهدف تهديد الوجود البريطاني في الهند بمساعدة روسيا[٥].

أدرك البريطانيون أن انعكاسات تغير موقفي النمسا وروسيا سوف لن تنحصر فقط على الساحة الأوربية، وإنما سترمي بضلالها وبشكل مباشر على الصراع الفرنسي – العثماني في مصر، وبمعنى آخر أنها ستدفع نابليون الى التمسك بمصر، في وقت أثبت فيه العثمانيون عجزهم عن القيام لوحدهم بأي عمل عسكري ذي بالٍ يخرج الفرنسيين من مصر[٦] لذا قرر مجلس الوزراء البريطاني بعد مناقشة لمذكرة

وأن سمحت به فبسبب صراعها ضد فرنسا أما وقد تقارب الروس والفرنسيين فقد ضلت هذه الجزر بؤرة توتر حساسة في العلاقات العثمانية الروسية.

Anderson , The Eastern Question, PP. 30-31.

(١) من ضمن ماتضمنته أتفاقية تسليم مالطة تعهد البريطانيين بالأنسحاب منها وتسليمها لأصحابها الشرعيين فرسان القديس يوحنا الخاضعين لحماية القيصر الروسي. للأطلاع على نصوص الأتفاقية يراجع:

Articles of Capitulation between France and Great Britain, 5 September, 1800, cited in: the Consolidated Treaty Series, Vol. 55, PP. 309 -314.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول بعثة أوتو يراجع: شكري، الحملة الفرنسية...، ص٣٨٢-٣٨٦.

(٣) تخلى البريطانيون عن التزاماتهم ورفضوا الانسحاب من مالطة. التكريتي، المسألة الشرقية...، ص٥٤؛ خوري ، المصدر السابق، ص١٧٤.

(٤) صالح، خليل إبراهيم، العلاقات البريطانية الإيرانية ١٨٥٧-١٩٠٧، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص١٨.

(٥) في الوقت الذي كان فيه الجيش الفرنسي محاصرا في مصر فقد بدأ نابليون يفكر بحملة جديدة تكون وجهتها الهند عن طريق إيران وبمشاركة روسية، ولتحقيق ذلك عقد نابليون أواخر عام ١٨٠٠ معاهدة مع القيصر الروسي بول الأول نصت بنودها على أشتراك قوات بلديهما في الحملة المقررة.

Marriott, Op , Cit., P. 171;

أحمد، كمال مظهر، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، (بغداد، ١٩٨٥)، ص٢٩-٣٠.

(٦) شكري، الحملة الفرنسية...، ص٣٩٣، ٣٩٩، ٤٠٠.

قدمها وزير الحرب هنري دونداس في التاسع عشر من أيلول ١٨٠٠ بخصوص الموقف في مصر، القيام بعمليات مشتركة مع الجيش العثماني لطرد الفرنسيين من هناك[١].

عهدت الحكومة البريطانية الى الجنرال رالف أبركرومبي R. Abercrombie قيادة الحملة المتوجهه الى مصر عن طريق البحر المتوسط، وقد تلقى الجنرال رالف أبركرومبي تعليماته من وزير الحربية هنري دونداس في مطلع تشرين الثاني ١٨٠٠ بالتوجه على رأس (١٥.٠٠٠) مقاتل إلى أحد الموانئ المناسبة في قبرص أو كريت أو آسيا الصغرى، للتنسيق مع قيادة الجيش العثماني والهجوم على الأسكندرية، وقد قدر دونداس عدد القوات الفرنسية في مصر بنحو (١٣.٠٠٠) مقاتل، منهم (٣٠٠٠) في الإسكندرية بينما ظلت بقية قواتهم موزعة علىالسواحل المصرية وعلى الحدود مع بلاد الشام[٢].

أما في الهند فقد أعتقد اللورد ولزلي أن الإنتصارات التي حققها الجيش الفرنسي في أوربا، سوف تدفع نابليون الى تعزيز قوته في الشرق، أما بتوجيه ضربة قوية ضد الوجود البريطاني في الهند، أو بالاستيلاء على منافذ البحر الأحمر[٣] ولمواجهة الأحتمال الأول فقد أمر بأتخاذ التدابير الأحترازية التي من شأنها عرقلة المشروع الفرنسي – الروسي الذي كان يقضي بتوجيه الضربة الى الهند عبر بلاد فارس[٤] أما أمام الأحتمال الثاني فقد أخذ يتشاور مع قادة الجيش البريطاني في الهند،

(١) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص٨٤.

(2) Ghorbal , op , cit , p135.

شكري، الحملة الفرنسية...، ص٤٠١.

(٣) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر...، ص٩٨٣ ؛ شكري،الحملة الفرنسية ...، ص٣٩٨.

(٤) في الوقت الذي بدأ فيه الحديث بين نابليون والقيصر الروسي لأرسال حملة الى الهند، فقد زاد من خطورة هذا المشروع أيضاً عودة العلاقات الودية بين فرنسا وبلاد فارس وكذلك بين فرنسا وعمان، وعليه فقد وجد اللورد ولزلي، بان الواجب يقضي القيام برد فعل يتناسب وخطورة هذا المشروع، ولتحقيق ذلك فقد أختار الكابتن جون مالكولم C. J. Malcolm مساعد المقيم السياسي البريطاني في حيدر اباد للأتصال بامام مسقط وشاه فارس للحيلولة دون نجاح أي أتصالات فرنسية – عمانية أو فرنسية – فارسية ومن خلال لقاء جمع بين مالكولم والأمام سلطان بن أحمد في السابع عشر من كانون الثاني ١٨٠٠ استطاع مالكولم أن يحصد موافقة الأمام حول الاهداف التي أوفد من أجلها وتنحصر بأبتعاد الامام عن الفرنسيين والسماح لممثل بريطاني بالأقامة في مسقط، وقد تعززت تلك الترتيبات باتفاقية تم توقيعها في الثامن عشر من كانون الثاني ١٨٠٠. للتفاصيل حول بعثه مالكولم الى مسقط

حول أمكانية أرسال حملة لتعزيز الموقف البريطاني في البحر الأحمر(١) ويبدوا أن ولزلي، كان قد تأثر بما ورد في التقارير التي كتبها الضباط البريطانيون العاملون مع الجيش العثماني حول ضرورة قيام حكومة الهند، بإرسال حملة عسكرية الى البحر الأحمر بالتزامن مع شروع القوات البريطانية والعثمانية بمهاجمة الفرنسيين من جهة الشمال(٢).

كان في مقدمة أولئك الضباط الجنرال موريير Morier سكرتير السفارة البريطانية في اسطنبول، الذي سبق وأن أرسله السفير الى معسكر الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا في يافا ليطلع عن كثب على أمكانيات وأستعدادات الجيش العثماني، فأمضى موريير ستة أشهر في مهمته من شباط –تموز ١٨٠٠، فتوصل الىقناعة مفادها أن من أجسم الأخطار الأعتماد على الجيش العثماني لوحده في مسألة حسم الصراع مع الفرنسيين، حتى أنه شبه ذلك المعسكربـ ((السوق الكبير المكتضه بالباعة الذين يشاركهم الجنود أنفسهم هذه المهنة، فيقصدُ تجار الخيل وغيرهم هذه السوق، وتعقد بها الصفقات في مزادات علنية، كما تكثر المنتديات والمقاهي حتى أنعدم كل نظام في هذا المعسكر))(٣)، فيما أشار الجنرال كوهلر الى ضرورة أرسال

يراجع: أبو ياسين، المصدر السابق، ص٣٤-٣٦ ؛ العابد موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي ...، ص١٢١-١٢٤. وللأطلاع على نص الأتفاقية يراجع:

Agreement between East India co. (Great Britain) and Oman 18 January 1800, Quoted in : The Consolidated Treaty Series , Vol. 55 , PP. 117-119 ;

أتجيسون، المصدر السابق، ص٣٤٧-٣٤٨.

وبعد نجاح مالكولم في مسقط فقد توجه الى طهران، ومن خلال لقائين في السادس عشر والثامن والعشرون من تشرين الثاني ١٨٠٠، لمس مالكولم تجاوباً كبيراً من قبل الشاه الأمر الذي مكنه فيما بعد أي في الثامن والعشرين من كانون الثاني ١٨٠١ من أن يحصدأعترافاً رسمياً من الشاه بوقوفه الى جانب بريطانيا بموجب المعاهده السياسية التي وقعت بين الطرفين . لتفاصيل أوسع عن الموضوع يراجع:

البديري، سياسة بريطانيا تجاه إيران، ص١٥-١٦؛

Sykes , Op . Cit , vol. 11 , pp. 299-300.

وللأطلاع على نص الأتفاقية يراجع:

Political Treaty between East India CO. (Great Britain) and Persia , Cited in: The Consolidated Treaty Series , vol , 55 , pp455-459.

(1) Ghorbal , Op . Cit , p134.

(2) Ibid., P. 132.

(٣) شكري، الحملة الفرنسية...، ص ١٧٤، ٣٩٦-٣٩٧.

حملة من الهند الى البحر الأحمر، لتعزيز النشاط العسكري البريطاني في جنوب مصر، ولدعم عمليات الجيش العثماني والبريطاني على الحدود الشمالية[١] ولقد بلغ تقرير الجنرال كوهلر من الأهمية بحيث عدّه المؤرخ الفرنسي شارل رو الأساس الذي بنى عليه العسكريون ورجال السياسة في لندن وكلكتا ويافا خططهم فيما بعد، كما أنه بمثابة حجر الزاوية الذي قامت عليه حملة عام ١٨٠١ التي انتهت بطرد الفرنسيين من مصر[٢].

لم يقتصر الأمر على رغبة أولئك الضباط، بل أعرب عدد من المسؤولين البريطانيين سواء اكان في لندن مثل هنري دونداس أم في أسطنبول مثل اللورد الجين أو السير سدني سمث، عن تشجيعهم لفكرة إشراك النجدات البريطانية الهندية في الحرب الدائرة في مصر[٣] إذ كتب هنري دونداس الى ولزلي في السادس من تشرين الأول١٨٠٠ ينبئه رغبة حكومته بإرسال قوة مؤلفة من ثلاثة الآف مقاتل، بينهم الفين من الهنود الى جهة البحر الأحمر[٤].

لقد شرع الأخير باعداد الحملة منتظراً صدور الأوامر من لندن لتحركها، وبعد انتظار دام قرابة الشهرين نفذ خلالهما صبر ولزلي بسبب عدم وصول الأوامر، لذا قرر في أواخر كانون الأول ١٨٠٠ أن يأخذ على عاتقه مسؤولية الإيعاز الى بلانكت بالقيام ببعض الأعمال ضد الفرنسيين في البحر الأحمر، ومنها الأستيلاء على مينائي القصير والسويس لقطع الطرق بوجه أية امدادات فرنسية، وامداد البكوات المماليك الذين لم يدخلوا في اتفاقية مع الفرنسيين، بالأسلحة والذخائر بهدف أشاعة الفوضى والارتباك في صفوف الجيش الفرنسي، والانتظار حتى صدور الأوامر من لندن[٥].

لم تكتف الحكومة البريطانية بتجهيز هاتين الحملتين، بل قررت إرسال حملة ثالثة أسندت قيادتها الى الكومودور هوم بوبهام Commodor Home Popham،

---

(١) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر ...، ص٨٤.

(٢) شكري الحملة الفرنسية ...، ص٣٩٧.

(3) Ghorbal , Op . Cit , P. 134.

(٤) المشايخي، السياسية البريطانية في البحر الأحمر ....، ص٨٥ ؛

Ghorbal , Op . Cit., P. 135.

(٥) شكري، الحملة الفرنسية ...، ص٣٩٨، ٤٠٢.

الذي أوكلت اليه مهمة نقل القوات البريطانية الموجودة في مستعمرة الكاب، ثم الالتحاق بوحدات أسطول الأميرال بلانكت[1].

وفي السادس من شباط ١٨٠١ وصلت الرسائل الرسمية من لندن الى كلكتا معلنة عن تحرك أسطول السير رالف أبركرومبي باتجاه المتوسط، ومطالبة الحاكم العام في الهند إرسال حملتة الى البحر الأحمر، وعلى أثر ذلك تقدمت القوة الهندية بقيادة الجنرال ديفيد بيرد D. Baird غير أن هذه القوة تأخر وصولها الى مصر الى ما بعد أستسلام القاهرة بأربعين يوماً، فوقع عبء القتال على كاهل الجنرال رالف أبركرومبي[2].

نزلت حملة السير رالف أبركرومبي المؤلفة من ١٧.٥٠٠ مقاتل والمحمولة على اسطول اللورد كيث الى منطقة مارموريس Marmoris شمال جزيرة رودس في التاسع والعشرين من كانون الأول ١٨٠٠، وكان الجنرال أبركرومبي يبغى من وراء النزول في هذه المنطقة وعدم التوجه مباشرة الى الأسكندرية تحقيق عدد من الغايات، منها إعلام القيادة العثمانية بوصوله، ثم إعطاء الوقت لوصول حملة البحر الأحمر للتنسيق معها، وأخيراً محاولة الإتفاق مع الصدر الأعظم بصدد الخطة التي يجب إتخاذها للعمل المشترك، وعليه فقد أرسل الجنرال أبركرومبي فور نزوله الجنرال جون مور J. Moor للإتفاق مع الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا بصدد كل ذلك، وللوقوف من خلاله على تفاصيل الجيش العثماني[3].

كان التقرير الذي قدمه السير جون مور بعد عودته في الثاني والعشرين من كانون الثاني١٨٠١، يحمل أنباءً غير مطمئنة عن حالة الجيش العثماني، فعدده لا يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل، بالأضافة الى أن الفوضى بين جنوده والجهل بين قواده والنقص في سلاحه وذخيرته كانت أبرز سماته،فضلاً عن اعتماد القادة الأتراك على

---

(١) كانت المهمة الموكلة الى هوم بوبهام مهمة مزدوجة فعلاوة على تكليفه بنقل القوات الى البحر الأحمر، فقد توجب عليه أيضاً أحياء التجارة البريطانية في ذلك البحر، لاسيما تجارة البن اليمني، والتي تأثرت تأثراً كبيراً بسبب منافسة السفن الأمريكية، التي وصلت طلائعها ممثلة بالسفينة ريكوفري Recovry الى ميناء مخا في عام ١٧٩٨، فأشترت السفن الأمريكية طيلة السنوات ١٧٩٨-١٨٠١ كميات كبيرة من البن اليمني، ولعل من المناسب القول أيضاً بأن هوم بوبهام قد تأخر وصوله الى البحر الأحمر حتى أيار ١٨٠١ ؛ طه، المصدر السابق، ص٤٠-٤١ ؛ المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر ...، ص٨٧.

(2) Gavin , Op, Cit., P. 22 ; Ghorbal , Op , Cit., P. 136.

(٣) يحيى، مصر الحديثة ...، ص٤٩٩.

الخطط الدفاعية دون العمل على تحديثها بخطط هجومية تتلاءم مع جميع الإحتمالات[١] فأدرك الجنرال ابركرومبي ضرورة ان يسقط من حسابه جيش الصدر الأعظم والاعتماد على قوته لحسم الأمور، لاسيما بعد أن وصلته أخباراً عن تمكن الفرقاطتين الفرنسيتين ايجبسين Aegebsen ولاجوستيس Lagostess من الوصول الى الإسكندرية،وعرف ايضاً بأن اسطولاً فرنسياً قد دخل البحر المتوسط حاملاً جنداً وإمدادات لجيش الشرق[٢]، وعليه فما ان تدارس الموقف مع المجلس الحربي في السابع عشر من شباط ١٨٠١، حتى أوعز الى اسطوله بالتحرك من مارموريس في الثالث والعشرين منه، واقترب من السواحل المصرية في مطلع آذار، وتمكن بأسطوله ان ينزل الهزيمة بالفرنسيين وأن يقوم بإنزال قواته في أبي قير في الثامن منه، وفي الوقت الذي أرسل فيه قوة حاصرت قلعتها حتى اضطرتها الى التسليم في العشرين من الشهر ذاته[٣]، فقد استأنف الجنرال رالف ابركرومبي زحفه بإتجاه الإسكندرية، وأستطاعت قوته في معركة نيكوبوليس Necopolis في الثالث من آذار تحطيم أحد أهم خطوط دفاعات الجيش الفرنسي بإستيلائها على منطقة معسكر قيصر، التي كانت تتركز فيها خطوط المدفعية الفرنسية[٤].

نتيجة لتخوف القائد الفرنسي العام الجنرال منو، الذي وصل الى الإسكندرية في العشرين من آذار من زحف العثمانيين من جهة الشرق، ووصول حملة الهند من جهة الجنوب، قبل أن يكون هو قد أجهز على قوة الجنرال رالف ابركرومبي، فقد قرر بعد اجتماعه بمجلسه الحربي، أخذ زمام المبادرة ومهاجمة البريطانيين، ففي الحادي والعشرين من آذار ١٨٠١ دارت المعركة الحاسمة قرب كانوب Canop وانتهت بانتصار البريطانيين ومحاصرتهم للإسكندرية[٥].

وبعد أربعة أيام من هذاالأنتصار أي في الخامس والعشرين من آذار، أنزل القبطان حسين باشا قوة عثمانية تقدر بستة الآف انكشاري في أبي قير، سهلت على

(١) كرستوفر، المصدر السابق، ص٣٨٨.

(٢) يحيى، مصر الحديثة ...، ص٤٩٧ – ٤٩٨ .

(3) Vaujany , Op . Cit , p 372 ; Ghorbal , Op . Cit p136 .

(٤) شكري، الحملة الفرنسية...، ص٤٠٩ – ٤١١ ؛

(5)Ghorbal . Op . Cit . p136 -137; Vaujany , Op . Cit , p 373 .

الجنرال هتشنسون Hutchinson[١] أمر الزحف على رشيد والسيطرة عليها في الثاني من نيسان[٢].

بعد دراسة للموقف العسكري، أدرك الجنرال هتشنسون بأن استحكامات الفرنسيين في الإسكندرية ليست بدرجة من الضعف الذي يسهل معه أختراقها، وإنه من الأفضل استغلال عامل الوقت للهجوم على القاهرة، مع تشديد الحصار على الإسكندرية، بقطع كافة الطرق المؤدية إليها، وقد تظافرت أسباب أخرى اقنعت الجنرال بهذا الرأي، منها أن الأميرال كيث كان يعتزم المغادرة الى رودس بعد مدة قليلة لحاجة بعض سفنه الى الترميم والإصلاح، مما كان يعني حرمان الجنرال هتشنسون من الإمدادات والذخائر اذا لم يستعجل بالهجوم على القاهرة، أضف الى هذا إنه كان حريصاً على الإستفادة من الثمار المعنوية للإنتصارت البريطانية السابقة،وأن الوقوف طويلاً أمام تحصينات الإسكندرية من شأنه أن يذهب بأثر تلك الثمار[٣].

بدأت اولى خطوات هتشنسون بالتحرك على القاهرة، بقوة بريطانية – عثمانية مشتركة زحفت على الرحمانية في الرابع عشر من آيار، في خطوة قصد منها قطع الإتصالات بين الإسكندرية والقاهرة، وفي التاسع عشر من آيار، دخل الجنرال هتشنسون الى الرحمانية بعد أن اخلاها الفرنسيون وانسحبوا إلى القاهرة، ثم أستأنف زحفه على الأخيرة عبر الضفة الغربية للنيل[٤].

في غضون ذلك، فقد تمكن الجيش العثماني البالغ نحو(١٥٠٠٠) مقاتل[٥]، بقيادة الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا من عبور الحدود السورية، والإستيلاء على

(١) تولى القيادة على أثر إصابة الجنرال رالف ابركرومبي في معركة كانوب .

(٢) كرستوفر، المصدر السابق، ص٣٩٢؛ يحيى، مصر الحديثة...، ص٥٠٥ .

(٣) شكري، الحملة الفرنسية...، ص٤٤٦ – ٤٤٧؛

Ghorbal , Op . Cit , 137 ;

(4) Ghorbal, Op. Cit., P. 137;

(٥) ازداد عدد جيش الصدر الأعظم بعد أن أرسل الجزار باشا والى عكا نجدات جديدة اليه، كما أن حالة الفوضى زالت منه بعد أن ضم البريطانيون اليه نخبة من ضباطهم، فكان مع الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا الكولونيل هالوي Hallowy، ومع فرسان طاهر باشا الكابتن ليك Leake ومع مشاة محمد باشا الكابتن لاسي Lacey وعلى ذلك بدأ الصدر الأعظم زحفه في الثاني عشر من آذار، لكن رداءة الطقس حالت دون تقدمه بالسرعة المطلوبة فبلغ العثمانيون العريش في أواخر شهر آذار، وفي التاسع

دمياط في الثامن والعشرين من نيسان، والصالحية في الرابع عشر من آيار ١٨٠١، ثم طور هجومه بالزحف على القاهرة عبر الضفة الشرقية للنيل[١].

وفي السادس عشر من آيار ١٨٠١ دارت رحى المعركة الفاصلة والتي عرفت بمعركة الزوامل، وتكبد فيها الفرنسيون خسائر كبيرة، اضطر معها القائد الفرنسي الجنرال بليار Belliar الى الاستسلام[٢]، وأعلن عن نيته تسليم القاهرة لاسيما بعد أن تعزز الموقف العسكري لخصومه بانضمام جيش المماليك الى القوات المشتركة[٣].

بدأت مفاوضات تسليم القاهرة في الثاني والعشرين من حزيران ١٨٠١، مثل فيها الجانب البريطاني والعثماني الجنرال هتشنسون والصدر الأعظم يوسف ضياء، بينما مّثل الجانب الفرنسي الجنرال بليار، وفي السابع والعشرين من حزيران تم التوقيع على شروط تسليم القاهرة، التي لا تختلف في جوهرها عما تضمنته معاهدة العريش، وأهم ما تضمنه الاتفاق الجديد هو الجلاء في مدة لا تتجاوز خمسين يوماً، إبتداءً من تاريخ تصديق المعاهدة، وأن يكون جلاء الفرنسيين بكامل اسلحتهم وذخائرهم مع تعهد الحكومتين البريطانية والعثمانية بتوفير السفن اللازمة لنقلهم[٤]، غير أن جلاء القوات الفرنسية لم يبدأ عملياً إلا في العاشر من تموز[٥].

وما تجدر الإشارة إليه إن حملة البحر الأحمر بقيادة الجنرال ديفيد بيرد، بعد أن أحكمت سيطرتها في آيار ١٨٠١ على القصير والسويس، أستأنفت زحفها بأتجاه

عشر من نيسان وصل الجيش العثماني الى قطية، ثم أندفع بأتجاه دمياط، للتفاصيل يراجع : الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج٤، ص٥٧٠ – ٥٧١ .

(١) يحيى، المجمل في تاريخ مصر...، ص٣٩٢.

(2) Ghorbal, Op . Cit , 137-138; Vaujany , Op .Cit , p374 .

(٣) يتمثل ذلك بأنضمام عثمان بك الطنبورجي، في الثامن والعشرين من آيار مع ١٥٠٠ من فرسان المماليك.

Vaujany , Op .Cit , p374.

(٤) للتفاصيل حول مفاوضات التسليم يراجع: شكري، الحملة الفرنسية...، ص٤٩٩ – ٥٠٦.

وللأطلاع على نصوص التفاق تسليم القاهرة يراجع:

Convention between France and Great Britain and Turkey for the Evacuation of Egypt , 27 June 1801 , cited in : The Consolidated Treaty Series , Vol 56 , pp 153 – 159 .

الجبرتي، عجايب الآثار...، ج٤، ص٦٣٦ – ٦٤٠ .

(٥) يحيى، مصر الحديثة...، ص٥١١ .

القاهرة، ووصلتها في العاشر من آب أي بعد ستة اسابيع من استسلام هذه المدينة للقوات البريطانية والعثمانية[١].

كان لأستسلام الجنرال بليار وتسليمه القاهرة، إنعكاسات خطيرة على الموقف العسكري للقوات الفرنسية المحاصرة في الاسكندرية بقيادة الجنرال منو ، إذ ساهم ذلك في تفرغ القوات البريطانية والعثمانية من القاهرة، وزجها في تعزيز قوات الجنرال كوت Koot التي تولت حصار الإسكندرية[٢]، و ان قوات البحر الأحمر إذا كان وصولها قد تأخر عن حصار القاهرة، فإنه جاء في الوقت المناسب لتشديد الضغط على الإسكندرية[٣]، وان الإمدادات البريطانية التي توالى وصولها حينذاك أصبحت مركزة لإسناد محور واحد بدل تشتيتها على محاور متعددة، مما عزز الموقف العسكري للقوات المشتركة، ففي الخامس من تموز وصلت الفرقاطة البريطانية ليدا Leda بالقرب من الإسكندرية محملة بالذخائر والجنود، أعقبها دخول الفرقاطة اكتيف Activeفي الثامن من تموز الى المياه المصرية حاملة عدداً إضافياً من المقاتلين، وبعد مضي أسبوع فقط وصل اسطول من السفن المحملة بالسلاح والذخائر والجنود من جزيرة مينورقة Minorca، وبحلول منتصف تموز كان عدد القوات البريطانية التي حاصرت الأسكندرية نحو(١٦٠٠٠)إلف مقاتل[٤]

وعلى الرغم من كل هذه الإستعدادات البريطانية، إلا ان الجنرال منو ظل رافضاً لمبدأ التسليم لأعتقاده المفرط بأن نابليون سوف يعمل جاهداً من أجل إرسال الإمدادات والذخائر إليه، ولما لم يتحقق شيء من ذلك[٥] وبعد ان ضعفت قدرة

---

(١) كيلي، المصدر السابق، ص١١٤؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص١٣٥– ١٣٦.

(٢) شكري، الحملة الفرنسية ...، ص٥١١ .

(٣) المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر ...، ص٨٥ .

(٤) شكري، الحملة الفرنسية ...، ص٥٢٧ .

(٥) يعود سبب فشل نابليون في إرسال المساعدات الى أمرين رئيسين احدهما مرتبط بالآخر، أولهما ان الأمل الذي كان نابليون يعقده على عصبة الحياد المسلح بأنها سوف تؤدي الى اشغال قسم من الأسطول البريطاني في بحر البلطيق لمحاربة سفن العصبة، مما يوهن نتيجة ذلك القوة البحرية البريطانية في المتوسط ويضعف أمر مراقبتها للسفن الفرنسية، لم يتحقق شيء منه بعد أن سارعت بريطانيا بضربتها الخاطفة للعاصمة الدنماركية وتحطيمها للأسطول الدنماركي في الثاني من نيسان ١٨٠١.

Bryant .Arthur, The years of Endurance 1793 – 1802,(London, 1944), PP. 322-323.

فأنتهى بذلك أي أمل علقه نابليون على العصبة، لاسيما وأنه قبل ذلك بخمسة اسابيع كانت يد البريطانيين قد أمتدت وأغتالت القيصر بول الأول ليلة ١١ / ١٢ آذار ١٨٠١، أحمد، كمال مظهر دراسات في تاريخ

الفرنسيين على المطاولة، اضطر الجنرال منو الى الإستسلام في الثلاثين من آب ١٨٠١، وبشروط لا ترقى الى مثيلتها التي وقعها الجنرال بليار، وتتمثل تلك الشروط بجلاء قوات الجنرال منو في مدة اقصاها عشرة أيام من تاريخ التصديق على الاتفاق الذي حدد بالثاني من ايلول،فضلاً عن تسليم جميع السفن الفرنسية الموجودة في ميناء الإسكندرية، على ان يتم نقل الجيش الفرنسي على سفن بريطانية وعثمانية بكامل اسلحتهم وأمتعتهم، وعشرة مدافع فقط . وتسليم مازاد عن هذا العدد للبريطانيين والعثمانيين[١] وعلى أثر ذلك شرع الجيش الفرنسي بالجلاء إبتداءً من الرابع عشر من أيلول ١٨٠١[٢].

عدَّ المؤرخ الفرنسي شارل رو الجهود العسكرية البريطانية التي بذلت لأجل هذا التسليم بأنها ((آخر جهد حربي أستطاع الأنكليز أن يبذلوه لأخراج الفرنسيين من هذه البلاد، قبل أن يعقد الصلح بين فرنسا وإنكلترا))[٣].

وفي الأول من تشرين الأول ١٨٠١ وقعت في لندن مقدمات الصلح بين بريطانيا وفرنسا على أساس إرجاع مصر إلى الباب العالي، وضمان أملاك الدولة العثمانية وسلامة أراضيها، كما كانت قبل الغزو الفرنسي[٤] وفي التاسع من تشرين

ايران ...، ص٣٠ . أما الأمر الثاني فهو نتيجة للأمر الأول، فأن تحطم العصبة في وقت مبكر ادى الى ابقاء الأساطيل البريطانية تفرض هيمنتها على المتوسط، ولهذا فقد فشل الأميرال الفرنسي غانتوم Gantom بإيصال الأمدادات الى الأسكندرية في ثلاث محاولات كانت آخرها في حزيران ١٨٠١ التي وصل فيها على مقربة من السواحل الليبية، لكنه أضطر للأنسحاب بعد أكتشاف الأسطول البريطاني له، عن تلك المحاولات يراجع : الجبرتي، عجايب الآثار ...، ج٤، ص٥٦٣ ؛ كرستوفر، المصدر السابق ...، ص٣٨٨ – ٣٨٩ .

(١) للأطلاع على نصوص اتفاق تسليم الأسكندرية يراجع :

Capitulation between France and Great Britain and Turkey, 30, August 1801, Quoted in : The Consolidated Treaty Series , Vol 56, PP. 197 – 204 .

(٢) للتفاصيل حول الجلاء الفرنسي يراجع :

Ghorbal , Op . Cit . P. 140 – 154 .

(٣) نقلاً عن : المشايخي، السياسة البريطانية في البحر الأحمر ...، ص٨٦ .

(٤) للأطلاع على نصوص المقدمات يراجع :

Preliminary Articles of peace between France and Great Britain 1 October 1801 , cited in : The Consolidated Treat Series , Vol 56 , pp 211- 216 .

الأول ١٨٠١ وقع كل من وزير الخارجية الفرنسي تاليران، والسفير العثماني في باريس علي افندي على معاهدة اعادت العلاقات بين البلدين الى سابق عهدها[١].

بعد انتهاء العمليات الحربية، وجلاء الفرنسيين عن مصر، كان يتوجب على البريطانيين أيضاً سحب قواتهم من هناك لأنتفاء مبررات وجودها، بيد أنهم أخذوا يماطلون في ذلك بذريعة أن اللورد الجين سفير بريطانيا في اسطنبول، كان قد أضاف شرطاً ملحقاً بمعاهدة التحالف البريطانية – العثمانية لعام ١٧٩٩، نص على أن ((الجيش البريطاني لا يجلو عن مصر إلا بعد استتباب الأمن في ربوعها))[٢].

وذكرت بعض الدراسات إن هذا الموقف البريطاني قد ارتبط بتبني البريطانيين لخطة استراتيجية دفاعية تحول دون تكرار الحملة الفرنسية، فبريطانيا قد لا يعنيها مباشرة السيطرة على مصر، ولكنها لا تستطيع في الوقت ذاته أن تنظر بعين الإرتياح تجاه أية محاولة تقوم بها دولة اخرى لتهديد هذه المنطقة، أو إستخدامها للإضرار بمصالحها في الشرق[٣].

ولما كانت سياسة بريطانيا قائمة على اساس هذا الأستنتاج، فإنها-عاجلاً أم آجلاً - سوف تتقاطع مع سياسة الباب العالي الرامية الى استعادة مصر تحت السيادة العثمانية المباشرة، الأمر الذي يثير عدة تساؤلات لعل من أبرزها الى أي مدى سوف يؤثر الوجود البريطاني في مصر على العلاقات البريطانية – العثمانية ؟ وهل سوف يبقى الفرنسيون صامتين دون ان يتركوا بصماتهم الدبلوماسية على موقف الحكومة العثمانية من بريطانيا ؟ وبما أن هذه التساؤلات وغيرها تحتاج الى تحليل دقيق لتطورات المواقف، فقد تركناها للفصل القادم .

---

(١) للأطلاع على نص المعاهدة الفرنسية – العثمانية يراجع :

Preliminary Articles of peace between France and Turkey 9 October 1801, cited in : The Consolidated Treaty Series, Vol 56, PP. 227 - 230 .

خوري ، المصدر السابق، المستند رقم (٥)، ص ٢٦٦ – ٢٦٧

(٢) الجبوري، أحمد عبد الله، الفكر السياسي في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى ١٨٥٠ – ١٩١٤، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ٢٠٠١، ص١٤.

(٣) العبيدي، سؤدد كاظم، السياسة البريطانية تجاه منطقة القرن الأفريقي، ١٨٣٩ – ١٩١٤، أطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص٣١؛ صفوت، محمد مصطفى، إنكلترا وقناة السويس ١٨٥٤ – ١٩٥١،(مطابع رمسيس، الأسكندرية، ١٩٥٢)، ص٨؛

http://www.cairocitdel.gav.eg/ Egypt_in_frecch_A.html .

الفصل الثالث

التنافس الدولي حول الدولة العثمانية واثره في السياسة البريطانية تجاهها

١٨٠١-١٨٠٧

أولا:استمرار الحذر البريطاني من النفوذ الفرنسي وعقد صلح اميان ١٨٠١-١٨٠٣

سبقت الإشارة إلى إن الحكومة البريطانية أخذت تماطل في سحب قواتها من مصر، بعد انتفاء اسباب وجودها بجلاء القوات الفرنسية، بل جعلت أمر ذلك الانسحاب رهناً باستتباب الأمن في تلك المنطقة، والواقع ان مجريات الصراع آنذاك قد افرزت عدد من المبررات التي حتمت على الحكومة البريطانية الإبقاء على تواجدها العسكري في مصر.

كان في مقدمة تلك المبررات ما لمِسه القادة العسكريون البريطانيون من ضعف للمؤسسة العسكرية العثمانية عن مواجهة أي خطر فرنسي جديد يستهدف المنطقة، وشواهد ذلك كثيرة في رسائل بعض الضباط البريطانيين ومكاتباتهم، فقد أبلغ اللورد الجين،السفير البريطاني في اسطنبول، حكومته في التاسع من شباط ١٨٠١ أنَّ قائدي القوات البرية والبحرية البريطانية في مصر، اعربا عن خيبة املهما في الحلفاء العثمانيين، وإن الغاية من مذكرته هذه تنبيه الساسة إلى ضرورة البحث عن ترتيبات جديده ليس فقط في ما يخص المسألة المصرية ((بل للإمبراطورية العثمانية ذاتها، التي توافرت الأدلة على انحلالها))[١] كما كتب الجنرال هتشنسون بعد تسلمه قيادة القوات البريطانية في مصر، الى وزير حربيته هنري دونداس في الثالث من نيسان ١٨٠١ ((إنّ الحلفاء الأتراك ضعفاء ولا عبقرية لهم تعينهم على وضع الخطط وتنظيمها ولا نشاط ولا قدرة لهم على تنفيذها... وليس من المنتظر لذلك ان تستمر مصر في قبضة الدولة طويلاً ، بل سوف تسقط مرة اخرى في يد دولة اوربية)) [٢]، ورأى هتشنسون أيضاً ضرورة بقاء القوات البريطانية في الإسكندرية وبعض المواقع المهمة، حتى بعد استعادة العثمانيين لسيادتهم على مصر ((وإلاّ فإن

(١) نقلاً عن: شكري، محمد فؤاد، مصر في مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ – ١٨١١، ج١، (مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٥٨)، ص٧٩.

(٢) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر ،ج١، ص٨٠.

الأتـراك وحـدهم سـوف يعجـزون عـن الإحتفـاظ بمصـر وسـوف تخـرج هـذه مـن أيـديهم))[١]. وانتابـت هتشنسـون مخـاوف حقيقيـة جـراء استقرائه للضـعف العـام الـذي اتسـمت بـه المؤسسـة العسـكرية العثمانيـة، فكتـب الـى السـفير الجـين فـي الخـامس والعشرين من نيسان قائلاً ((من المحتمل جداً ان تكون فرنسـا هذه الدولـة التـي سـوف تبذل قصارى جهدها للأستيلاء على مصر ولا آمل من ان يستطيع ألأتراك مقاومة هذا الغزو لما هو معروف عن نظامهم وجيشهم، واخشى ان مصر سوف تصبح مبعـث ارتباكـات ومتاعـب لنـا اكثـر ممـا ندركـه وإذا تمكنـت فرنسـا مـن الأحتفـاظ بسيطرتها التي نالتها في القارة (أوربا)فسوف يصبح عسيراً علينا منع مصر من الوقوع في قبضتها، والأحتمالات عديدة في وقوع هذا الحادث، إذا أخذنا بنظر الأعتبار قبل كل شيء حاجة تركيا في حالة ضعفها الراهنة إلى حام يحميها وليس هناك سوى فرنسا للقيام بهذا الدور لما لها من مصلحة طبيعية وقوية أكثر من غيرها لتصبح هذا الحامي))[٢].

أما المبرر الثاني فتمثل بإحتفاظ البريطانيين بعلاقات جيدة مع بعض حكام المماليك، ورغبة الحكومة البريطانية في تثبيت حكومة منهم، تأخذ على عاتقها ضبط الأوضاع الداخلية، وتقضي على أية حالة فوضى يمكن ان تعرض البلاد إلى غزو فرنسي آخر، و أنها تكون رقيباً على المصالح البريطانية في المنطقة[٣] .وفضلاً عن كل ذلك فقد كان المماليك بحاجة إلى الحماية البريطانية خوفاً من انتقام العثمانيين لاسيما وأن عداء العثمانيين للمماليك لم يكن بأقل من عدائهم للفرنسيين[٤]، وقد كان البريطـانيون فـي الوقـت نفسـه ينظـرون لأنفسـهم علـى أنهـم ملزمـون بتـوفير تلـك الحماية[٥]، إلا ان ذلك قد أثار غضب الحكومة العثمانية التي كانت تهدف الى اعادة

---

(١) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٨١.

(٢) نقلاً عن: المصدر نفسه.

(٣) الرافعي، عبد الرحمن، تأريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج٢، مكتبة النهضة المصرية،(القاهرة، ١٩٥٨)، ص٥٥.

(٤) صفوت، محمد مصطفى، الجلاء الإنكليزي عن مصر وبعثه سير هنري درومندولف، المجلة التاريخية، المجلد الثاني، العدد الأول، (القاهرة، ١٩٤٩)، ص٧٨.

(٥) كان الجنرال هتشنسون يحاول استمالة المماليك اثناء فترة القتال ضد الفرنسيين كي لا ينضموا الى الأخيرين، وذلك بمنحهم وعوداً بأسم ملك بريطانيا بإعادتهم الى سابق عهدهم وإعطائهم حكم مصر إذا ما تحررت من الفرنسيين، وبحمايتهم من انتقام العثمانيين، وبعد ان انظم المماليك الى الجيوش المشتركة

مصر لسيطرتها المباشرة كونها تمثل ((درة عمامة السلطان))(١) ولهذا فقد كتب السلطان سليم الثالث في الثالث والعشرين من تشرين الثاني ١٨٠١ إلى الملك جورج الثالث George III (١٧٦٠ – ١٨٢٠) يرجوه باسم الصداقة والمحالفة التي بينهما أن يأمر قادته وجميع ضباطه في مصر بأن يكفوا عن حمايتهم للمماليك، وعن إصرارهم على إعادة حكمهم في مصر، فأجابه الأخير في السادس عشر من شباط ١٨٠٢ برسالة جاء فيها ((أنه لم يجل في خاطره بتاتاً التدخل في شؤون مصر الداخلية، إلا فيما يتعلق بتنفيذ التعهدات التي يكون قد حصل الأرتباط فيها باسمه، ولكن عزمه هو ان تترك البلاد تحت تصرف السلطان...))(٢)، إذ قصد بتلك التعهدات تلك الوعود التي قطعها قادته العسكريون لحكام المماليك ومنهم محمد بك الألفي، بتأمين الحماية وضمان عودتهم لأدارة شؤون مصر، وقطع الطريق أيضاً امام المحاولات الفرنسية المشابهة لإستمالة بعض قادة المماليك وخاصة عثمان بك البرديسي(٣).

استند البريطانيون على مبرر ثالث قائم على أساس ان خطر الحرب في أوربا لا يزال قائم، وان الضرورات العسكرية تحتم على الحكومة البريطانية أبقاء تواجدها العسكري، إذ أن ذلك يعطي لبريطانيا ميزة الرد السريع فيما لو ألقى الصراع الدائر في أوربا بإنعكاساته على المنطقة مرة اخرى وتعرضت مصر لتهديد جديد(٤).

أما المبرر الرابع فكان متصلا بسعي نابليون لأستئناف العلاقات مع الحكومة العثمانية على وجه السرعة، فبعد التوقيع على معاهدة الصلح الفرنسية – العثمانية في

وخرج الفرنسيين من مصر أخذوا يطالبون البريطانيين بالإيفاء بوعودهم وجدير بالذكر أن البريطانيين بذلوا جهوداً جبارة في محاولة للأيفاء بوعودهم، لكن الباب العالي رفض ذلك الأمر رفضاً قاطعاً وخاصة مسألة اعادة حكم مصر للمماليك. عن الجهود البريطانية يراجع: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج١، ص٧٤-١٣٤.

(١) نقلاً عن: يحيى، مصر الحديثة...، ص٥٣٥.

(٢) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج١، ص١٦، ١١٩.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول سياسة بريطانيا وفرنسا تجاه المماليك يراجع: جوان، ادوار، مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود، ط٢، (القاهرة، ١٩٣١)، ص٢٠٦ – ٢٣٩.

(٤) محمد، نجاح، من معطيات المسألة الشرقية العربية ،التآمر البريطاني – العثماني والوجود المصري في شبه جزيرة العرب ١٨١١ – ١٨٤٠، دراسات تأريخية، بيت الحكمة السنة الحادية والعشرين، العددان ٧١، ٧٢، (بغداد ، ٢٠٠٠) ص١٨٢.

التاسع من تشرين الأول ١٨٠١، اوفد مندوب عنه إلى الباب العالي هو الكولونيل هوراس سبستياني H. Sebastiane، الذي وصل الى اسطنبول في الخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٨٠١[١]حاملاً معه رسالة شخصية من نابليون إلى السلطان عبر فيها الأول للثاني عن ترحيبه الشخصي بعودة العلاقات الفرنسية العثمانية لسابق عهدها ومما جاء فيها ((ها نحن قد عدنا إلى السلم، وإذا كان جلالتك تقر الحكومة الفرنسية على رغبتها، وتشاركها فيها عواطفها وأمانيها، فسيسدل الستار نهائياً وإلى الأبد على ما كان بيننا في الماضي القريب، ليقوم بين فرنسا والأمبراطورية العثمانية صلح دائم متين الأركان، وتجارة فيها الخير والرخاء والازدهار للأمتين...))[٢].

قام سبستياني بإجراء مباحثات مع المسؤولين العثمانيين،موضحاً لهم حراجة الموقف العثماني في مصر ((وهم الذين لا يحتلون فيها سوى القاهرة، أما البريطانيين فلهم (٧٠٠٠)مقاتل في الجيزة والسويس، و(٢٥٠٠)يحتلون الإسكندرية ودمياط))، محذراً في الوقت نفسهمن خطر المماليك واصفاً تعاونهم مع الإنكليز بأنه ((إساءة إلى كرامة الدولة العثمانية))[٣].

كانت بعثة سبستياني بمثابة الصاعقة التي نزلت على البريطانيين،فأخذوا يقيدون تحركاته ويقاومون مساعيه وأتصالاته مع المسؤولين العثمانيين[٤]، واستطاع سبستياني ان يلمس مقدار القلق البريطاني حول زيارته، ومما ورد في تقريره النهائي الى نابليون قوله عن زيارته للباب العالي ((حتى ان اللورد الجين [السفير البريطاني] عند كلامه مع الريس افندي[٥] عن مصر قال: أن اهلها يأسفون أسفاً شديداً على

(١) جوان، المصدر السابق، ص٢٢٩.

(٢) نقلاً عن: خوري، ص١٨٥.

(٣) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج١، ص٢٧ ؛ جوان، المصدر السابق، ص٢٢٩.

(٤) للتفاصيل حول بعثة سبستياني وأتصالاته والأجراءات البريطانية المضادة لها يراجع: خوري، المصدر السابق، ص١٨٥ – ١٨٩.

(٥) لقب يطلق على وزير الخارجية العثمانية.

ذهابهم [أي الفرنسيين]))[١]، وبدون أدنى شك فإن ماورد في هذا التقرير أعطى نابليون حافزاً جديداً للأتصال بالعثمانيين.

وحينما بدأت مفاوضات الصلح في أميان Amien بين اللورد كورنواليس Cornwalis رئيس الوفد البريطاني، وجوزيف بونابرت Josive Ponapert رئيس الوفد الفرنسي في آذار ١٨٠٢، رفض الفرنسيون وجود ممثل عثماني يمثل دولته على طاولة المفاوضات، واصروا على توقيع صلح منفرد معها وفي السابع والعشرين منه وقعت فنسا وبريطانيا صلحاً ثنائياً بمنأى عن الدولة العثمانية[٢] وأعترفت فيه فرنسا بعودة مصر للباب العالي، كما تعهدت بريطانيا بالإنسحاب من مصر ومالطة[٣].

كانت فرنسا تبغي من وراء إهمالها وتذرعها بشتى السبل للحيلولة دون وجود ممثل عثماني إلى أحداث شرخ في العلاقات البريطانية العثمانية، وقد نجحت في ذلك بالفعل، إذ انزعج العثمانيون لقبول البريطانيين توقيع صلح منفرد مع فرنسا، التي استطاعت تحقيق كل ذلك بعد أن قدمت تسهيلات إلى بريطانيا في قضايا أخرى[٤] ولما كان صلح أميان قد نص على تعهد بريطانيا بالانسحاب من مصر فقد لجأ نابليون إلى ممارسة الضغوط على الحكومة البريطانية لتنفيذ مضمون ذلك البند، حتى صار شعاره في تلك المرحلة ((معاهدة أميان ولا شيء غير معاهدة أميان))[٥].

ويرى البعض إن ذلك الصلح لم يضف شيئاً للعلاقات البريطانية – العثمانية سوى انه وسع الفجوة الموجودة اصلاً فيها بسبب التواجد العسكري البريطاني على أراضي عثمانية مع انتفاء أسبابه، الأمر الذي قاد العثمانيون للتوجه الى فرنسا، حيث تم التوقيع بين الطرفين على معاهدة باريس في الخامس والعشرين من حزيران

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول ذلك التقرير يراجع: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج١، ص٢٧ - ٢٨.

(4) Williamson. A, James , A Short History of British Expansion , The Modern Empire and Commonwealth , Second Edition ,(London. 1934) , P. 32 ;
خوري،المصدر السابق، ص١٩٢ – ١٩٣؛ طقوش، المصدر السابق، ص٣١٩.

(3) Citedin: English Historical Document , Vol X1 , pp 895-901.

(٤) خوري، المصدر السابق، ص ١٩٣ ؛ طقوش، المصدر السابق، ص٣٢٠.

(٥) نقلاً عن: جرانت أ. ج. وآخرون، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ – ١٩٥٠، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم وبهاء فهمي،(القاهرة، ١٩٦٧)، ص٢٠٤.

١٨٠٢، على الرغم من الجهود التي بذلتها إنكلترا وروسيا للحيلولة دون حصول مثل هذا التقارب بين الفرنسيين والعثمانيين(١).

وقد نصت معاهدة باريس على توطيد السلم وتوثيق الصداقة بين فرنسا والدولة العثمانية وعلى تبادل الدعم والمساعدات في حالة الحرب، وكذلك تعهد فرنسا بضمان سلامة الأراضي العثمانية ضد أي عمل عدائي يستهدفها، وأن تحصل فرنسا على حق العبور لسفنها التجارية عبر المضائق العثمانية، والملاحة في البحر الأسود دون أية عقبات، وتم بموجب المعاهدة أيضاً تجديد جميع المعاهدات والاتفاقيات السابقة والخاصة بالإمتيازات الفرنسية في الدولة العثمانية(٢).

ولوضع حدٍ لهذا التقارب الفرنسي – العثماني فقد وجد البريطانيون أن من الحكمة سحب بعض قواتهم من مصر إرضاءً وتطميناً للباب العالي، فتم الأيعاز للجنرال بيرد بسحب قواته من مصر في حزيران ١٨٠٢(٣). واثباتاً لحسن النوايا فقد قررت الحكومة البريطانية سحب الجنرال هتشنسون الذي اتهمه العثمانيون بالأستغراق في العلاقة مع المماليك والعمل لصالحهم(٤)، إلا إن ذلك لم يخفف من قلق نابليون بسبب بقاء القسم الأعظم من الجيش البريطاني على الأراضي المصرية وقد فسّر هذه الخطوة بأنها مدخل للوصول إلى تفاهمات بريطانية – عثمانية، وللحيلولة دون حدوث ذلك، أصدر نابليون تعليماته في تشرين الأول ١٨٠٢ إلى سفيره الجديد في اسطنبول الجنرال برون Brun الذي وصلها في كانون الثاني ١٨٠٣، بأن يكرس

---

(1) Antoine , A, Memoirs of Napoleon Bonaparte, Edited by R. w. Phipps , Vol 11,(New York , 1991) , p106 ; Show , op , cit, Vol 1 , P. 270;

طقوش، المصدر السابق، ص٣٢٠.

ويشير د. فريدون آمجن الى سبب آخر لتوجه العثمانيين نحو فرنسا، وهو الضغط الروسي على الدولة العثمانية لتحويل حق العبور المؤقت لسفنهم الحربية والذي اقرته معاهدة التحالف الروسية العثمانية لعام ١٧٩٨، إلى حق دائمي، ولما كان العثمانيين ليسوا على وفاق تام مع البريطانيين، لم يكن لهم بدٌّ من التقارب مع فرنسا لوقف الضغط الروسي، آمجن "الدولة العثمانية من معاهدة قينارجة الصغرى حتى انهيارها" ضمن كتاب (الدولة العثمانية تأريخ وحضارة)، المجلد الأول، ص٨٤.

(٢) للأطلاع على نص المعاهدة يراجع:

Hurewitz, Diplomacy in the near and Middle East, Vol 1, PP. 71-72.

(٣) جوان، المصدر السابق، ص٢٣١.

(٤) الرافعي، المصدر السابق ،ج٢، ص٢٩٣.

اهتمامه لمسألة جلاء القوات البريطانية عن مصر بأسرع وقت[١]. كما اوفد الجنرال سبستياني في مهمة ثانية الى الشرق، زار خلالها مصر والشام وأجزاء أخرى من الدولة العثمانية، وعلى الرغم من اتخاذ بعثة سبستياني صفة تجارية في ظاهرها، لكن هدفها كان سياسياً تحدد ببذل جميع المساعي لجلاء البريطانيين عن مصر[٢]، ففي التعليمات التي صدرت إلى سبستياني في الخامس من أيلول ١٨٠٢ طُلب اليه فيها بمجرد أن يصل الى الإسكندرية إنيدون فوراً تقريرا وافيا عما قد يجده من سفن بريطانية في مينائها، مع العدد الفعلي للقوات البريطانية وأماكن تواجدها وتحصيناتها، وكذلك الحال بالنسبة للقوات العثمانية[٣]وأن يزود حكومته ايضاً بمعلومات دقيقة حول الأهمية الأستراتيجية لبعض المواقع العثمانية[٤].

التقى سبستياني حينما وصل الى مصر في تشرين الأول ١٨٠٢ بالجنرال ستيوارت Stewart الذي اسندت اليه قيادة القوات البريطانية خلفاً للجنرال هتشنسون وأبدى له استغراب الحكومة الفرنسية من عدم قيام الحكومة البريطانية بسحب قواتها من الأراضي المصرية،متساءلاً في الوقت ذاته عن الأسباب التي حالت على البريطانيين دون تنفيذ ماتم الأتفاق عليه في اميان[٥] وعلى الرغم من محاولة ستيوارت التغاضي عن ذلك بأجوبة مبهمة، لكنه أزاء الحاح سبستياني اوضح بأن ليست لديه أية تعلميات بإخلاء الإسكندرية، وربما أمضى فيها فصل الشتاء[٦].

ارتأى ستيوارت أخبار حكومته بما دار بينه وبين سبستياني، فكتب في الثامن عشر من تشرين الأول ١٨٠٢ بـ((أن الفرنسيين يدبرون الخطط التي تمكنهم سواء اكان ذلك بالمفاوضة أم بطريق آخر أكثر صراحة وعلانية من استعادة سلطانهم ونفوذهم في مصر))[٧]، كما حذر في رسالة بعث بها الى والي القاهرة العثماني

---

(١) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج١، ص٣٠.

(2) Antoine , op, cit , p 106 ؛

صفوت، الجلاء الإنكليزي عن مصر....، ص٧٨.

(3) Ghorbal , op , cit , p178

(4) Miller , op , cit , p 31.

(5) Ghorbal. op, cit. p 178 -179

(٦) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج١، ص٣٤ ؛ الرافعي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٩٩ – ٣٠٠.

(٧) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر ....، ج١، ص٤٢.

خسرو باشا من المخططات الفرنسية الرامية الى تعزيز نفوذهم في مصر على حساب المصالح العثمانية، وأرفق ستيوارت مع هذه الرسالة بلاغاً من نابليون وقت قيادته لجيش الشرق يذكر فيه للمصرين بـ ((ان اسطنبول كانت تابعة يوماً ما لبلاد العرب، وانه قد حان الوقت للقضاء على الإمبراطورية العثمانية في الشرق))، ورجا ستيورت خسرو باشا أن يتمعن ملياً بهذا البلاغ، حتى يدرك مدى إخلاص الفرنسيين[١].

أحدثت جولة سبستياني في الدولة العثمانية ردود أفعال عثمانية وأوربية معارضة، لاسيما بعد ان قدم في خاتمة مطافه تقريره الشامل إلى حكومته، وقيام صحيفة Moniteur official الرسمية بنشر ذلك التقرير، في عددها الصادر في الثلاثين من كانون الثاني ١٨٠٣[٢] الأمر الذي أثار تعليقات سفراء الدول الكبرى وممثليها في اسطنبول، وكتب الجنرال برون في العاشر من آذار أن هؤلاء أتخذوا منه دليلاً لأقناع الباب العالي حول سوء نية فرنسا التي كشفها التقرير، أما الحكومة العثمانية فقد نفى وزير خارجيتها علمه حول المهمة الدبلوماسية التي جاء سبستياني من أجلها[٣] على ان نابليون استطاع تبديد مخاوف العثمانيين برسالة شخصية بعث بها الى السلطان سليم الثالث بواسطة مترجمه الخاص جوبير يبرئ فيها نفسه من كل ما اثار غضب الباب العالي ويؤكد حرصه على رضاه وصداقته وإعتزامه على عدم القيام بأي عمل يكون فيه أقل دليل على عدم وفائه لهذه الصداقة[٤].

أعربت روسيا ايضاً عن مخاوفها بشأن ماورد في التقرير، وتوجست من النشاط الفرنسي في الشرق عامة والبلقان خاصة، فأقدمت على تعزيز دفاعاتها في الجزر الأيونية، أما النمسا فقد اثارتها النشاطات الفرنسية في شبه جزيرة الموره والساحل الدلماشي على البحر الأديارتيكي[٥].

---

(1) Ghorbal , op, cit. p179 ;

شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج١، ص٤٤. ولمزيد من التفاصيل حول رحلة سبستياني والمناطق التي زارها يراجع:

Antoine , op. cit , PP. 106- 107 ; Ghorbal , op , cit , PP. 178- 180.

خوري ، المصدر السابق، ص ٢٠١ -٢٠٦.

(2) Marriott , op , cit. p172 ; Miller , op , cit , p32

(٣) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج١ ص٤٨.

(٤) خوري ، المصدر السابق، ص٢٠٦.

(5) Marriott, op, cit , p172 -173

لكن اعنف ردود الفعل صدرت عن بريطانيا، التي عدت ماورد في التقرير موجه بالأساس ضد مصالحها في الدولة العثمانية، وذلك على الرغم من تبرير تاليران للسفير البريطاني في باريس اللورد هويتورث Lord Hwetorth، بأن حماسة الضابط الشاب الذي كتب التقرير – سبستياني – دفعته لتفسير وجود القوات البريطانية في الإسكندرية بمثابة تصميم بريطاني على مواصلة الحرب ضد فرنسا[١] بيد ان هذا التبرير لم يكن ليقنع البريطانيين، فالتقرير تضمن دعوة صريحة للفرنسيين بإعادة احتلالهم لمصر وأنه ((يكفي اليوم لفتح مصر ستة الآف فرنسي فحسب))[٢]، وعلاوة على ما ورد في التقرير فقد لوح نابليون بما يشابههُ الى اللورد هويتورث عندما أشار له بأن مصر ستكون من نصيب فرنسا ((اذا حدث انهيار الأمبراطورية العثمانية ووزعت املاكها بين الدول))[٣].

وانقلب الشك البريطاني يقيناً عندما أخذ تاليران في شباط ١٨٠٣، يطالب السفير البريطاني في باريس اللورد هويتورث ويحتج لديه عن تأخر الحكومة البريطانية في تنفيذ التزاماتها الخاصة بالجلاء عن مصر، حيث قام الأخير بأبلاغ وزارة الخارجية البريطانية في شباط ١٨٠٣ بما حصل في ذلك اللقاء بتقرير جاء فيه ((قال لي تاليران أن لديه اسباباً عديدة للشكوى من تحديات البريطانيين المتواصلة، وقد ركز شكواه الأولى على مالطة والإسكندرية اللتين قطعنا على انفسنا بالجلاء عنهما، وفي سياق حديثنا عاد للشؤون المصرية... وأضاف أن هذه الحامية البريطانية لا تفي بحاجات الدفاع عن تلك البلاد ولايمكن ان تبرر اقامتها فيها بواجب حمايتها فهي اعجز من أن تؤمن هذه الحماية...ووجودها يشكل سبباً لأجتياح مصر في أي وقت... وهو يفضل الصبر والانتظار لأنه مؤمن بأن مصر ستدخل يوماً ضمن ممتلكات فرنسا، أما نتيجة لانهيار الدولة العثمانية وتناثر املاكها وأما بفضل اتفاق مع الباب العالي))[٤].

ولما كانت كل من فرنسا وبريطانيا ليست لديهما الأستعداد للإيفاء بالالتزامات المتبادلة التي تم الأتفاق عليها بموجب صلح أميان، فإن مسألة الحرب بين الطرفين لم

---

(١) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٥٨٨.

(٢) وللإطلاع على النص الكامل للتقرير يراجع:. Ghorbal, op, cit ,pp 301- 308

(٣) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج٢، ص٥٨٨.

(٤) نقلاً عن: خوري ، المصدر السابق، ص٢٠١.

تكن سوى مسألة وقت[١]، وقد ادرك البريطانيون ضرورة تسوية الأمور مع الحكومة العثمانية التي أخذت تمارس ضغوطها على الحكومة البريطانية لسحب قواتها، ولكي لا تفقد بريطانيا حلفاءها العثمانيين في الحرب المحتملة ضد فرنسا، لذلك أتخذت قراراً بسحب قواتها من الأراضي المصرية في آذار ١٨٠٣[٢] في وقت بدأ فيه القادة العسكريون بوضع خطط الحرب التي اندلعت بعد شهرين فقط[٣].

ومما تجدر الإشارة إليه إن تطلعات روسيا تجاه الدولة العثمانية مع بدايات القرن التاسع عشر قد اثارت هي الأخرى قلقاً لدى البريطانيين، إذ ركزت السياسة الخارجية الروسية على دبلوماسية التقارب مع الباب العالي خلافاً لما عهدته فيما مضى من سياسة هجومية ، مع ثبات مقاصدها وغاياتها النهائية وهي التوسع على حساب الدولة العثمانية وبعبارة أخرى إن التغيير كان في الوسائل لا الأهداف[٤] ولم يكن بوسع بريطانيا ان تعمل بصورة مباشرة ضد روسيا بسبب حاجتها إلى الدعم الروسي ضد فرنسا في أوربا،لكن ذلك لم يقف حائلاً أمام بريطانيا في العمل على إحباط الخطط الروسية في الدولة العثمانية بأساليب أخرى منها تشجيع العثمانيين على إدخال الإصلاحات في مختلف أنحاء الدولة العثمانية[٥].

---

(١) بالمر، المصدر السابق، ص٢٤٩.

(٢) التكريتي، نصير خير الله محمد، التغلغل الأجنبي في مصر، ١٨٦٣-١٨٧٩، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية، (جامعة تكريت، ٢٠٠٥)، ص١٨ ؛ شارو ويم بك، المصدر السابق، ص٢٨١.

(3)Crawly , op, cit , p532

(٤) مع بدايات حكم القيصر الروسي الأسكندر الأول (١٨٠١ – ١٨٢٥) انقسم الساسة الروس حيال السياسة الواجب اتباعها تجاه الدولة العثمانية الى قسمين: يعتقد الأول منهما بضرورة المحافظة على الدولة العثمانية طالما انها ضعيفة فبإمكان روسيا استغلال هذا الضعف لترسيخ نفوذها فيها ومن ثم ستتمكن روسيا بهذا الأسلوب كما يرى افراد هذا الفريق من تأمين مصالحها في منطقة المضائق والمتوسط عموماً دون ان تستفز الدول الأوربية الأخرى وتدفعها للقيام بأعمال مضادة. اما الفريق الثاني فقد اعتقد افراده بأن بقاء اسطنبول والأراضي البلقانية تحت سيطرة الدولة العثمانية يضر بالأقتصاد الروسي ويشكلخطراً دائماً على مناطق روسيا الجنوبية، ولهذا فأن هذا الفريق كان يرى ضرورة تقويض السياسة العثمانية في البلقان، وقد كان لرأي الفريق الاول الذين أطلق عليهم القيصر بـ (اللجنة السرية) أو(اصدقائه الشبان) الأرجحية لديه، لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يراجع: التكريتي، هاشم، الصراع الروسي – الفرنسي في البلقان في مطلع القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤٠، السنة الرابعة عشر، (بغداد ١٩٨٩) ص٥٧؛

Pares, Op. Cit., P. 296-297.

(5) Anderson , The Eastern Question , p31

ورغم ادراك السلطان العثماني سليم الثالث لأطماع الروس، لكنه تجنب الصدام العلني معهم لئلا يؤثر ذلك على علاقته مع حلفائه البريطانيين الذين حاولوا الاستفادة من الدعم الحربي الروسي ضد الفرنسيين، معتقداً بأن صداقته مع بريطانيا سوف تثمر في النهاية عن درء الأطماع الفرنسية والروسية معاً، فكان عليه ان يلجأ الى سياسة الموازنة في التعامل مع بريطانيا وفرنسا وروسيا في ضوء المصالح المتضاربة لهذه الدول[١].

ثانياً. انفراط التحالف البريطاني –الفرنسي والتقارب البريطاني –الروسي ١٨٠٣–١٨٠٧.

في الوقت الذي شهد فيه عام ١٨٠٣ انهيار صلح أميان واستئناف القتال بين بريطانيا وفرنسا فإن العام ذاته شهد توتراً في العلاقات الفرنسية الروسية، الأمر الذي شجع على حدوث تقارب روسي بريطاني، وقد ضمّن السفير الروسي في اسطنبول ايتالينسكي Utalinsky تقاريره إلى حكومته في سان بطرسبورغ تحذيرات من اتساع نشاط الوكلاء الفرنسيين في البلقان فضلاً عن وصول كميات كبيرة من الأسلحة الفرنسية الى الموره بهدف دعم اليونانيين في ثورتهم ضد السيطرة العثمانية[٢] فأثارت هذه التحذيرات مخاوف الروس من اجتياح فرنسي للدولة العثمانية مما يشكل عائقاً بوجه الطموحات والتطلعات التأريخية لروسيا في البلقان والمياه الدافئة[٣]، لاسيما وأن فرنسا اهتمت بتعزيز تواجدها العسكري في اترانتو (Atranto)وتورانتو(Toronto) على السواحل الجنوبية لأيطاليا[٤] فبات من المتوقع إن يعمد الفرنسيون إلى إنزال قواتهم على الساحل اليوناني او ألبانيا او الساحل الأدرياتيكي، وبشكل متزامن مع الدعوات التي يطلقها نابليون بتقديم يد العون والمساعدة للشعوب البلقانية إذا ما أرادت التحرر من السيطرة العثمانية[٥].

وفي الوقت الذي كانت فيه العلاقات الفرنسية الروسية تسير من وضع سيء الى أسوأ، تجلت نهايته بسحب السفير الروسي من باريس في كانون الأول ١٨٠٣

(1) Shaw , Op. Cit., Vol. 1. P. 270 -271.

(٢) التكريتي، هاشم،الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص٥٩.

(٣) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص٨٥.

(٤) خوري ، المصدر السابق، ص٢٠٦.

(٥) التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص٥٩.

بعد اهانته من قبل نابليون في حفل دبلوماسي(١)، فقد حفز ذلك القيصر الروسي على تقريب وجهات النظر مع بريطانيا، وطلبت حكومته من سفيرها في لندن في كانون الأول ١٨٠٣ بأن يطلع الحكومة البريطانية على التقارير الروسية التي تتحدث عن عزم فرنسا للقيام بإنزال جيوشها على سواحل البانيا أو الموره، وأن يلفت نظرها إلى خطورة ذلك، ويعلمها بعزم روسيا على استخدام كل ما في حوزتها للحيلولة دون أي توسع فرنسي، كما طلبت منه مفاتحة الحكومة البريطانية برغبة روسيا بالإشتراك مع بريطانيا للعمل سوية لأحباط مشاريع فرنسا التي تمس مصالح كلا الدولتين(٢).

أبدت الحكومة البريطانية تأييدها للمقترح الروسي طالما كان موجهاً ضد فرنسا، إلا ان الوصول الى تفاهم مشترك كان يتطلب اولاً تسوية الخلاف بشأن مالطة التي احتلها البريطانيون منذ أيلول ١٨٠٠، التي لا زالت روسيا تطالب بإستعادة السيطرة عليها(٣) إذ لم تكن بريطانيا على استعداد للانسحاب من هذه الجزيرة، بسبب أهميتها الستراتيجية التي ازدادت مع تجدد الحرب ضد فرنسا(٤)، حيث قدم وليم بت في شباط ١٨٠٣ -الذي لم يكن يشغل منصباً رسمياً آنذاك – نصيحته للحكومة البريطانية بعدم الجلاء عن مالطة حتى وإن تطور الموقف الى خوض الحرب ضد فرنسا، فحسب اعتقاده ((ظهرت حقيقة ما يبيته نابليون للشرق وزال الشك)) وإن أي انسحاب من مالطة بمثابة إضاعة ((أقوى ضمان لنا، وأهم قاعدة يمكننا الأرتكاز عليها في مضايقة العدو، ولهذا وجب القول أن حرباً سريعة تكون اقل شرا علينا من تراجع خطر ومخجل)) (٥).

وإزاء ادراك الروس والبريطانيين لخطورة الموقف الناجم عن المشروع الفرنسي في الشرق، تم الإتفاق على تسوية مسألة مالطا، إذ بعث القيصر الروسي

---

(١) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص٨٥.

(2) Shaw, op, cit.,Vol. I, P. 267 ;

التكريتي، هاشم، الصراع الفرنسي الروسي في البلقان..، ص٥٩.

(٣) خوري ، المصدر السابق، ص٢٠٦- ٢٠٧.

(٤) جاء في كتاب سري تضمن تعليمات ارسل بها اللورد هوكزبري Hoksbrey وزير الخارجية البريطانية الى السفير البريطاني في باريس اللورد هويتورث Hwetorth ما يأتي ((إذا دخلت الحكومة الفرنسية في أي حديث معك حول موضوع جزيرة مالطة فمن الأهمية بمكان ان تتفادى الألتزام بشيء بالنسبة الى نوايا جلالة الملك النهائية حيال تلك الجزيرة... وأنني اوصيك على كل حال بأن تتفادى قول أي شيء يقيد جلالته بإعادة الجزيرة))نقلاً عن: جرانت ، المصدر السابق، هامش رقم (٥)، ص٢٠٤.

(٥) نقلاً عن: خوري ، المصدر السابق، ص٢٠٧.

الأسكندر الأول برسالة الى وزير الخارجية البريطانية اللورد هوكزبري في شباط ١٨٠٣ بّين فيها موافقة روسيا على بقاء القوات البريطانية في جزيرة مالطة في ظل الظروف القائمة وقتذاك، كما وعد بتعزيز الحامية الروسية في جمهورية الجزر السبع او ما كان يعرف بالجزر الأيونية (١).

أن تعزيز التواجد العسكري الروسي في الجزر الأيونية أنطلق من مبدأ ضرورة الحشد البحري لأعاقة مشروع نابليون بالوصول الى البلقان وجنوب إيطاليا، بالإضافة الى ان موقع الجزر سيكون له دور مهم في حالة اندلاع حرب روسية – عثمانية، فضلاً عن امكانية اتخاذ هذه الجزر قاعدة انطلاق لتثبيت نفوذ روسيا السياسي في اليونان، ومن الجدير بالإشارة ان هذه الجمهورية التي جُعلت فيها السلطة مشتركة مابين العثمانيين والروس بموجب الإتفاقية الروسية – العثمانية الموقعة في آذار ١٨٠٠، وقعت تحت هيمنة روسيا ونفوذها التي سعت بأن تكون تبعيتها العثمانية شكلية فقط، وبعيداً عن نفوذ أية دولة اخرى (٢).

لكن فرنسا ادركت هي الأخرى أهمية تلك الجزر، إذ سبق لنابليون ان نبه حكومة الأدارة في السادس عشر من آب ١٧٩٨ بقوله ((أن كورفو وزانتي وسيفا لونيا تهمنا اكثر من إيطاليا... واحتلالها يجعلنا سادة الأدرياتيك والشرق الأدنى... ان احتلال الجزر الأيونية سيضعنا في موضع دعمها [الدولة العثمانية] او حماية حصة منها لأنفسنا))(٣)، لذا فقد اثارت تحركات روسيا قلق الحكومة الفرنسية لاسيما نابليون حيث ذكر تاليران ((ان نابليون شعر بالألم جراء تغاضي الأمبراطورية العثمانية عن المخاطر المترتبة على تنامي قوة روسيا في الجزر الأيونية... وأبدى النصح للعثمانيين بغلق المضائق العثمانية بوجه القوات الروسية))(٤).

وقد حذر برون السفير الفرنسي في اسطنبول في تقرير بعثة إلى نابليون من إصرار روسيا على أن تمارس لوحدها حق المرور عبر المضائق العثمانية من وإلى الجزر الأيونية دون السماح لسفن الدول الأخرى بذلك، تحت ذريعة قانونية تتحدد بإستنادها الى المعاهدة الروسية العثمانية الموقعة عام ١٧٩٩، وأنه لاحظ السفن الحربية الروسية لم تنقطع عن التنقل بين البحر الأسود، وجزيرة كورفو طيلة شهري

---

(١) المصدر نفسه..

(٢) التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان....، ص٥٨.

(3) Marriott, op ,cit , p166.

(4)Puryear , v, J , Napoleon and Dardanlles, (university of California press, 1951), p29.

نيسان – مايس ١٨٠٣، وعلى الرغم من نجاح برون في إيقاف ممارسات نظيره الروسي في اسطنبول ضد السفن الفرنسية، إلا انه مع ذلك فقد طلب من باريس إرسال عدد من السفن الحربية الفرنسية لترابط في اسطنبول للحماية وتسهيل التجارة الفرنسية في الدولة العثمانية(١).

اصطدمت فرنسا أيضاً برغبة بريطانيا حينما عمد البريطانيون الى توسيع نفوذهم الى تلك الجزر حيث أرسلوا سفينة حربية رابطت بالقرب من اسطنبول مهمتها حراسة السفن التجارية البريطانية المتجهة الى البحر الأسود، و أناطوا بأحد الأساطيل مهمة المرابطة بالقرب من جزيرة تيندوس كأجراء احترازي(٢).

سعت روسيا لأتخاذ عدد من التدابير الاحترازية المقصود منها مجابهة النشاطات الفرنسية، ومن هذه التدابير، اقدامها على تأسيس عدد من القنصليات في مناطق البلقان لمراقبة التحركات الفرنسية، وتعزيز نفوذها في الجبل الأسود، كما نقلت مزيداً من قواتها إلى الجزر الأيونية عبر المضائق العثمانية حتى وصل عددها إلى (١١٠٠٠)مقاتل في عام ١٨٠٤ (٣)، ولغرض مواجهة وعود نابليون للشعوب البلقانية بالإستقلال فقد أخذت هي الأخرى استغلال كل إمكانياتها الدبلوماسية في اسطنبول لتحسين أوضاع الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية، وعلى هذا الأساس جاءت دعوات السفير الروسي اتيالينسكي للحكومة العثمانية بمنح اليونانيين استقلالاً ذاتياً مع المحافظة على تبعيتهم للدولة العثمانية ودفعهم الضريبة المقررة(٤)، وفي الإطار ذاته جاء الموقف الروسي من الثورة الصربية في بدايتها عام ١٨٠٤(٥).

لكن الحكومة الروسية أدركت ان الوقوف بوجه النشاط الفرنسي في البلقان لن يكتمل بالعمل المنفرد، بل بتوحيد الجهود مع بريطانيا، لذا قرر الساسة الروس في أواخر عام ١٨٠٣ جس نبض الحكومة البريطانية حول إمكانية القيام بعمل مشترك

(١) Ibid, p 14-16.

العبيدي، احمد، المصدر السابق، ص٨٣.

(2)Puryear, op , cit , p16

(٣) التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص٥٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦١.

(٥) محمود، عبد الواحد وآخرون، الدولة العثمانية بين الميول الانفصالية ومحاولات الحكم المركزي ١٨٠٨ – ١٨٣٩، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد السابع، (بغداد، ٢٠٠١)، ص١٠٦.

Lipson. E, Europe in the nineteenth century 1815 – 1914, 6th edition,(London, 1944), p206

لحماية شبه جزيرة البلقان والبحر المتوسط من غزو فرنسي محتمل[1] وفي شباط ١٨٠٤ وضع تشارتوريسكي Czartoryski [2]، خطة سياسية أساسها العمل المشترك بين روسيا وبريطانيا، للحيلولة دون تحقيق نابليون لطموحاته في البلقان خاصة والشرق الأدنى بصورة عامة، مع ضرورة الحفاظ على كيانية الدولة العثمانية ضد أي إعتداء تتعرض له من أية جهة كانت، وطالما بقيت هذه الدولة في حالة الضعف التي تعتريها، ويتبدل هذا الموقف في حالة استعادة الدولة العثمانية لقوتها، أو ارتمائها في أحضان فرنسا، الأمر الذي يتطلب من روسيا في النهاية العمل الجاد لتوثيق علاقاتها مع شعوب البلقان فضلاً عن تعزيز علاقاتها مع الدول الأوربية الأخرى وبخاصة بريطانيا[3].

وعلى اساس هذه الخطة فقد طلب تشارتوريسكي من السفير الروسي في لندن في الثامن عشر من آب ١٨٠٤ ان يقترح على الحكومة البريطانية الأنظمام الى الحكومة الروسية في مساعيها الرامية الى تحسين أحوال المسيحيين من رعايا الدولة العثمانية، وعدّ موافقة السلطان العثماني على ذلك شرطاً لتجديد معاهدة التحالف مع الدولة العثمانية[4]، وفي تشرين الثاني ١٨٠٤ فوض الأسكندر الأول نيقولاي نوفوسيلتسيف Novosiltsev لأجراء مفاوضات مع الحكومة البريطانية حول تشكيل التحالف الثالث ضد فرنسا، وان يثير خلال المباحثات القضايا التي تتعلق بالسياسة المعتمدة تجاه الدولة العثمانية ويستوضح رأيها حول بعض المقترحات ومنها انشاء جمهورية واحدة أو اثنتين يونانية وسلوفينية تحت أشراف كل من روسيا والدولة العثمانية وعلى غرار جمهورية الجزر السبع[5]، ولما كان نوفوسيلتسيف قد بذل

---

(1) Anderson , The Eastern Question. P. 34.

(٢) عين آدم تشارتوريسكي منذ خريف ١٨٠٢ مساعداً لوزير الخارجية اكسندر رومانوفتش خورونتسوف وترأس وزارة الخارجية الروسية بصورة فعلية في كانون الأول ١٨٠٤ وحتى ١٨٠٦ بعد مرض أكسندر في عام ١٨٠٤ ووفاته في عام ١٨٠٥، التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص٥٧.

(3) Prince Czartoryski on Russian policy towards the ottoman Empire , prince A.A. Czartoryski to Alexander 1, 29 February 1804 m Quoted in: Anderson , The great power and the near east... , pp 23 -25.

(٤) التكريتي، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص٦٢.

(5) Brun, G. The Balance of power during the years 1793-1814, in the New Cambridge modern History, Vol 1 X (Cambridge university press), 1956, P. 266;

جهوداً في تلطيف المقترحات الروسية الى الحد الذي جعل وليم بت يداهن محدثه الروسي بقوله ((أن نوايا جلالة الأمبراطور الروسي معتدلة جداً وتتطابق بشكل جيد جداً مع الفائدة المشتركة، وان الحكومة الإنكليزية ستحاول ان تسهل تحقيقها بكل الوسائل))[١]. لكن الحكومة البريطانية في واقع الأمر كانت تنظر إلى النشاط الروسي في البلقان وتفوقه في اسطنبول بانه يشكل تهديداً مباشراً للمصالح البريطانية، وعدت المقترحات الروسية الخاصة بالدولة العثمانية دليلاً على نية روسيا للإستيلاء على بعض الممتكلات العثمانية في أوربا[٢] ولهذا فإن كلام بت لم يكن سوى ذر للرماد في العيون لمجانبته الحقيقة، وهدفه الحقيقي كان دفع روسيا إلى تشكيل التحالف الجديد ضد فرنسا، أما بقية المقترحات الروسية فقد أهملت من قبل الحكومة البريطانية، ولم تعلق عليها بجواب رسمي طالما لم تتسلم توضيحات بشأنها[٣].

وعلاوة على حاجة بريطانيا الى التحالف العسكري مع روسيا لإيقاف المد الفرنسي، فقد كانت هناك قضايا أخرى اشرت بوضوح حاجة كلا الطرفين إلى ذلك التقارب، ومنها الوقوف بحزم تجاه محاولة نابليون الضغط على السلطان العثماني للاعتراف به إمبراطوراً، بعد أن أضفى على نفسه ذلك اللقب في آيار ١٨٠٤[٤]، إذ حذر السفير الروسي في اسطنبول الحكومة العثمانية بأن روسيا سوف تلجأ الى غلق سفارتها وقطع علاقاتها الدبلوماسية معها، وفي حالة إذعان السلطان لطلب نابليون، فإن الحكومة الروسية ستتصرف طبقاً لما تمليه عليها مصالحها، حتى وأن تطلب ذلك إعلاناً للحرب، كما طلب من الحكومة العثمانية وعداً بعدم الاعتراف باللقب الجديد لنابليون حتى تعترف روسيا به[٥].

أما الموقف البريطاني فكان هو الآخر متشدداً من مسألة لقب نابليون، إذ حصلت بريطانيا على ضمانات من السلطان سليم الثالث بعدم الأعتراف بذلك اللقب

التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص٦٣

(١)نقلاً عن: التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص٦٣.

(2) Wren. C. Melvin, The Cores of Russian History, Second Edition, (New York, 1963) , P. 333.

(3) Brun , op , cit. p266;

العبيدي، احمد، المصدر السابق، ص٨٨- ٨٩.

(٤) المقرحي، ميلاد، تأريخ اوربا الحديث ١٤٥٣ – ١٨٤٨، (منشورات جامعة قار يونس بنغازي، ١٩٩٦)، ص٣٣٥.

(5) Puryear , op , p32 ; Shaw , op , cit , Vol 1 , p271.

بعد أن لوح البريطانيون بإمكانية قيام الأسطول البريطاني بعملية أجتياح للمضائق العثمانية[١].

وبسبب جدية الضغوط الروسية والبريطانية أضطر السلطان سليم الثالث إلى عدم الأعتراف بلقب نابليون، الأمر الذي أثار غضب برون السفير الفرنسي في العاصمة العثمانية، فغادرها في الثامن عشر من كانون الأول ١٨٠٤، وانعكس ذلك على العلاقات الفرنسية – العثمانية اذ سادها الفتور آنذاك[٢]، ومن الجدير بالذكر أن نابليون لم يقدم على غلق سفارته في اسطنبول، إذ عهد إلى القائم بالأعمال الفرنسي بارندييه Paranie بتمشية أمور السفارة، بعد أن زوده بتعليمات كانت تقضي الأستمرار بمناهضة نشاط البريطانيين والروس في اسطنبول، وبشكل لا يشعر معه الباب العالي بأن فرنسا تعمل على ممارسة الضغوط الدبلوماسية عليه للحد من نشاط خصومها [٣].

لم تكن مغادرة السفير الفرنسي للعاصمة العثمانية أو التعليمات التي صدرت إلى بارندييه معناها أن نابليون قرر ترك الباب مفتوحاً أمام البريطانيين والروس لتوثيق علاقاتهم مع الباب العالي، وإنما أخذ يتذرع بكل وسيلة لقطع الطريق عليهما، فأخذ يراسل السلطان العثماني سليم الثالث مباشرة بقصد التأثير عليه. وكتب إليه في الثالث من كانون الثاني ١٨٠٥ رسالة بين فيها رغبة فرنسا في توثيق علاقاتها مع الدولة العثمانية صاحبة اكبر امبراطورية في الشرق[٤] ثم بعث إليه برسالة أخرى في أواخر الشهر ذاته ضمنها كل معاني الأبهة والتبجيل وجاء فيها ((إلى صاحب السمو والعظمة والقوة، الأمير الذي لا يقهر، امبراطور المسلمين العظيم، السلطان سليم سمير الشرق والفضيلة، صديقنا الأعز الأكمل، زاده الله علّواً وعظمة... أنت ياسليل العثمانيين إليك بهذه الرسالة، وأنا على اضعف مايكون اليقين من وصولها اليك لأن الرجال الساهرين على كل منفذ من منافذ الوصول اليك سيحولون دونها، ألا فأستيقظ ياسليم... إن أعداءك الحقيقيين هم الروس لأنهم يريدون فرض سيطرتهم على البحر الأسود، وأن هذا الهدف غير ممكن إلا بالإستيلاء على القسطنطينية))[٥].

---

(١) العبيدي، احمد، المصدر السابق، ص٨٧.

(2) Wren , Op. Cit., P. 333; Puryear , op , cit ,. P33.

(٣) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج٢، ص٣٤٢.

(٤) السراي، المصدر السابق، ص٥٨.

(٥)نقلاً عن: خوري ، المصدر السابق، ص٢١٤.

وحينما وجد نابليون بأن هذا الأسلوب لم يجدِ نفعاً، كتب رسالة أخرى شديدة اللهجة في شباط موبخاً السلطان سليم الثالث بقوله: ((هل تخليت عن العرش؟ وهل يمكن للسلطان أن يكون أعمى من احتمال تعرض القسطنطينية إلى هجوم روسي وشيك؟ إن هذا يعني نهاية للأسرة العثمانية)) (١)، وتساءل أيضاً: ((هل زال حكمك وأنقطع وأنت سليل العثمانيين الأمجاد وإمبراطور إحدى كبريات إمبراطوريات العالم؟ وكيف أجزت لنفسك الرضا بتلقي الأوامر من روسيا؟))(٢).

لم تُجد أساليب الترغيب والترهيب التي انتهجها نابليون في دفع الحكومة العثمانية لمناهضة النشاطات الروسية والبريطانية، فبعد أن توصل البريطانيون والروس الى توقيع معاهدة للتحالف في الحادي عشر من نيسان ١٨٠٥، تعاهد فيها الطرفان على إرجاع فرنسا الى حدودها الأصلية، وتعهدت بريطانيا بتقديم مساعدات مالية مقابل تقديم روسيا جيوشها لمقاتلة فرنسا(٣) فقد عمدت السياسة البريطانية إلى تكثيف الضغوط على الباب العالي في محاولة لضم الدولة العثمانية إلى التحالف الأوربي المناهض لنابليون، إذ هدد السفير البريطاني شارل اربثنوت Arbuthnot Charles في حزيران ١٨٠٥ بمغادرة اسطنبول إذا لم تحدد الحكومة العثمانية تحريرياً موقفها المناويء لفرنسا وتجدد معاهدة التحالف الموقعة مع روسيا، وفي حالة رفض السلطان العثماني تجديد تلك المعاهدة، فسوف تلجأ روسيا إلى مهاجمة الدولة العثمانية(٤)، وعلى الرغم من جهود تاليران الذي أعطى أوامره إلى القائم بالأعمال بارندييه ببذل أقصى الجهود للحيلولة دون حصول تحالف بريطاني – عثماني – روسي، إلا ان الحكومة الروسية تمكنت وبتشجيع الدبلوماسية البريطانية(٥)

---

(١) نقلاً عن: العبيدي، أحمد،المصدر السابق، ص٨٦.

(٢) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٣٤٢.

(3) Wren, Op. Cit , PP. 333-334;

بالمر، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٢ – ٢٥٣

(4) Puryear , op , cit , p 56

(٥) كان مدار الرفض العثماني لتجديد معاهدة التحالف مع روسيا والموقعة في عام ١٧٩٨ هو لأصرار الأخيرة على ادخال بنود سرية ملحقة بالمعاهدة المجددة، وكان من ضمن هذه البنود السرية هي أن يكون لروسيا الحق في إرسال قوة عسكرية كبيرة الى الولايتين الدانوبيتين العثمانيتين ولاشيا ومولدافيا وبند آخر ينص على إعتراف الدولة العثمانية منح روسيا حق التدخل العسكري في صالح رعايا الدولة العثمانية من اصحاب المذهب الأرثوذكسي والمقصود بذلك وضع أولئك تحت حماية روسيا ووصايتها، وكانت حجة روسيا من إصرارها على هذين البندين رغبتها في تحرير موارد الدولة العثمانية من النفوذ الفرنسي! ولما كانت هناك بنود سرية أخرى من ضمنها أن يكون (كما لروسيا حق إتخاذ تدابير

في الثالث والعشرين من أيلول ١٨٠٥ من عقد معاهدة تحالف جديدة مع الدولة العثمانية، إنضمت بموجبها الأخيرة إلى التجمع الأوربي المناهض لفرنسا[١] وقد نصت المعاهدة على التزام روسيا والدولة العثمانية بتقديم الدعم العسكري بعضهما البعض في حالة تعرض أحداهما إلى هجوم من قبل دولة أخرى، و حصلت روسيا في البندين الرابع والسابع على تعهد من العثمانيين بالمحافظة على الجزر السبع، والسماح للأسطول الحربي الروسي بإستخدام البسفور والدردنيل لتعزيز الحاميات الروسية هناك، وعدّة حماية المضائق العثمانية والبحر الأسود مسؤولية مشتركة بين العثمانيين والروس، وأن يتم غلقها بوجه السفن الحربية العائدة للدول التي لا تقع على هذا البحر [٢]

والحقيقة أن التحالف العثماني – البريطاني –الروسي لم يكن صلداً إلى حد الصمود إزاء المتغيرات والإنعكاسات التي رافقت الصراع بين جيوش التحالف الأوربي الثالث وجيوش نابليون في أوربا، فتحطم الأسطول الفرنسي أمام الأسطول البريطاني في معركة الطرف الأغر في الحادي والعشرين من تشرين الأول ١٨٠٥[٣] اقنع الفرنسيين بإستحالة تحقيق انتصار بحري على بريطانيا في اوربا مما

إحترازية في إحتلال الولايتين) لبريطانيا حق إرسال قوه عسكرية لإحتلال الأسكندرية، بحجة الحيلولة دون قيام نابليون بإرسال قوة جديدة لأحتلال مصر مرة اخرى، ولما كانت الحكومة البريطانية غير مستعدة وقتذاك لإرسال قوات الى مصر، ولكن موافقة الباب العالي سلفاً على هذا الإجراء سوف يكون له شأن عظيم إذا حدث في اثناء الحرب إنه صار لا معدى عن اتخاذه،فقد جاء= =تحرك السفير البريطاني دبلوماسياً على الشكل التالي:اولاً الضغط على الباب العالي قدر الأستطاعة لقبول تلك البنود اما في حالة رفضه لها وهذا ماتم بالفعل فيتم التوجه نحو الروس لتلطيف مطالبهم بحذف هذين البندين، وهذا أيضاً هو الذي تم بلفعل خاصة وأن الظروف أيضاً قد خدمت اربوثنوت في تلطيف مطاليب الروس، إذ استلم السفير الروسي ايتالينسكي مذكرة من حكومته تشير عليه ليس بسحب هذين البندين فقط وإنما سحب كل البنود السرية والتوصل الى تفاهم مع الباب العالي بأي ثمن لتوقع قيام الحرب قريباً بين فرنسا وروسيا. شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٣٤٤ – ٣٤٥.

(1) Howard, Op. Cit., P. 14;

الشناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج١، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠)، ص٢٠٠.

(2) The Russo – Turkish Treaty of Alliance 23 September 1805 , Quoted in: Anderson , the great power and near east , pp 25 -27.

(3) Plump. J. H. England in the Eighteenth Century 1714-1815,(London, 1950), P. 207; Dane , op , cit ,pp 247, 281;

حدا بنابليون إلى إعادة النظر بخططه لتدمير قوة بريطانيا في الشرق الذي بات ((الهدف الأستراتيجي للإمبراطور))(١)، لكن نابليون استطاع ان يمحو هزيمة الطرف الأغر بانتصارات انعكست نتائجها ليس فقط على صعيد علاقاته مع الدولة العثمانية، وإنما أدت إلى زعزعة التحالف البريطاني – الروسي – العثماني، إذ تمكنت جيوشه من دخول العاصمة النمساوية فينا بعد أن ألحقت الهزيمة بالجيش النمساوي في معركة أولم Ulm في السابع عشر من تشرين الأول ١٨٠٥، أعقب ذلك إلحاق الهزيمة بالجيوش النمساوية والروسية في معركة اوسترلتز Austerlitz في الثاني من كانون الأول، حيث اضطرت النمسا إلى التوقيع على صلح برسبورغ Presporg في السادس والعشرين من كانون الأول فأجبرت على الاعتراف بما حققه نابليون من مكاسب في إيطاليا، كما حصل الفرنسيون على دلماشيا والبندقية وأستريا وبذلك أصبحت لفرنسا حدود مشتركة مع الدولة العثمانية(٢) الأمر الذي عزز موقف فرنسا في الشرق(٣) وقد صرح نابليون إلى المقربين منه بذلك موضحاً لهم بأنه بعد أن انتصر على روسيا والنمسا في اوسترليتز ((لم يعد لديه ما يفعله في أوربا)) وملوحّا بأسلوب خفي بأن نشاطه يجب أن يتركز من الآن فصاعداً على البلدان الواقعة خارج أوربا وفي مقدمتها الدولة العثمانية(٤) ، وما يؤيد ذلك أن تاليران عندما إقترح على

المقرحي، المصدر السابق، ص٣٣٦.

(١) نقلاً عن: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص١٥٢.

(2) Kinross , The ottoman centuries , The rise and Fall of the Turkish Empire , (New York , 1977) , p429 ; Shaw , Op .Cit , Vol 1 , p272 ; Wren , op, cit , p334.
الحويك، الياس، تأريخ نابليون الأول، ج٢، منشورات دار الهلال، (بيروت، ١٩٨١)،ص٥٩-٧٠.

(٣) كان من المقرر انه بعد تجديد المعاهدة العثمانية الروسية، تبدأ مباحثات بين الجانبين البريطاني – العثماني لتجديد معاهدة التحالف بينهما لعام ١٧٩٩، وكان سبب هذا الترتيب أو تأخير المباحثات البريطانية العثمانية بعد المباحثات العثمانية الروسية، هو وجود مسائل عالقة تحتاج الى بحث معمق بين البريطانيين والعثمانيين وتتعلق بمسائل التعريفه الكمركية، وفضلاً عن هذا السبب فأن السفير البريطاني شارل اربوثنوت لما وصل الى اسطنبول لم يكن يحمل معه أية تعليمات محددة من حكومته حول المواد التي يجب ان تتضمنها المعاهدة المجددة، وعليه ففي الوقت الذي دخل فيه الروس والعثمانيين بمباحثاتهم الخاصة بهم، بقي السفير البريطاني ينتظر وصول تعليمات حكومته التي وصلت بالفعل في الخامس والعشرين من تشرين الأول ١٨٠٥، فكان وصولها متأخراً إذ أن الموقف الدولي سرعان ما أخذ بالتغير كما أشرنا نتيجة الأنتصارات الفرنسية وقامت العقبات العديدة تحول دون إبرام المعاهدة. شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٣٤٥.

(٤) التكريتي، هاشم،الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص٦٣.

نابليون بأن تعوض النمسا عن الأقاليم التي فقدتها بموجب صلح برسبورغ بإمارتي الدانوب وشمال بلغاريا، وهدفه من ذلك أن يخلق حاجزاً يحول به دون وصول روسيا إلى اسطنبول، ويجعل روسيا في الوقت نفسه تتجه بطموحاتها نحو آسيا الأمر الذي سيؤدي بها إلى التصادم مع بريطانيا، إلا أن نابليون رفض ذلك وفضل التوجه مباشرة بسياسته نحو أسطنبول[1] التي كانت لأنتصاراته صدى بالغ الأثر فيها، فقد أخذ روفين القائم بالأعمال الفرنسي[2]يصف لرجال الديوان العثماني ما أحدثته تلك الأنتصارات قائلاً ((أن شمس اوسترليتز قد بددت سحب الطرف الأغر وشتتها)) [3]أضف إلى ذلك ما كتبه تاليران إلى وزير الخارجية العثمانية غداة صلح برسبورغ، بأن تنازل النمسا عن الأراضي التي ضمت الى مملكة إيطاليا من شأنه أن يجعل - لحسن الحظ - إمبراطور الفرنسيين قريباً من أملاك الباب العالي، ويؤدي ذلك الى ((تحقيق رغبة الإمبراطور في توطيد صلات المحبة مع السلطان العثماني، ودعم

ومما هو جدير بالذكر أنه علاوة على الأسباب الخاصة بالدولة العثمانية التي دفعت نابليون للتقارب معها، فأن هناك أسباباً أخرى غير مباشرة، وتتعلق تلك الأسباب بالعلاقات الفرنسية – الفارسية، او= =بعبارة اخرى ان التقارب مع فارس وأهمية العلاقات معها إنعكست على العلاقات الفرنسية- العثمانية، أي أن الدولة العثمانية كانت مفتاحاً للتقارب الفرنسي مع فارس، لتي كان نابليون يركز عليها كثيراً في صراعه ضد الروس والبريطانيين، ولما كان نابليون يدرك أن أمر التقارب مع فارس في عام ١٨٠٥ مرهون بتقديم مساعدات عسكرية إلى ذلك البلد لتمكينه من الصمود في حربه ضد الروس فقد كان حري بنابليون أن يفكر بأمر الطرق التي يمكن بواسطتها إيصال تلك المساعدات الى بلاد فارس ، وما هو حري بالملاحظة أن الميرزا رضا قلي نوائي (وزير الأرتباطات الخارجية الفارسي) سأل اسكندر روميو مبعوث نابليون إلى إيران في عام ١٨٠٥ حول أي طريق سوف تسلكه فرنسا الطريق البحري أم الطريق البري في ايصال مساعداتها الى بلاد فارس، السراي، المصدر السابق، ص٤٦. ولما كان هناك طريقين لأرسال تلك المساعدات الأول بحري عبر البحر الأسود وإمكانية إستعمال هذا الطريق هو ضرب من المستحيل، لأن معاهدة الثالث والعشرين من أيلول ١٨٠٥ العثمانية الروسية جعلت إدارة هذا البحر مشتركة بين الروس والعثمانيين، وليس من المعقول أن يسمح الروس بإيصال أية مساعدات عسكرية فرنسية عبر هذا الطريق، إذن لم يبق سوى الطريق البري المار عبر الدولة العثمانية، وهذا وإلى حد ما ما أظفى على الدولة العثمانية أهمية كبرى في نظر نابليون وكل ما تقدم استثنينا منه طموح نابليون في تشكيل حلف ثلاثي فرنسي – فارسي - عثماني موجه بالضد من روسيا وبريطانيا لأننا سنقف على هذا الأمر لاحقاً.

(1) Marriott , op , cit , p174 ; Miller , op , cit , p32.

(٢) حل محل بارندييه الذي سحبته حكومته في أواخر تموز ١٨٠٥.

(٣) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٣٤٦.

العلاقات بين البلدين))[١]، فكان لكل ذلك أثره على السلطان العثماني الذي أدرك بأن تحالفه مع الدول المناهضة لفرنسا، لا يعدو ان يكون حلفاً ميتاً، وإنه بأختياره لذلك الحلف فقد اختار الطرف الخاسر، ولتعويض هذه الخسارة فلا معدى من التقارب مع الإمبراطور الفرنسي[٢]، وما إن وصل روي Rouy مبعوثاً من نابليون إلى السلطان سليم الثالث، يحمل له رسالة شخصية في طيها تفاصيل صلح برسبورغ، حتى بادر السلطان سليم الثالث وأصدر فرماناً خاصاً في شباط ١٨٠٦، اعترف بموجبه لنابليون بلقب باديشاه (الأمبراطور)[٣].

وبعد مراسلات بين القائم بالأعمال الفرنسي والسلطان العثماني، استهلها السلطان برسالته المؤرخه في الثامن والعشرين من شباط ١٨٠٦ ومما جاء فيها بأنه ((لايزال صديق فرنسا القديم والمتعصب لها شخصياً))[٤] وأوضح له القائم برسالته الجوابية بأن الإمبراطور بما انه ((هو الصديق الحميم للعثمانيين فأنه سوف يكون سعيداً إذا ماتم إرسال سفيركم...))[٥]، وبدا السلطان وكأنه يولي بوجهه عن البريطانيين والروس، والميل بمشاعره نحو الفرنسيين، وبرهان ذلك إرساله سفارة فوق العاده إلى فرنسا، محملة بالهدايا الثمينة إلى نابليون[٦]، ومرحباً من خلالها بنابليون عاداً إياه ((أقدم وأخلص حليف وأكثرهم ضرورة لتركيا))[٧]، ثم تعيين محب أفندي المناصر للفرنسيين على رأس هذه السفارة، مزوداً أياه بالتعليمات الخاصة بعقد تحالف عثماني – فرنسي[٨]، أما نابليون فمن جانبه فقد طلب من تاليران في آذار ١٨٠٦ بأن يكثف إتصالاته بالسلطان العثماني قاصداً وده، وللحيلولة دون وقوعه من جديد في شباك البريطانيين او حبائل الروس[٩].

---

(1) Creasy. E. S., History of Ottoman Turks, from the beginning of Empire to the present time, Vol. II, (London, 1956), P. 365.

(٢) Shaw , op , cit , Vol 1 , p 272.

(3) Puryear , op, cit , p67 ;

جودت، تاريخ جودت، جلد ثامن، (اسطنبول، ١٣٠٩)، ص٤٦.

(4) Quoted in : puryear , op, cit, p72

(4)Ibid.

(٦) جودت،المصدر السابق،جلد ٨، ص٤٦.

(٧)نقلاً عن : التكريتي، هاشم، الصراع الفرنسي في البلقان...، ص٦٣.

(٨) جودت، المصدر السابق، جلد ٨،ص٤٧.

(٩) خوري ، المصدر السابق، ص٢١٧.

أما روسيا التي أخذت تراقب التقارب العثماني الفرنسي بكل قلق وحذر فقد أمرت سفيرها أيتالينسكي في آذار أيضاً بتقديم إنذار الى الحكومة العثمانية، فحواه أنها ستحتل الامارتين الدانوبيتين ولاشيا ومولدافيا في حال استغراق الدولة العثمانية بتقاربها مع فرنسا(١) ذلك أن ((القيصر الروسي لا يستطيع أن ينظر بلا مبالاة الى المصير المؤلم لهذين الإقليمين المجاورين لأمبراطوريته واللذين ضمنت المعاهدات المعقودة بين البلدين رفاههما)) على حد قول ايتالينسكي للسلطان سليم الثالث(٢).

وفي خطوة استباقية قررت الحكومة الروسية توجيه أسطولها الحربي المرابط في البحر المتوسط منذ خريف ١٨٠٥ للسيطرة على كوتور(Cotor) أهم منفذ لإمارة الجبل الاسود على بحر الأدرياتيك في آذار ١٨٠٦، في حين قامت مجموعة من السفن الحربية الروسية بمحاصرة الساحل الدلماشي الذي يرابط به الفرنسيون(٣).

ولما كانت العلاقة بين فرنسا والدولة العثمانية قد توثقت إلى الحد الذي طلب فيه تاليران من الباب العالي إلغاء معاهدة التحالف العثمانية الروسية الموقعة في أيلول

(١) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص٩٦.

(٢) نقلاً عن: التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص ٦٤.

وحري بنا القول أن الحكومة الروسية وأنسجاماً مع سياستها الجديدة تجاه الدولة العثمانية، وقطعاً للطريق امام اية محاولة فرنسية لأستغلال نضال شعوب البلقان، أخذت تعمل على أعاقة أية انتفاضة معادية للسيطرة العثمانية في الأقاليم البلقانية، لكن مع بقاء الجهد الدبلوماسي الروسي في اسطنبول للضغط على الحكومة العثمانية لتحسين اوضاع مسيحي البلقان، لأعتقاد الساسة الروس بأن نجاح مثل هذه الجهود من شأنه ان يساعد على توسيع النفوذ الروسي في البلقان دون حصول تعقيدات في علاقات روسيا مع الباب العالي، ويعالج في الوقت نفسه تذمر الشعوب البلقانية، ويقضي بالنهاية على أية محاولة للتدخل من قبل الدول الأخرى لاسيما فرنسا، ولإجل كل ذلك فقد أخذت الحكومة الروسية تعمل من اجل التوصل مع الحكومة العثمانية إلى عقد اتفاقية ثنائية تقرر فيها حقوق وإمتيازات ولاشيا ومولدافيا وفي الرابع والعشرين من ايلول ١٨٠٢ تم التوصل الى اتفاقية عززت مكانة القيصر الروسي في الولايتين،إذ منحته الحق في التدخل في اسطنبول نيابة عنهم، ومنحت الولايتين أمتيازات اضافية لما تضمنته المراسيم التي أصدرها السلطان خلال السنوات ١٧٧٥ – ١٧٩١ ومن هذه الأمتيازات ان الأميرين المعينين فيهما لا يُعزلان إلا بعد مضي سبعة سنوات على ولايتهما، وإذا أريد عزلهما قبل ذلك لجرم ارتكبه احدهما او كلاهما فأن ذلك لا يتم إلا وفق ما تحدده لجنة متابعة مشتركة عثمانية – روسية. كما الغيت الضرائب التي فرضت بعد عام ١٧٨٣ على الولايتين، ووسعت الأمتيازات من مشاركة البويار المحليين في إدارة الأمارتين فأصبح حاكمي الولايتين عميلين لروسيا وتابعين لسياستها.

Anderson , The Eastern Question , P. 33; Miller , Op. Cit. P. 31 ; Crawly ,Op. Cit., P. 537; Puryear , Op, Cit., P. 11.

(٣) التكريتي، هاشم، الصراع الفرنسي الروسي في البلقان...، ص٦٤.

١٨٠٥ إذ تبيح للأخيرة مروراً حراً عبر المضائق[١] فقد استغلت الحكومة العثمانية الإنذار الروسي وتحركت بأتجاه سحب حق روسيا بذلك المرور، وطلب واصف أفندي وزير الخارجية العثمانية بمذكرة مؤرخة في الرابع عشر من نيسان ١٨٠٦ إلى السفير الروسي ان يوقف مرور البوارج الحربية الروسية عبر المضائق إلى المتوسط بحجة أن مواصلة ذلك المرور يلحق ضرراً بمصالح الدولة العثمانية، إذ أنه يقضي على حيادها في الصراع القائم بين روسيا وبريطانيا من جهة وفرنسا من جهة أخرى[٢]،كما ذهب الباب العالي بعيداً في موقفه العدائي من روسيا لدرجة انه ألغى في حزيران ١٨٠٦ جميع الإمتيازات الممنوحة للتجار الروس[٣] فما كان من السفير الروسي إلا وأبدى أسفه لتصرفات الحكومة العثمانية، وأعلن رفض حكومته لجميع مطالبها وإجراءاتها التي تمس صميم المصالح الروسية، وعدّذلك أمراً غير مقبول معتقداً أنها محاولات للتخلص من إحدى أهم بنود معاهدة التحالف الروسي – العثماني مما يجعل روسيا تحتفظ بحقها في اللجوء الى استخدام القوة للدفاع عن تلك المصالح[٤]، وهب السفير البريطاني شارل أربو ثنوت لأسناد زميله الروسي بأن حذر العثمانيين من اتخاذ أية إجراءات تثير غضب روسيا، وهدد السفير بأن الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، سوف تتبعها لا محالة غارة للأسطول البريطاني المرابط في البحر المتوسط على املاك الدولة العثمانية المطلة عليه[٥]·وجد نابليون في توتر العلاقات الروسية العثمانية فرصة أخرى مناسبة لتنفيذ مشروعه في الشرق، فكتب إلى تاليران في مطلع حزيران ١٨٠٦ ((إن الهدف الشامل لسياستي هو أن أنشيء حلفاً ثلاثياً يضمني مع الباب العالي وفارس وموجه بشكل مباشر او غير مباشر ضد روسيا.... وأنا ارغب بتعزيز قوة إمبراطورية العثمانيين))[٦]، ثم سارع الى تعيين الجنرال سبستياني سفيراً لفرنسا في اسطنبول في الشهر ذاته خلفاً للجنرال برون، وعهد إليه نابليون بأن يقنع السلطان العثماني بضرورة إتخاذ القرار الحاسم بالوقوف

(١) جودت، المصدر السابق، جلد ٨، ص٤٨.
(٢) خوري ، المصدر السابق، ص ٢١٧.
(٣) الشناوي، المصدر السابق، ص٢٠٥.
(٤) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص٩٧.
(٥) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج٢، ص٣٤٨.
(6)Anderson , The eastern question. p 37 ; Marriott , op ,cit. p175.

إلى جانب فرنسا ((ضد العدو المشترك)) روسيا وبريطانيا، من خلال التوصل إلى معاهدة تحالف فرنسية – عثمانية[١].

ومما سهل مهمة سبستياني في اسطنبول التي وصلها في العاشر من آب ١٨٠٦[٢] أن سفارته جاءت في وقت كانت فيه الثورة الصربية قد أخذت مأخذها في زيادة شكوك الدولة العثمانية بنيات روسيا، تلك التي أقدمت على مقابلة وفد الثوار الصرب بالترحاب و ((قدمت لهم مساعدات مالية ووعدت بإسنادهم دبلوماسياً))، كما قدمت لهم النصائح بعدم القاء السلاح من وجه الدولة العثمانية، وبناء على هذا الأسناد فقد حقق الثوار الصرب نجاحات كبيرة خلال الأعوام ١٨٠٥ – ١٨٠٦ بحيث لم تعد الإنتفاضة مقتصرة على باشوية بلغراد بل تعدتها وشملت المناطق المتاخمة لها[٣].

إذا كانت سياسة روسيا تجاه الثوار الصرب بهذا الشكل فمن الجدير بالذكر أن نابليون كان قد أوعز إلى تاليران في الحادي عشر من حزيران ١٨٠٦ بأن يتصل بالسفير العثماني في باريس ويؤكد له ((إذا حاول الصرب الاتصال بإمبراطور الفرنسيين، فأنه لن يتأخر لحظة في إطلاع الباب العالي بالأمر، وإنه لن يستمع إلى الثوار إلا بعد إن يلقوا سلاحهم، وعلى الباب العالي أن يقارن بين موقف روسيا واستعداد فرنسا ليتبين أي الدولتين هي الصديقة الصادقة)) [٤].

ومما عظّم من مهانة روسيا في أنظار مسؤولي الباب العالي، ماعُرف في اسطنبول في السادس عشر من آب ١٨٠٦ من أخبار حول إبرام روسيا على يد مبعوثها اوبريل Oubrilصلحاً منفرداً مع فرنسا في باريس في العشرين من تموز ١٨٠٦[٥]، الذي كان من شروطه ان تتخلى روسيا لنابليون عن كوتور وأن يقتصر

---

(1)Jonquiere , op ,cit , p 326 ;

جودت، المصدر السابق، جلد ٨، ص٤٩.

(٢) الشناوي، المصدر السابق، ص٢٠٥ ؛ آمجن، المصدر السابق، ص٨٥.

(٣) التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية...، ص٧١

(٤) خوري ، المصدر السابق، ص٢١٩.

(٥) في الثامن عشر من كانون الثاني ١٨٠٦ توفي وليم بت الأصغر، وخلفه في رئاسة الوزارة البريطانية جورج كرنفيل (شباط ١٨٠٦ – آذار ١٨٠٧) وكان هذا أقلمن سلفه ميلاً للحرب مع فرنسا، ولهذا كانت باكورة اعمال وزارته هو الأتصال بالأسكندر الأول ومباحثته في وقف الحرب ومصالحة فرنسا، ولهذا أوفد رئيس الوزراء البريطاني أحد كبار أعوانه وهو يارموت(yarmot) إلى= =باريس ليشارك نظيره الروسي الكونت اوبريل في مفاوضات تاليران ثم الجنرال كلارك بعد ذلك عن الجانب الفرنسي، وفي الوقت الذي توصل فيه الروس والفرنسيين في مباحثاتهم المنفردة الى اتفاق ثنائي في

وجود القوات الروسية على الجزر الأيونية بـ(٤٠٠٠)مقاتل فقط، ووافق نابليون من جانبه على إيقاف الأعمال العدائية ضد سكان الجبل الأسود، إذا ظلوا رعايا تابعين للدولة العثمانية[١]، وعلى الرغم من عدم مصادقة القيصر الروسي على بنود هذه المعاهدة بسبب الضغط البريطاني عليه، إلا إن رضوخ روسيا لهذه الشروط كان كافياً للدلالة على اعترافها بتفوق الإمبراطور الفرنسي بل كافياً لأن ((يمعن سبستياني في أظهر زرايته بها، وأتخاذ توقيع ممثلها على هذه المعاهدة دليلاً على مبلغ مهانتها وصار يحض الباب العالي على التحرر من نفوذ روسيا وسلطانها عليه))[٢].

تصرف الجنرال سبستياني تصرفاً دبلوماسياً ناجحاً حينما قام بزيارة إلى أمارتي الدانوب في آب ١٨٠٦، إذ تمكن بعد عودته من إقناع السلطان سليم الثالث بأن أبيسلانتي Abeslanty حاكم ولاشيا وموروزي Morozy حاكم ملدافيا هما عميلان لروسيا، فبادر السلطان في الرابع والعشرين من آب بعزلهما متحدياً بذلك معاهدة ١٨٠٢ المنظمة لشؤون هاتين الولايتين واستبدالهما بأميرين مواليين لفرنسا الامر الذي اثار حفيظة السفيرين الروسي والبريطاني على حد سواء، فقدما احتجاجاً للسلطان العثماني حول ذلك[٣].

لم يكتف السفيران بذلك بل وجه السفير الروسي ايتالينسكي الى الحكومة العثمانية إنذاراً في الثامن من أيلول ١٨٠٦ طالب فيه الحكومة العثمانية بوجوب إعادة

العشرين من تموز ١٨٠٦ إلا ان البريطانيين لم يتوصلوا مع الفرنسيين الى اتفاق مماثل وكان محور اختلافهم حول صقلية التي أصر الفرنسيون على التمسك بها في مقابل مالطة التي تمسك بها البريطانيون، ولما لم يتوصل البريطانيون والفرنسيون الى اتفاق فليس من المعقول ان يسمحوا لحلفائهم الروس ان يسيروا قدماً في علاقاتهم مع الفرنسيين، فأخذوا يحرضون الروس ضد الفرنسيين وكانت مهمتهم سهلة في هذا المجال إذ ان الروس ما ان وقع ممثلهم على المعاهدة حتى وجدت حكومته أنها لا تلبي مطامحها، بل انها على العكس تعطي افضليات واسعة للفرنسيين ولهذا قررت التنصل عنها ولم يصادق عليها القيصر الروسي.

Puryear , op , cit , pp95 - 98 ;

خوري، المصدر السابق، ص٢٢١ -٢٢٢.

(١) التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص٦٦.

(٢) نقلاً عن:خوري ، المصدر السابق، ص٢٢٣ ؛ شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٣٤٨.

(3) Kinross , op , cit, P429; Creasy, History of the Ottoman…, P. 365;

حسون، علي، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ط٣،(بيروت، ١٩٩٤)، ص١٥٥؛ بكديللي، المصدر السابق، ص٨٥.

النظر في قرارها، والاستمرار في الاعتراف بحق روسيا بالعبور عبر المضائق، فضلاً عن تجديد معاهدة التحالف العثمانية الروسية(١)، أما السفير البريطاني فقد اندفع إلى الأكثر من ذلك بأن أرسل إلى حكومته في الخامس عشر من أيلول ١٨٠٦ مستصرخاً اياها الدعم وقائلاً ((إذا لم تتحرك بريطانيا بأساطيلها فإن الفرنسيين سيقومون بتعزيز الأستحكامات العسكرية في المضائق ويكون هذا العمل موجهاً ضد بريطانيا))(٢).

وأزاء ازدياد الضغوط والتهديدات البريطانية والروسية واحتمالية إذعان العثمانيين لذلك، تقدم سبستياني بمذكرة شديدة اللهجة الى الحكومة العثمانية في السادس عشر من أيلول ١٨٠٦، طالب فيها بإغلاق المضائق العثمانية بوجه السفن الحربية الروسية، وأوضح ان عدم الأستجابة لهذا المطلب يعد عملاً عدائياً موجهاً ضد فرنسا، كما وحذر بأن كل تحالف جديد أو استمرار العمل بتحالف قديم بين الدولة العثمانية وبين بريطنيا وروسيا، لن يكون خرقاً صريحاً لحياد الدولة العثمانية فحسب، وإنما يعد اسهاماً إيجابياً وواضحاً من الدولة العثمانية في الحرب التي شنتها بريطانيا وروسيا ضد فرنسا، وأكد السفير الفرنسي في مذكرته إن الإمبراطور سيجد نفسه مضطراً فيما إذا أهملت الدولة العثمانية مطالبه إلى اتخاذ ما يراه متفقاً مع ما تقتضيه مصالحه والمحافظة علي هيبته، وان القوات الفرنسية الكثيفة المرابطة في دلماشيا وهي قوات مقصود بها اساساً الدفاع عن الدولة العثمانية ضد أطماع بريطانيا وروسيا ستوجه إلى أغراض تتعارض تعارضاً جذرياً مع الغرض الأول الذي من اجله أرسلت إلى دلماشيا(٣). ويبدو إن هذا السيل من عبارات التهديد والوعيد، قد دفعت بالحكومة العثمانية إلى إعادة النظر في موقفها من روسيا وبريطانيا، إذ أعلن وزير الخارجية العثمانية في الرابع والعشرين من أيلول ١٨٠٦ عن عزم بلاده القيام بغلق المضائق العثمانية بوجه السفن الحربية الروسية، ورفضها لتجديد معاهدة التحالف البريطانية العثمانية أو العثمانية الروسية(٤).

لقد أثارت المعلومات التي تضمنتها التقارير البريطانية عن التحركات الفرنسية في العاصمة العثمانية مخاوف السفير البريطاني اربوثنوت، التي تشير إلى

---

(1) Puryear , op ,cit , p103; Creasy, History of the Ottoman…, P. 365.

(٢) نقلاً عن: الشناوي، المصدر السابق، ص٢٠٥.

(٣) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٣٤٩.

(٤) Puryear , op ,cit , p105;

خوري ، المصدر السابق، ص٢٢٣.

احتمالية قرب التوصل إلى معاهدة تحالف فرنسي – عثماني، فطلب من قيادة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط إرسال عدد من السفن الحربية لترابط في المضائق العثمانية تحسباً لأية حالة مفاجئة، و طلب السفير إرسال سفينة لنقل أفراد عائلته، وفي الوقت ذاته قدم تحذيراً إلى الحكومة العثمانية انه في حالة اندلاع حرب روسية عثمانية، فإن القوات البريطانية ستعمل على تقديم الدعم للمجهود الحربي الروسي، و انه سيعلق أعمال السفارة ويغادر اسطنبول، وعلى الرغم من احتجاج الحكومة العثمانية على تحذيرات السفير البريطاني التي وصفها السفير العثماني في لندن صدقي أفندي بأنها ((غير مبررة ولا مسوغ لها)) إلا إن الحكومة البريطانية أيدت إجراءات سفيرها وعدتها خطوة بالاتجاه الصحيح(١).

وأنظم السفير الروسي في اسطنبول الى زميله البريطاني في ممارسة المزيد من الضغط على الحكومة العثمانية، فجدد احتجاجه على تغيير أميري ولاشيا ومولدافيا مؤكداً على إصرار بلاده على ممارسة حقوقها بالعبور عبر المضائق، التي تقرها المعاهدة المعقودة قبل بضعة اشهر، و هدد هو الآخر بتعليق أعماله ومغادرة اسطنبول(٢).

تزامن هذا الضغط البريطاني والروسي على الحكومة العثمانية مع وصول أخبار بعث بها السفير البريطاني في فينا روبرت اداير R.Adair، منبأة بتوقع قيام تحالف جديد ضد فرنسا، يضم كل من السويد والدنمارك وبروسيا ومن المحتمل النمسا إلى جانب بريطانيا وروسيا(٣)، وبسبب هذه المستجدات مع ما سبقها من أسباب تخص الضغط البريطاني والروسي فقد أصبح السلطان العثماني ((يفضل رؤية الحرب تستعر أوارها بالبوسنة – على حدود دلماشيا التي يتواجد بها الفرنسيون – على نشوبها تحت أسوار قصره في اسطنبول)) على حد قوله شخصيا(٤)، فتراجع عن قراره القاضي بعزل أميري ولاشيا ومولدافيا وأعادهما إلى منصبيهما في الثالث

---

(1) Puryear, op ,cit. p106 ; Kinross , op , cit , p429 ;

العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص١٠٣ – ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٤.

(٣) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٣٤٩.

(٤) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج٢، ص٣٥٠.

عشر والخامس عشر من تشرين الأول ١٨٠٦[١]، وفي الثامن عشر من الشهر ذاته كتب السفير الروسي لقيصره عن ذلك التراجع[٢].

لكن هذا النجاح الجزئي للبريطانيين والروس لم يدم طويلاً، فالنجدة التي سبق أن طلبها السفير البريطاني في الخامس عشر من أيلول قد وصلت على هيأة أسطول بقيادة السير توماس لويس T. Louis الى جزيرة تيندوس في منتصف تشرين الأول وأجتازت أحدى سفنه مضيق الدردنيل، وألقت مراسيها أمام اسطنبول، فأستغل السفير الفرنسي سبستياني هذه الخطوة ليدلل للعثمانيين عن نوايا البريطانيين، ثم تحويل الباب العالي الى تأييد فرنسا مجدداً، مستغلا أثر الأنتصارات العسكرية التي حققتها جيوش نابليون على الجيوش البروسية في معركتي ينا Yana واورشتاد Orshtad وتمكنها من دخول برلين في السابع عشر من تشرين الأول ١٨٠٦[٣]، إذ ما ان ابلغ سبستياني نتائج هذه الانتصارات للحكومة العثمانية حتى كشف له وزير الخارجية العثمانية غالب افندي بأن السلطان سليم كان ينتظر مثل تلك الظروف للتحالف مع فرنسا[٤].

حاول نابليون ان يستفيد من تلك الظروف لتنشيط سياسته تجاه الباب العالي، فبادر بالكتابة الى السلطان سليم الثالث، معبراً له عن مودته وحرصه على مجد الإمبراطورية العثمانية فـ((لدي الأرادة لأنقاذها، وأنا أضع انتصاراتي تحت تصرفنا المشترك))[٥] و وجه سفيره سبستياني بأن يستعجل السلطان ليعلن الحرب على روسيا روسيا لأستعادة منطقة القرم منها[٦].

كشف سبستياني اتصالاته مع المسؤولين العثمانيين، وعند لقائه بوزير الخارجية العثمانية أحتج لديه على مرور السفينة الحربية البريطانية عبر المضائق، وأستطاع ان يقنعه بأن يطلب مجدداً من الحكومة الروسية وقف مرور سفنها الحربية ايضا[٧] وأوضح له بأن الباب العالي إذا كان يخشى بأن يفضي حرمان الروس من

---

(1) Kinross , Op . Cit , p429 ; Shaw , Op. Cit, p273 .

(٢) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج٢، ص٣٥١.

(3)Shaw , Op . Cit , p 273 ; Wren. Op .Cit , p 335 – 336 ;

الشناوي، المصدر السابق، ص٢٠٥.

وللتفاصيل حول تلك المعارك يراجع: بالمر، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٠ – ٢٥٦؛ فشر، تاريخ اوربا الحديث...، ص٨٠ – ٨٢ ؛ المقرحي، المصدر السابق، ص٣٣٧ – ٣٣٨.

(4) Puryear , Op .Cit , p 113.

(٥) نقلاً عن:التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان...، ص٦٧.

(٦) خوري ، المصدر السابق، ص٢٢٣.

(٧) العبيدي، أحمد، المصدر السابق، ص١٠٦.

المرور عبر المضائق الى إعلانهم الحرب ضده، فإن الحكومة العثمانية بإمكانها أن تعزو ذلك إلى ضغط فرنسا عليها(١) فما كان من وزير الخارجية العثماني إلا وأبلغ السفير الفرنسي بأن حكومته ستمنع السفن التابعة لجميع الدول -وليس روسيا فحسب- من عبور المضائق(٢)، وبالفعل فقد أقدمت الحكومة العثمانية في أواخر تشرين الأول ١٨٠٦ على إلغاء معاهدة التحالف البريطانية العثمانية لعام ١٧٩٩، ومعاهدة التحالف الروسية العثمانية المجددة في عام ١٨٠٥(٣) وقررت ايضاً الدخول في مفاوضات مع فرنسا من أجل التوصل إلى معاهدة تحالف، والعمل المشترك على أصلاح القلاع والتحصينات العثمانية في البسفور والدردنيل، وتشكيل جيشين كبيرين يرابط أحدهما في صوفيا لأخضاع الصرب، والآخر في إسماعيل على احد فروع نهر الطونة في بساربيا، للوقوف بوجه الروس إذا، حاولوا عبور نهر الدنيستر(٤).

كان رد الفعل الروسي سريعاً وحاسماً، حيث أصدرت الحكومة الروسية أوامرها في الثامن والعشرين من تشرين الأول ١٨٠٦ الى الجنرال ميكلسون Mecleson قائد القوات الروسية على الدنيستر بإحتلال ملدافيا(٥) معللة عملها هذا بضرورة قطع الطريق أمام هجوم فرنسي محتمل على الإمارتين، فضلاً عن حماية حقوقهما وامتيازاتهما(٦) وأنهم لم يقدموا على ذلك إلا لحماية أملاك الصديق السلطان من الخطر الفرنسي، وعليه فإنهم سيسحبون قواتهم حالما تنجز الدولة العثمانية إجراءات تجديد المعاهدة(٧) لكن على الرغم من تسلم الحكومة الروسية في الرابع من تشرين الثاني ١٨٠٦ كتاب سفيرها في أسطنبول المؤرخ في الثامن عشر من تشرين الأول ١٨٠٦، الذي اراد فيه أخبارها عن تراجع السلطان سليم الثالث عن قرار عزل الأميرين، إلا أن ذلك لم يثن الحكومة الروسية عن الأستمرار في علملياتها العسكرية، بل أنها عدت ذلك الإجراء العثماني ((موجزاً إلى حد الأقتضاب ولا يسوغ تراجعها))، واذا كان مطلوباً منها ان تتراجع وتوقف عملياتها العسكرية فهذا يأتي على اثر تعهد تحريري من الحكومة العثمانية تؤكد فيه، تراجعها عن تعطيل مرور

(١) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٣٥١.

(2) Puryear , Op . Cit , p114

(٣) الشناوي، المصدر السابق، ص٢٠٦؛ بكديللي، المصدر السابق، ص٨٦.

(٤) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢ ص٣٥١.

(5) Shaw , Op .Cit , p273; Creasy, History of the Ottoman…, P. 366.

(٦) التكريتي، هاشم، الصراع الروسي الفرنسي في البلقان..، ص٦٧.

(7) Shaw , Op .Cit .

السفن الحربية الروسية عبر المضائق ومبادرتها بتجديد معاهدة التحالف مع بريطانيا[1]، كما ارسل وزير الخارجية الروسية الى سفيره في اسطنبول في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٨٠٦ مذكرة برر فيها التحرك العسكري الروسيقائلاً ((إن ادعاء الباب العالي حق منع سفن جلالة الإمبراطور الحربية من المرور عبر المضائق، مضافاً الى الصعاب والعراقيل التي وضعها في أكثر من مناسبة في طريقنا يدل دلالة واضحة على استسلام لحكومة التركية استسلاماً أعمى لإرادة فرنسا...))[2].

وتجاه ذلك طلبت الحكومة العثمانية في الحادي عشر من كانون الأول ١٨٠٦ من السفير الروسي مغادرة اسطنبول في غضون ثلاثة أيام، وبالفعل امتثل الأخير للطلب وغادر العاصمة على ظهر السفينة البريطانية كانوبوس Canopos بناء على دعوة السفير البريطاني[3]، ثم ما لبثت الدولة العثمانية أن اعلنت الحرب على روسيا في السابع والعشرين من الشهر ذاته، وفي السابع من كانون الثاني ١٨٠٧ أعلن السلطان العثماني غلق المضائق العثمانية بوجه سفن الملاحة الأجنبية طيلة مدة حربه مع روسيا[4].

ومما يجدر ذكره، إن الهجوم الروسي على مولدافيا كان في تشرين الأول ١٨٠٦، بينما جاء الرد العثماني على الروس بإعلان الحرب في السابع والعشرين من كانون الأول ١٨٠٦، والسؤال الذي يطرح نفسه ما الذي آخر الحكومة العثمانية كل تلك المدة عن إعلان الحرب وهي على يقين من الحصول على دعم ومساندة فرنسا؟ ثم لماذا لم تتخذ مؤقفاً مماثلاً ضد بريطانيا التي كانت تؤيد روسيا؟

الحقيقة ان السفير البريطاني اربوثنوت كان على إتصال مستمر مع وزير الخارجية العثمانية غالب أفندي منذ قيام روسيا بإحتلال مولدافيا وحتى إعلان الحرب، إذ كان يأمل أن تسوى الأمور بإنسحاب الروس من هذه الإمارة، تفادياً لوقوع حرب روسية عثمانية لا تنسجم مع المصالح البريطانية فمن جانب فيها تبديد للجهد العسكري الروسي الذي تحرص بريطانيا على توجيهه ضد نابليون فقط، ومن

---

(١) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٣٥١.

(٢) خوري ، المصدر السابق، ص٢٢٣.

(3) Creasy, History of the Ottoman…, P. 366;
خوري ، المصدر السابق، ص٢٢٣.

(4) Puryear, Op , Cit., P. 123 ; Kinross , Op , Cit., P. 430;
حسون، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية...، ص١٥٥ – ١٥٦.

جانب آخر اذا ماتمكن الروس نتيجة ذلك الجهد الحربي من الحاق الهزيمة بالعثمانيين سوف يحصلون على مكاسب تتعارض حتماً مع المصالح البريطانية[١]، ولعل هذا ما يفسر تأخر الرد العثماني في إعلان الحرب.

أما موقف الحكومة العثمانية من بريطانيا فيمكن ان يعزى الى وجود فئة من الوزراء العثمانيين المناصرين لبريطانيا، وبخاصة وزير الخارجية غالب أفندي، الذي كان يكن كرهاً شديداً للسفير الفرنسي سبستياني حتى انه كان يصفه بـ ((وزير السلطان))، وان هذه الفئة كانت تخشى هجمات الأسطول البريطاني على اسطنبول ومنطقة المضائق، بعد الأخذ بالحسبان ان سفناً بريطانية أخذت تتحشد قرب مضيق الدردنيل[٢]. و يمكن أن يفسر موقف الحكومة العثمانية من بريطانيا بأنه محاولة للتفريق بين بريطانيا وروسيا، فبدلاً من مواجهة الدولتين في آن واحد، تكون هناك مواجهة لروسيا وحدها، مستغلة انشغال الأخيرة في حربها ضد نابليون في أوربا، وضد بلاد فارس في آسيا[٣].

وآخر ما يمكن ان يضاف من تفسيرات للموقف العثماني، أن الحكومة العثمانية وعلى الرغم مما حدث من تأزم في علاقاتها مع بريطانيا، لكن ليس ثمة شك في رغبتها في الإبقاء على علاقاتها القائمة مع بريطانيا، ودلالة ذلك استجابة الحكومة العثمانية للطلب البريطاني بعزل محمد علي باشا[٤] عن ولاية مصر، وتوليته بدلاً

---

(1) Puryear, Op , Cit., P. 123.

سرهنك، اسماعيل، حقايق الأخبار عن دول البحار، ج١، المطبعة الأميرية ببولاق، (مصر، ١٨٩٤)، ص٦٥٢.

(٢) العبيدي، أحمد،المصدر السابق، ص١١٠ – ١١١.

(٣) كانت روسيا في حالة حرب مع فارس منذ عام ١٨٠٤ على أثر محاولة الروس السيطرة على بعض الأقاليم الفارسية، وقد أستمرت تلك الحرب حتى عام ١٨١٣ .

Ivanov, M .C. Histori Irana, (Moscow , 1952), p 131 – 135 ;

أحمد، كمال مظهر، من تأريخ الحروب الإيرانية الروسية، بغداد ١٩٨٤، ص٢٨ – ٦٢.

(٤) ولد في إحدى جزر بحر ايجة في عام ١٧٦٩، ودخل الى مصر ضمن الكتيبة الألبانية التي جاءت لمحاربة الفرنسيين في عام ١٧٩٨، أصبح قائد هذه الكتيبة في عام ١٨٠١، وبعد خروج البريطانيين من مصر في عام ١٨٠٣، استطاع بعدد من المحالفات الناجحة، وضرب الأحزاب المملوكية بعضها ببعض ان يسيطر على مقاليد السلطة في عام ١٨٠٥ للمزيد من التفاصيل يراجع:

Armajani, yahya, Middle East past and present, (New Jersey, 1970), PP. 211 - 212;

ابراهيم، شحاته عيسى، القاهرة،(دار الهلال، القاهرة، د. ت)، ص٢٢٢ – ٢٢٣.

عنها ولاية سلانيك، بعد ان لمست منه بريطانيا ميله للفرنسيين[١] وإذا كان محمد علي قد بقي في منصبه بموجب الفرمان الصادر في السابع من تشرين الثاني ١٨٠٦، لكن هذا لم يأت بسبب رضا الحكومة العثمانية أو بريطانيا عليه، وإنما بسبب تمسك الأهالي به[٢]

(١) الصياد، سامي صالح محمد، الموقف البريطاني من سياسة محمد علي باشا في اليونان وبلاد الشام، ١٨٢١ -١٨٤١، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠١، ص٢٣.

(٢) ورد في كتاب التماس الأهالي والعلماء الى الباب العالي ((أن الكافة من الخاصة وعامة من الرعية راضية بولايته وأحكامه وعدله))، غرايبة، المصدر السابق، ص٧٦ ؛ علي، علي شاكر، تجربة محمد علي باشا (١٨٠٥ – ١٨٤٠)، مجلة افاق عربية، العدد التاسع، ايلول، (بغداد، ١٩٩٣)، ص٢١.

الفصل الرابع

تأرجح السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية ١٨٠٧-١٨٠٩

أولاً. انحسار السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية آذار ١٨٠٧ – أيلول ١٨٠٧:

١. الإجراءات البريطانية العسكرية في المضائق العثمانية:

استجابة لما ورد في مذكرة السفير البريطاني في اسطنبول، المؤرخة في الخامس عشر من أيلول ١٨٠٦، التي سبقت الإشارة إليها، فقد أرسل وزير الحربية وندهام Windham في الحادي والعشرين من تشرين الثاني ١٨٠٦ الى الجنرال فوكس Fox القائد العام للقوات البريطانية في جزيرة صقلية مذكرة ابلغه فيها بـ ((أن بعض التصرفات التي صدرت عن الباب العالي أخيراً جعلت اتخاذ إجراءات سريعة وحاسمة تجاه الحكومة العثمانية أمراً ضرورياً ولا غنى عنه، ولهذا فقد ُكلفت بإبلاغكم إن أوامر صدرت إلى الأدميرال كولنجود Admiral LordCollingwood في وزارة البحرية، لإرسال قوة كافية من سفن حضرة صاحب الجلالة تحت قيادة ضباط ذوي مقدرة وتجارب، وإعطائهم تعليمات بأن يتقدموا دون اضاعة لحظة واحدة من الوقت الى مضائق اسطنبول، حيث يتخذون موضعاً يتيح للأسطول ممارسة أعمال عدائية ضد اسطنبول في حالة فشل المساعي التي كُلف مستر اربوثنوت القيام بها لدى الحكومة العثمانية))(١).

قادت التطورات التي شهدتها الدولة العثمانية مطلع عام ١٨٠٧ الى اقناع الحكومة البريطانية بالتحذيرات التي اسداها السفير اربوثنوت، فبعد غلق الدولة العثمانية لمضائقها امام السفن الأجنبية طيلة مدة حربها مع روسيا، فقد طلب غالب أفندي وزير الخارجية العثمانية في الثالث عشر من كانون الثاني ١٨٠٧من السفير البريطاني أبعاد الأسطول البريطاني المرابط بالقرب من مدخل الدردنيل بقيادة توماس لويس وجعل مرساه عند جزيرة تيندوس(٢).

---

(١) نقلاً عن: الشناوي، المصدر السابق، ص٢٠٨ .

(٢) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج٢، ص٣٥١ .

فسرّت الحكومة البريطانية الخطوات العثمانية بأنها مكملة لسلسلة حلقات الحصار القاري الذي فرضه نابليون سواء اكان ذلك بالتحالف(١)، ام بواسطة مراسيمه التي اطلقها من برلين في تشرين الثاني ١٨٠٦(٢) او من ميلان في كانون الثاني ١٨٠٧ لمحاصرة التجارة البريطانية(٣) وعليه فبتلك الإجراءات العثمانية فقد اغلقت جميع منافذ التجارة البريطانية من سواحل البلطيق إلى سواحل اسطنبول(٤).

لذا قررت الحكومة البريطانية كسر الطوق الذي فرضه نابليون، فعلاوة على إصدارها لمراسيمها المضادة في كانون الثاني ١٨٠٧(٥)، فقد أصدرت أوامرها إلى الأدميرال جون دوكوورث Admiral sir John Dukworth أحد كبار ضباط البحرية في الثالث عشر من كانون الثاني ١٨٠٧ بالتوجه على رأس اسطول حربي الى منطقة المضائق للقيام بمناورة بحرية في شواطيء البسفور قبالة العاصمة اسطنبول، بهدف ايصال رسالة تحذير للحكومة العثمانية عن نية جدية في قيام الأسطول الحربي البريطاني بعمل عسكري، و طلبت الحكومة البريطانية من الأدميرال تسليم الحكومة العثمانية مذكرة ضمنتها مطالب اساسية للحيلولة دون القيام بعملية عسكرية، ومنها قطع العلاقات مع فرنسا، ومغادرة السفير الفرنسي لإسطنبول وأن يتم تسليم الأسطول العثماني في منطقة المضائق للبريطانيين،

---

(1) Puryear , op , cit , p125 .

(٢) بموجب هذه المراسيم فُرضت حالة الحصار على الجزائر البريطانية بتحريم كل انواع المعاملات التجارية بينها وبين الموانيء التي تخضع لحكم نابليون اولنفوذه او المتحالفة معه . فأصبحت السفن التي تدخل بالرغم من ذلك عرضة للمصادرة.

Brace .M. Richard , The Making of Modren world , (New york , 1960) , P. 451 –452;

جرانت وآخرون، المصدر السابق، ص٢٢٥ .

(٣) تقضي مراسيم ميلان بمصادرة وتجريد أي سفينة تتاجر مع بريطانيا من جنسيتها وأعتبارها حليفة لبريطانيا .

R.B.Mowat , Europe and the Modren world 1492 – 1918 , (oxford , 1929) , p577.

(٤) العبيدي، المصدر السابق، ص١١٢ .

(٥) الشويلي، المصدر السابق، ص٣٤ .

وقد اتهمت بريطانيا فرنسا في هذه المراسيم بخروج الأخيره عن تقاليد الحرب، وأعلنت كذلك انه ما دام الأتجار مع اوربا محرماً على بريطانيا فليكن محرماً على الدول المحايدة كذلك . جرانت المصدر السابق، ص٢٢٥.

وإيقاف العمل بالإستحكامات العثمانية في الدردنيل لقاء الحماية البريطانية، ويتخلى الباب العالي عن ولايتي ولا شيا وملدافيا لروسيا،فضلاً عن إعادة النظر في العلاقات البريطانية – العثمانية التي يجب ان تبنى على ثوابت ستراتيجية تخدم مصالح الطرفين[١] وطلبت الحكومة البريطانية من دوكوورث أن يرفق بمطالبيه ((تهديداً بتدمير فوري للمدينة))[٢] وأمهلت المذكرة الحكومة العثمانية مدة أربع وعشرين ساعة للرد على تلك المطالب[٣].

تضمنت الخطة البريطانية في حالة رفض الحكومة العثمانية للمطالب البريطانية أن يقومجون دوكوورث بدراسة الموقف اولاً وتقدير طبيعة الأجراء العسكري أما بقصف اسطنبول بشكل مستمر او بتدمير السفن العثمانية المتواجدة في منطقة المضائق أيهما أمكن[٤] وثانياً يقوم دوكوورث بتبليغ هذا الرفض الى الجنرال فوكس في صقلية، ليسارع الأخير الى ارسال جزء من قواته الى الإسكندرية لاحتلالها وإتخاذها نقطة انطلاق للعمليات العسكرية البريطانية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط ضد فرنسا والدولة العثمانية[٥].

وعلى الرغم من أن تلك الخطة قد وضعت بالتنسيق مع قيادة الأسطول الحربي الروسي، إذ تعهد الروس من جانبهم بإرسال أربع سفن حربية متواجدة في الجزر الأيونية للانضمام الى الأسطول البريطاني عند الشروع بمهاجمة المضائق، إلا أن الحكومة البريطانية أمرت الأدميرال دوكوورث بالتوجه الى منطقة المضائق دون أنتظار وصول السفن الروسية كسباً للوقت[٦].

وفي الوقت الذي كان فيه جون دوكوورث يتحرك بإتجاه المضائق العثمانية، فقد بذل السفير البريطاني اربوثنوت خلال شهر كانون الثاني ١٨٠٧ جهوداً مكثفة ومساعي حثيثة لدى الحكومة العثمانية،فتمكن من تعطيل جهود العثمانيين من تحصين المضائق، بذريعة إمكانية تسوية الخلاف الروسي العثماني عن طريق

---

(1)Puryear , op , cit , p126-127 ; Jonquiere , op , cit , p 327;

سرهنك، المصدر السابق، ص٦٥٤؛ طقوش، المصدر السابق، ص٣٢٢.

(٢) العبيدي، احمد، المصدر السابق، ص١١٣.

(٣) سرهنك، المصدر السابق، ص٦٥٤ .

(4)Puryear , Op. Cit., p127 .

(5) Ghorbal , Op. Cit., P. 241 ;

الشناوي، المصدر السابق، ص٢٠٨.

(٦) Puryear , Op. Cit., p127.

الصلح[١] هذا من ناحية ومن ناحية ثانية حاول اقناع الدولة العثمانية بعدد من المقترحات منها تجديد الحلف البريطاني العثماني الذي الغته الحكومة العثمانية من جانب واحد، وإذا ما حصلت الموافقة على ذلك فإن بريطانيا راغبة بإضافة بندً جديدً ينص على السماح للسفن البريطانية بالمرور في منطقة المضائق، وحاول إقناعهم أيضاً بالتخلي عن ولايتي ولاشيا ومولدافيا لصالح روسيا مقابل تعهد الحكومة البريطانية بإيقاف الحرب الروسية العثمانية، وبعكسه سوف تضطر بريطانيا الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الدولة العثمانية وستعزز اسطولها المرابط قرب جزيرة تيندوس بأسطول آخر ليقوما بالتنسيق مع الأسطول الروسي بمهاجمة اسطنبول[٢].

ويبدو أن السلطان سليم الثالث قد عدّ الأذعان للضغوط البريطانية مسألة مذلة له ولدولته، فرد على تلك المقترحات بأن قلد السفير الفرنسي سبستياني والقائم بالأعمال روفين أوسمة رفيعة في السادس والعشرين من كانون الثاني ١٨٠٧ تقديراً لجهودهم في الأشراف على عمليات تحصين المضائق[٣]. الأمر الذي اثار استياء وغضب السفير البريطاني الذي غادر اسطنبول مع جميع افراد الجالية البريطانية على ظهر السفينة الحربية انديمون Endymion ليلة التاسع والعشرين منه، ووصل الى جزيرة تيندوس في الحادي والثلاثين منه[٤].

وما ان أبلغ السفير البريطاني اربوثنوت اخبار فشل مساعيه لدى الباب العالي الى الأدميرال دوكوورث الذي وصل أيضاً الى جزيرة تيندوس، حتى قرر الأخير التحرك بأتجاه المضائق في العاشر من شباط ١٨٠٧ على رأس اسطول مؤلف من احدى عشرة سفينة حربية[٥] وتمكن من عبور الدردنيل وبحر مرمره بعد تدميره لقوة بحرية عثمانية مؤلفة من ست سفن بقيادة القبودان حاجي صالح باشا[٦]

---

(١) سرهنك، المصدر السابق، ص٦٥٣ .

(2) Kinross, Op . Cit ,P. 429-430; Ghorbal, Op .Cit , p241-242;
العبيدي، احمد، المصدر السابق، ص١١٤.

(3) Puryear , Op. Cit., p134.

(4)Anderson , The Eastern Question , P. 38; Ghorbal , Op . Cit, p243;
الشناوي، المصدر السابق، ص٢١٠ .

(٥) سرهنك، المصدر السابق، ص٦٥٣، بينما يشير يلماز اوزتونا بأن الأسطول البريطاني كان يتألف من ستة عشر سفينة، اوزتونا، المصدر السابق، ج١، ص٦٥٦ .

(٦) سرهنك، المصدر السابق .

ورسى بالقرب من العاصمة اسطنبول في التاسع عشر من الشهر ذاته دون مقاومة تذكر من العثمانيين(١).

قدم الأدميرال دوكوورث مذكرة حكومته التي يروم التفاوض حولها الى الحكومة العثمانية، إلا انه وجد أن العثمانيين يرفضون التفاوض، بل أشاروا عليه بأن أهالي اسطنبول ساخطون على البريطانيين لدرجة انه ((ليس هناك مكان آمن لعقد مؤتمر للتفاوض))(٢)، وفي غضون ذلك فقد أصدر السلطان سليم الثالث عدداً من القرارات منها اعدام فيضي افندي مسؤول حامية الدردنيل، وتحميله مسؤولية ماحصل من خرق بريطاني، و جرى تغيير في قيادة الأسطول العثماني بتعيين علي باشا الجزائرلي خلفا لحاجي صالح باشا الذي تم عزله(٣). ونتيجة لأستياء اهالي اسطنبول من البريطانيين فقد تطوع منهم في يوم واحد ما يقارب(٧٥٠٠) وزعوا على السفن والحاميات المحيطة بالمضيق والعاصمة(٤).

لقد لاحظ دوكوورث بأن أعمال التحصينات العثمانية قائمة بوتيرة عالية تحت اشراف السفير الفرنسي سبستياني شخصياً، إذ قام العثمانيون وبمساعدة ضباط فرنسيين من نصب نحو(٣٠٠) مدفعاً على طول مضيق الدردنيل(٥) لذا ساورته الشكوك بأن العثمانيين الذين أخذوا يماطلون ويسوفون بالرد ما فعلوا ذلك إلا لوجود خطة عثمانية بإشراف فرنسي للإيقاع بالأسطول البريطاني ومحاصرته في بحر

---

(1) Ghorbal ,op , cit, p 244; Jonquire , op , cit , p328 .

وتعود اسباب عدم المقاومة الى اولاً:- عدم وجود وقت كافي لتحصين مضيق الدردنيل بكيفية تمنع عبور الأسطول البريطاني، فريد بك، المصدر السابق، ص١٩١ . وثانياً: ان توقيت عبور الأسطول البريطاني كان مناسباً اذ تصادف يوم عبور الأسطول البريطاني للمضيق مع اول ايام عيد الأضحى، وهذا يعني ان اغلب جنود الحاميات كانوا في صلاة العيد .وثالثاً أمر السيد اربوثنوت بعد خروجه من اسطنبول ترجمانه بالتوجه الى جنق قلعة بحجة انه يريد استئناف المباحثات مع العثمانيين وبالفعل ارسلت الحكومة العثمانية من ينوب عنها لكن غرض السفير من هذه المباحثات للتمويه على العثمانيين وإيقاف العمل بالأستعدادات . سرهنك، المصدر السابق، ص٦٥٣ .

(٢)Ghorbal ,op , cit, p 245.

العبيدي، المصدر السابق، ص١١٦ ؛ الشناوي، المصدر السابق، ص٢١٠ .

(٣) جودت، تاريخ جودت، جلد ٨، ص٩٦ .

(٤) سرهنك، المصدر السابق، ص٦٥٤.

(٥) العبيدي، المصدر السابق، ص١١٦ . علماً ان سرهنك قد ذكر إن عدد المدفعية ١٢٠٠ مدفع وهو امراً مبالغاً فيه لكنه يدل على ضخامة الاستعدادات العثمانية. سرهنك، المصدر السابق، ص٦٥٤ .

مرمره، فقرر الإنسحاب، ويبدو ان دوكوورث كان مصيباً في تقديره للموقف العسكري، فحال شروعه بالإنسحاب من بحر مرمره اخذت المدفعية العثمانية تقصف سفن الأسطول عند قلعه غاليبولي Gallipoli، ولم يتمكن دوكوورث من الخروج من ذلك (المضيق الناري) على حد وصفه إلاّ في الثالث من آذار ١٨٠٧، بعد ان خسر سفينتين من اسطوله و(٦٠٠) من مقاتليه وعاد للرسو مرة أخرى قرب جزيرة تيندوس[١].

وعندما وصل الأسطول البريطاني بالقرب من جزيرة تيندوس، أنظم اليه الأسطول الروسي بقيادة سينيافين Senyavin في الثامن من آذار، واقترح القائد الروسي ان يعاود الأسطولان الكرة على المضائق بهجوم مشترك، لكن دوكوورث رفض هذا الاقتراح، معتقداً بعدم جدوى مثل ذلك الهجوم بعد ان وصلته اخبار عن موافقة السلطان سليم الثالث للسفن الحربية الفرنسية بالدخول الى الدردنيل والمرابطة من أجل حماية اسطنبول[٢]، فضلاً عن ارسال اسطول بحري عثماني مؤلف من ثماني عشرة سفينة حربية بقيادة علي باشا للمرابطة عند قلعة غاليبولي بهدف تعزيز دفاعات ذلك المضيق[٣]، وقد مضى دوكوورث في تنفيذ الخطة البريطانية المرسومة سلفاً، فأخبر الجنرال فوكس بفشل مفاوضاته مع الباب العالي، وأخذ الأخير يستعد لتنفيذ الصفحة الأخرى من تلك الخطة بالتوجه الى مدينة الإسكندرية واحتلالها، في محاولة لتعويض الفشل على ضفاف البسفور بنجاح على ضفاف النيل[٤].

---

(1) Miller , Op. Cit., p34; Shaw , Op. Cit., Vol. I , P. 273; Kinross, Op. Cit., p430 ; Marriott, Op. Cit., p176 ;

طقوش، المصدر السابق، ص٢٢٣ .

(٢) في العاشر من آذار وصلت رسالة نابليون الى سفيره في اسطنبول تحمل تعليماته له بأن يوضح للسلطان بأن السفن الفرنسية يمكن ان تتولى مهمة الدفاع عن المضائق، ويبدوا بأن السلطان قد سحره كلام نابليون إذ اقترح بأنه يفضل ان يرسل الفرنسيون أيضا سريتين من المدفعية، العبيدي، المصدر السابق، ١١٧-١١٨ .

(٣) سرهنك، المصدر السابق، ص٦٥٨ .

(4) Ghorbal , Op. Cit., p245 .

٣. الحملة البريطانية على الأسكندرية:

قطعاً لم يكن الهدف الرئيس من الحملة البريطانية على الإسكندرية اتخاذها قاعدة انطلاق لاحتلال مصر بأكملها كما فعل الفرنسيون عام ١٧٩٨، وإنما كانت جزءاً من مشروع سياسي للضغط على الحكومة العثمانية، للأبتعاد عن فرنسا، وفصم عرى التحالف بينهما، والانضمام إلى بريطانيا وروسيا(١) وما يؤيد ذلك ما ورد في المذكرة السرية التي بعثتها وزارة الحربية البريطانية الى الجنرال فوكس المؤرخة في الخامس والعشرين من نيسان ١٨٠٧، بأن الهدف من القيام بعمل عسكري في الإسكندرية هو محاولة لِـ ((اكراه الباب العالي على التخلص من نفوذ فرنسا وحمله على أعادة علاقاته مع بريطانيا العظمى وروسيا))(٢).

ومن الجدير بالذكر أن الحكومة البريطانية قد ادركت خطأ تقديرها للموقفين السياسي والعسكري حينما وافقت على الجلاء من مصر تنفيذاً لبنود صلح أميان المنعقد في السابع والعشرين من آذار ١٨٠٢، معولة على احتفاظها بجزيرة مالطا، بعد أن أخذ نابليون يصر على انسحاب البريطانيين من هذه الجزيرة مما زاد من قلق الحكومة البريطانية تجاه تطلعات فرنسا في البحر المتوسط والدولة العثمانية، إذ شعر البريطانيون ان الاحتفاظ بمالطا لوحدها لا يكفي لوقف التوسع الفرنسي بإتجاه الشرق(٣) وان انسحابهم من مصر ((لم يكن سوى تضحية قدموها دون مقابل)) (٤).

وانعكست مخاوف المسؤولين البريطانيين من المد الفرنسي المحتمل نحو مصر على كتاباتهم، ونجد ذلك على سبيل المثال لا الحصر فيما كتبه تابرنا Taberna الوكيل البريطاني في مصر الى الكسندر بول A.bull في مالطة في الثامن والعشرين من شباط ١٨٠٤ وهو يتحدث عن خطر الفرنسيين بقوله ((إذا

(1) Rifaat Bey. M. The Awakening of Modern Egypt,(London, 1961), P14; Ghorbal, Op. Cit., p244 ;

رزق، يونان لبيب وآخرون، تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى العام ١٩١٤(الدار البيضاء،١٩٨٠)، ص٢٢٣؛ السروجي،المصدر السابق، ص٣٥٦.

(٢) الشناوي،المصدر السابق، ص٢١١.

(٣) رفاعي،عبد العزيز، انتصار،مصر في رشيد ١٨٠٧،(دار القلم،القاهرة، ١٩٦٢)، ص٢٧.

(٤) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ٥٨٥.

شاء سوء الحظ ان يفلت هؤلاء من رقابة الأسطول البريطاني فأنهم لن يلقوا أية مقاومة في مصر))[١].

و كان لتقارير شارل مكالون دورها في دفع حكومة الإدارة الفرنسية لتوجيه حملتها الى مصر في العام ١٧٩٨، وكان لتقارير نظيره الميجور مسيت Misset التأثير ذاته[٢] وهو الذي ظل لا يرى طيلة السنوات الأربع (١٨٠٣ – ١٨٠٧) في أي تغيير يحدث ((في ميدان هذه الفوضى الضاربة أطنابها في مصر سوى مبرر لأن يطلب من حكومته اما ارسال جند بريطانيين او فرقاطة للتجول في مياه الإسكندرية)). بقصد اثارة فزع مسؤوليه حول غزو فرنسي محتمل لمصر، فقد عمد مسيت الى التأكيد لهم بأن والي مصر محمد علي قد ((اشتراه الوكلاء الفرنسيون))، الأمر الذي حفز أعضاء الحكومة البريطانية إلى التأكيد على أهمية القيام بعمل عسكري لمنع ذلك الغزو[٣].

لم يقف الأمر عند حدود هذه الأسباب، وإنما تتضح من نصوص تعليمات وزارة الحربية الصادرة في تشرين الثاني ١٨٠٦، إلى الجنرال فوكس، التي سبقت الإشارة اليها، مبررات اخرى للحملة البريطانية، تتمثل في رغبة الحكومة البريطانية دعم فئة من اصدقائها المماليك بزعامة محمد بك الألفى[٤] ليكون هؤلاء مرتكزاً تستطيع بريطانيا من خلاله تعزيز نفوذها في المنطقة او العمل على تقويض النفوذ الفرنسي فيها[٥]، حيث ورد في تلك التعليمات ((وليس غرض حكومة جلالة

(١) نقلاً عن: شكري،مصر في مطلع القرن التاسع عشر....،ج٢،ص٥٨٥.

(٢) السروجي، المصدر السابق، ص٣٥٧ ؛ الشناوي، المصدر السابق، ص٢١٣.

(٣) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ٥٨٥.

(٤) Rifaat, Bey, Op. Cit., p23.

كان محمد بك الألفي محط اهتمام البريطانيين حتى انهم اخذوه معهم الى لندن لحظة انسحابهم من مصر في آذار ١٨٠٣ وبقي هناك حتى شباط ١٨٠٤. سعيد،أمين، تاريخ مصر السياسي من الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ الى انهيار الملكية،القاهرة،(د.ت)، ص٤٨. وللتفاصيل حول سفرة الألفي يراجع: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج١، ص١٤٤ – ١٥٠. ويخطئ د. سليمان الغنام عندما يشير الى ان الألفي سافر الى لندن مرتين الأولى في العام ١٨٠٢ والثانية في عام ١٨٠٤، بل كانت سفرة واحدة غطت كل تلك المدة، الغنام، سليمان، سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا ١٨١١ -١٨٤٠، ط٢، (بيروت، ٢٠٠٤)، ص٢٧.

(٥) شبيكة، مكي، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي، بيروت،١٩٦٥،ص٢٦٢ . ومن الجدير بالذكر أن محمد بك الألفي، توفي قبل مجيء الحملة بأربعين يوماً دون علم حلفاءه البريطانيين.

الملك من تقرير هذا الأجراء فتح مصر، وإنما الإستيلاء على الإسكندرية فحسب لمنع الفرنسيين من وضع اقدامهم مرة اخرى في هذه البلاد، ولتمكين قوات جلالته الموجودة بالإسكندرية من إعطاء تأييدهم وحمايتهم لما قد يوجد من أحزاب في هذه البلاد قد تكون ذات رغبة صادقة في أن تكون لها علاقة ودية في كل الأوقات مع بريطانيا العظمى، ولذلك فأنه لا مناص عند أختيار قائد لهذه الحملة من بذل كل عناية ليس للتحقق من أنه صاحب مواهب عسكرية فحسب، بل وللتحقق كذلك من تمتعه بكل تلك المزايا التي تؤهله للقيام على خير وجه بما يعهد اليه من مهام مدنية وسياسية على جانب عظيم من الأهمية الأمر الذي تستلزمه حتماً طبيعة الخدمة المكلف بها))(١).

وطبقاً لهذه التعليمات فقد اصدر القائد العام للقوات البريطانية في صقلية بتشكيل حملة تتالف من(٥١٠٠)مقاتل وأناط قيادتها الى الجنرال ماكنزي فريزر Makenzie Fraser ، و زوده بأوامر صريحة تنص على أن هدف الحملة هو إحتلال الأسكندرية دون غيرها من البلاد المصرية، وعلى أثر ذلك ابحرت الحملة من مسينا في السادس من آذار ١٨٠٧(٢).

ومما يجدر ذكره، أن الأوساط السياسية في اسطنبول والقاهرة ومنذ شهر كانون الثاني ١٨٠٧ علمت أن البريطانيين يعتزمون ارسال حملة الى مصر، فقد كتب القنصل البريطاني في مصر (مسيت) إلى اربوثنوت من الإسكندرية في الثاني والعشرين من كانون الثاني بأنه علم بوصول فرمانين من السلطان سليم الثالث إلى محمد علي تضمن الأول منهما ضرورة التعاون مع القنصلية الفرنسية في القاهرة والتنسيق معها، أما الثاني فأمره فيه بأن يشرع بإقامة الاستحكامات التي تعزز من قدرة البلد الدفاعية(٣).

أما بالنسبة لمحمد على فلم يكن وضعه العسكري على ما يرام، بسبب الصراع القائم حينذاك بينه وبين المماليك الذين يسيطرون على الصعيد، مما حتم

Holt, P. Egypt and the fertile crescent 1516-1922 Apolitical History,(New York, 1966), p178.

(1)Ghorbal, Op. Cit., p246 ;

شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...،ج٢، ص٥٨٧.

(2)Rifaat Bey, Op. Cit., p23 ;

رفاعي، المصدر السابق، ص٣٣.

(٣) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...،ج٢، ص٦٠٠.

عليه أن يسعى للتوصل إلى اتفاق معهم يسد من خلاله الطريق أمام أي تحالف قد ينشأ بين البريطانيين والمماليك، فينتج عن ذلك أن يقاتل في جبهتين في الشمال والجنوب، لذا أوفد ثلاثة من مشايخ الأزهر للمفاوضة مع المماليك، أما المماليك فقد ارتأوا عقد الصلح والتريث لحين التعرف على نوايا بريطانيا، فإذا تأكد لهم تفوق البريطانيين في اتمام استيلائهم على الإسكندرية، فسوف يعمدون إلى التنسيق مع الجانب البريطاني ويزحفون بأتجاه القاهرة وقد تمخض عن المفاوضات التوصل الى صلح نص على احتفاظ المماليك بالحكم في الصعيد شرط قيامهم بدفع الضرائب لحكومة القاهرة[(١)].

وفي إطار حملة الجنرال فريزر، ففي الثالث عشر من آذار ١٨٠٧ وصلت السفينة الحربية البريطانية ويزارد Wizard الى شواطيء الإسكندرية في مهمة استطلاعية للتعرف على الحالة في الثغر، ودون ان يعلم البريطانيون السلطات العثمانية في الإسكندرية بأسباب حضورها، وطلب قائدها مقابلة القنصل البريطاني وأبلغه بقرب وصول الحملة[(٢)]، وفي السادس عشر من آذار وصلت الى شواطيء الإسكندرية الفرقاطة الحربية Tiger، حيث قام ضابطان من طاقمها بمقابلة امين أغا الحاكم العثماني في الإسكندرية وبحضور القنصل البريطاني، وطلبوا منه ابداء التعاون لدخول المدينة بذريعة حمايتها من هجوم فرنسي وشيك مقابل رشوة مالية كبيرة[(٣)]، وما ان اكتمل وصول قطع الأسطول البريطاني، المؤلف من خمس وعشرين سفينة حربية في السابع عشر من آذار حتى وجدت القوات البريطانية الطريق ممهداً للزحف بإتجاه الإسكندرية في اليوم التالي، حيث توجه قسم منها لتأمين جهة أبي قير شرقي المدينة، بينما توجهت القوة الرئيسة بإتجاه المدينة وبعد مفاوضات صورية بين قائد الحملة وأمين أغا دامت ليومين، انتهت باعلان الأخير

---

(1)Rifaat Bey, Op. Cit., p23 -24 ;

الرافعي، عبد الرحمن، عصر محمد علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١، ص٥٣؛ الرفاعي، المصدر السابق، ص٤٧ – ٥٠. وعلى اثر ذلك الأتفاق فقد قفل محمد علي عائداً الى القاهرة ودخلها ليلة ١٢/١١ نيسان أي بعد اسبوع من استيلاء البريطانيين على الأسكندرية. شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٦٣٢، وليس كما يشير الغنام الى أن محمد علي بقي في الصعيد الى ما بعد معركة الحماد التي سنقف عليها لاحقاً. الغنام، المصدر السابق،ص ٢٩.

(٢) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٦١٢.

(٣) رفاعي، المصدر السابق، ص٣٧-٣٨.

بأستسلام حامية الإسكندرية المؤلفة من ٣٠٠ جندي وتسليم المدينة للبريطانيين في العشرين منه(١) .

وقد تضمنت شروط التسليم سبع مواد، نصت المادة الأولى منها على عدم التعرض للسكان وأعراضهم ودينهم واموالهم، وأجبرت المادة الثانية أمين اغا وقائد الأسطول العثماني في الإسكندرية صالح أغا على التخلي عن فرقاطتين استولى عليهما البريطانيون عنوة، وألزمت المادة الثالثة جميع موظفي الحكومة العثمانية من مدنيين وعسكريين بمغادرة الإسكندرية مع كامل اسلحتهم وتجهيزاتهم إلى احد الموانيء العثمانية شريطة عدم التعرض الى القوات البريطانية، في حين سمحت لحاكم المدينة وقائد الأسطول العثماني بالمغادرة الى الجهة التي يرومونها، وخولت المادة الرابعة القوات البريطانية الاستيلاء على جميع السفن والمتعلقات العثمانية في الإسكندرية، واستثنت منها السفن التجارية الخاصة بالرعايا العثمانيين، وأطلقت المادة الخامسة عفواً عاماً عن سكان الأسكندرية، وأقرت المادة السادسة بعدم تفتيش المنازل من قبل القوات البريطانية فيما أوجبت المادة السابعة العثمانيين بتسليم قلعتي كريتات وكفاريلي للبريطانيين(٢).

وحينما علمت الحكومة العثمانية بإستيلاء الأسطول البريطاني على الإسكندرية عدت ذلك عملاً عدائياً، لكنها كانت عاجزة عن القيام بفعل حقيقي يمكنها من استعادة هذه المدينة، بسبب حصار الأسطول الروسي لمضيق الدردنيل، فأكتفت بالطلب من يوسف باشا والي صيدا بإرسال الإمدادات لقواتها هناك عن طريق صور(٣).

بعد تسليم الإسكندرية فقد آثر الجنرال فريزر الإلتزام بتعليمات حكومته التي أكدت عدم توسيع نطاق العمليات العسكرية اكثر من ذلك، لكن هذا الامر تقاطع مع رغبة القنصل البريطاني مسيت الذي اعتقد بضرورة السيطرة على مصر بأكملها، ولذا لم يكد يمر يومان على احتلال الإسكندرية حتى بعث مسيت في الثاني

---

(2) Dowell, Henry, The founder of modern Egypt A study of Muhammad Ali, (Cambridge, 1931), p23 ; Ghorbal,Op. Cit., p24; Holt, Op. Cit.,p178;
يانج، جورج، تاريخ مصر في عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل باشا، تعريب علي أحمد شكري، (المطبعة الرحمانية، د.ت)، ص٦٩ -٧٠ ؛ شبيكة، المصدر السابق ص، ٢٣٦.

(٢) للأطلاع على نصوص شروط تسليم الأسكندرية يراجع: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...،ج٢، ص٦٠٥؛ رفاعي، المصدر السابق، ص٣٩.

(٣) سرهنك، المصدر السابق، ص٦٥٦.

والعشرين من آذار كتاباً إلى المماليك يدعوهم فيه إلى تنسيق العمليات العسكرية بين الطرفين طالباً إليهم ((أن يبعثوا برسول يأتمنونه ليملي عليه مطالبهم))(١).

ثم كتب إلى الجنرال فريزر في الثالث والعشرين من آذار محذراً من خطورة الموقف التمويني للحملة بسبب قلة المواد الغذائية في الإسكندرية فان معالجة ذلك من وجهة نظره تتم عبر توسيع العمليات والسيطرة على مناطق الرحمانية ورشيد ودمياط ((فعندما سلمت الإسكندرية إلى الجيش الذي تحت قيادتكم كانت كميات القمح الموجودة لا تكاد تكفي سكانها لمدة أسبوعين، ولما كانت الرياح المعاكسة قد الزمت النقالات على البقاء في خليج ابي قير، فقد تعذر على القومسير العام – المشرف على تموين الجيش – ان يحصل على إمدادات من الأسطول، وأضطر لذلك الى اخذ جزء من القمح المخصص اصلاً لاستهلاك المدينة، وكان بشيء من الصعوبة ان حصل من اللحم على مايكفي الجند لمدة يوم واحد فحسب، وبناءً عليه فلن تنقض ايام قليلة حتى يجد الإسكندريون انفسهم وقد حرموا من غذائهم، وسوف لا يجد الجيش مناصاً من الاعتماد في غذائه على القديد وهو غذاء غير صحي، وعلى ذلك وبسبب هذه الظروف أجد لزاماً علي أن ألح عليك في ضرورة احتلال مدينة رشيد فوراً، وكذلك موقع الرحمانية، فمن الأولى يصدر القمح والأرز الى هذا الميناء، ثم بإستيلائك على الرحمانية تصبح لك السيطرة على اقليم البحيرة الذي يمون الإسكندرية بالشعير والأغنام...))(٢)، كما أكد مسيت للجنرال فريزر بأن المماليك لن يتحركوا لمساعدة القوات البريطانية من الصعيد إذا لم يشاهدوا توسعاً في النشاط العسكري البريطاني(٣)، ولجأ مسيت إلى أسلوب تحريض بعض أعيان الإسكندرية لمقابلة الجنرال فريزر، لأجل إقناع الأخير بالقلق

---

(1)Ghorbal, Op. Cit., p248 ;

رفاعي، المصدر السابق، ص٤٠.

(3) Ghorbal, Op. Cit., p248 ;

شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٦٣٤.

(٣) رفاعي، المصدر السابق، ص٥٦.

الذي أخذ يساورهم جراء نقص المواد الغذائية[١]، وفي غضون ذلك وصل أسطول دوكوورث إلى الإسكندرية، الأمر الذي عزز موقف مسيت أمام الجنرال فريزر[٢].

وإزاء هذه الضغوط كتب فريزر الى وزارة الحربية البريطانية في السابع والعشرين من آذار انه سوف يقوم بتوسيع العمليات العسكرية ثم أسند الى الجنرال واكوب Wachope مهمة الأستيلاء على رشيد بقوة قوامها(١٤٠٠)جنديا[٣]، وفي التاسع والعشرين منه اتمت القوات البريطانية استيلائها على مدينة رشيد، بعد ان انسحب منها حاكمها العثماني علي السلانكلي ودخلتها القوات البريطانية دون قتال[٤].

وقد برر حاكم مدينة رشيد انسحابه منها بعدم امتلاكه للقوة العسكرية الكافية للوقوف بوجه البريطانيين، إذ لم يتجاوز عدد قواته عن (٤٥٠ – ٥٥٠)جندياً عدا النقص الكبير في الأسلحة والذخيرة التي تمكنه من ادامة زخم المواجهة العسكرية[٥]، لكنه لما شاهد انشغال القوات البريطانية في المدينة، وعدم قيامها بتعقبه شن هجوماً معاكساً فاجأ فيه القوات البريطانية التي انتشرت في الشوارع والحارات الضيقة بنوع من القتال لم تعهده من قبل، وكبدها خسائر جسيمة بلغت نحو (١٢٠)قتيلاً و(٢٥٠)جريحاً و(١٢٠)أسيراً فضلاً عن مقتل قائد الحملة الجنرال واكوب، وجرح نائبه الجنرال ميد Meed الذي اوعز بالانسحاب من مدينة رشيد[٦].

وفي السادس من نيسان نقل فريزر الى وزارة الحربية البريطانية خبر تلك الكارثة في كتاب القى فيه تبعة ماحدث على عاتق القنصل مسيت، ولما كانت هزيمة رشيد ((ضربة قاسية جدا وغير متوقعة)) على حد قول الجنرال فريزر ومن

---

(1) Ghorbal, Op. Cit., p249;

الشناوي، المصدر السابق، ص٢١٣.

(٢) ظل دوكوورث في ألأسكندرية حتى يوم ٢٩ آذار حيث ترك قسم من اسطوله تحت قيادة الأدميرال توماس لويس وتوجه الى صقلية، شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٦٣٥.

(3) Dodwell, Op. Cit., p24.

(٤) جوان ادوار، المصدر السابق، ص٣٥٣.

(٥) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٦٤٢.

(6) Dodwell, Op. Cit., p24- 25 ; Ghorbal, Op. Cit., p249

جوان، المصدر السابق، ص٣٥٣ – ٣٥٥.

المحتمل أن تؤثر على مسألة بقاء القوات البريطانية في الإسكندرية نفسها[١]، فلم يكن من المنتظر ان يرضى الأخير وسائر قادةالجيش بما حل بسمعة الجيش البريطاني، لذا قرر في السابع من نيسان ١٨٠٧ ارسال حملة جديدة الى رشيد مؤلفه من(٢٥٠٠)مقاتل عهد بقيادتها الى الجنرال ستيوارت Stewart، وأرتأى ايضاً بأن يشرف شخصياً من على ظهر السفينة الحربية كانوب Canop في خليج ابي قير على سير العمليات العسكرية[٢].

كانت خطة الجنرال فريزر تقضِ بفرض الحصار على مدينة رشيد، وإجبار حاكمها على التسليم دون إقتحام، فضلاً عن استغلال عامل الوقت لحين الوصول المفترض لقوة المماليك، إذ طلب الجنرال فريزر منهم في الأول من نيسان ضرورة المشاركة الى جانب الجيش البريطاني في العمليات العسكرية القادمة، لكن المماليك فضلاً عن وقوعهم تحت تأثير هزيمة البريطانيين، فقد كانوا حذرين من الاستجابة للطلب البريطاني حتى يتأكد لهم استيلاء القوات البريطانية على المدينة وهزيمة محمد علي[٣].

ان مدة الحصار الذي فرضه الجنرال ستيوارت على مدينة رشيد التي استمرت اثني عشر يوماً قد ساعدت محمد علي على القيام بالاستعدادات الضرورية للمواجهة، وكانت خطة محمد علي ترمي، الى ارسال المزيد من القوات الى رشيد، فأرسل فرقتين احدهما وتضم(٤٠٠٠)جنديا من المشاة بقيادة طبوز اوغلي باشا والثانية من الفرسان وتضم(١٥٠٠)فارسا بقيادة حسن باشا، وأصطدمت هاتان الفرقتان بالقوات البريطانية في قرية الحماد بالقرب من مدينة رشيد بمعركة فاصلة في الحادي والعشرين من نيسان، حقق خلالها جيش محمد علينتصاراً حاسماً تكبد فيها البريطانيون خسائر فادحة بلغت نحو(١٤٠٠) بين قتيل وجريح بالأضافة الى أعداد من الأسرى بينهم(٣٨) ضابطاً[٤].

---

(١) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٦٤٧.

(2) Ghorbal, Op. Cit., p 250.

رفاعي، المصدر السابق، ص٦٩.

(٣) للتفاصيل حول موقف المماليك يراجع: شكري،مصر في مطلع القرن التاسع عشر...،ج٢، ص٦٨٤ – ٦٩٢.

(٤) الرافعي، عصر محمد علي...، ص ٦٤ – ٧١؛ شبيكة، المصدر السابق، ص٢٧٠ -٢٧٢؛ جوان، المصدر السابق، ص٣٥٢ – ٣٦١.

وبعد انتهاء المعركة كتب فريزر الى الجنرال فوكس في الرابع والعشرين من نيسان أنه ((بسبب هذا الفشل الى جانب الفشل الذي سبقه قد صارت تتزايد حراجة موقفنا يوماً بعد يوم، ومرد ذلك الى النقص العظيم الذي حدث في قواتنا، ثم الىمايكاد يكون مقطوعاً به تماماً من وقف كل الإمدادات والمؤن اللازمة لجنودنا ولأهل الإسكندرية، على يد العدو الذي نزل بأعداد كبيرة من القاهرة الى هذه الجهات...)) و انه ليس لديه من النقود وهي الوسيلة الوحيدة للحصول على الإمدادات ، وهو يشك حتى عند وصول هذه النجدات إليه أن في أستطاعته بسبب ماعليه أن يواجه من صعوبات أخرى منوعة الاحتفاظ بالإسكندرية(١).

ما أن تسلم الجنرال فوكس في الثالث عشر من آيار رسالة الجنرال فريزر إلا وأستجاب دون انتظار أية تعليمات من حكومته بإرسال النجدات من صقلية، فتم الإيعاز للفرقاطة هايند Hind بالتوجه الى الإسكندرية، حيث وصلت في الرابع والعشرين منه، و أرسل الميجر شربروك Sherbrooke على رأس قوة قوامها (١٤٢٥)جندياً لتعزيز القوات هناك، فوصل المدينة في التاسع والعشرين منه، وبعد هذه الاجراءات كتب فوكس الى حكومته خطاباً أخبرها فيه بسوء الموقف العسكري البريطاني في مصر، والحق بذلك الخطاب صور من تقارير فريزر التي كتبها في السادس والرابع والعشرين من نيسان ووصلت الى الجنرال فوكس في الثالث عشر من أيار(٢).

كانت لندن وقتذاك قد شهدت تغيراً وزارياً، حيث سقطت وزارة وليم كرنفيل في أواخر أذار، وتشكلت وزارة جديدة برئاسة الدوق بورتلاند Portland تولى فيها كاسلريه Casellreh وزارة الحربية، وكان الأخير يرى بأن وجود جيش الجنرال فريزر منعزلاً في الأسكندرية لا يفيد سوى فائدة ضئيلة في المجهود الحربي في البحرالمتوسط. ومن الواجب أن يشترك هذا الجيش بدور إيجابي في العمليات التي تقتضيها أستراتيجية المحافظة على المواقع العسكرية البريطانية في البحر المتوسط وأهمها صقلية. ثم مواجهة جيش نابليون المرابط في الجزيرة الإيطالية، ورسم رؤية سياسية أستندت على تفتيت التحالف الفرنسي العثماني

(١) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر... ج٢، ص٧٢٨.
(٢) المصدر نفسه ، ج٢،.ص ٧٣٣، ٨١٠.

والسعي لحمل الحكومة العثمانية على توقيع معاهدة صلح مع روسيا، وأن تلتزم بالحياد إذا ما تعذر إقناعها بالانضمام الى بريطانيا وروسيا [١].

لذا ارتأى كاسلرية الإيعاز للجنرال فوكس في الخامس والعشرين من نيسان أرسال حملة جديدة من القوات المتواجدة في صقلية والإسكندرية الى الدردنيل، معللاً هذا الإجراء بأنه خطة أستباقية قبل أن يتمكن العثمانيون من اعادة تنظيم قواتهم بعد أنسحاب أسطول دوكوورث.لكنه عاد وتريث في ذلك بسبب ما تحدثت عنه تقارير أربوثنوت ودوكوورث أواخر نيسان من قيام العثمانيين وباشراف ضباط فرنسيين بإنشاء الاستحكامات والتحصينات في منطقة المضائق بصورة يتعذر معها على الجيش البريطاني أختراقها بسهولة، فكتب كاسلريه للجنرال فوكس في الثالث عشر من آيار مذكرة سرية استهلها بتوضيح مفاده أنه قد وصلته منذ تعليماته الأخيرة إليه في الخامس والعشرين من نيسان تقارير أربوثنوت ودوكوورث وتحوي تفاصيل مهمة وقال: ((أنه من الواضح أن الأتراك العثمانيين قد قاموا بتعزيز الأستحكامات الدفاعية على سواحل منطقة المضائق... وقد قاموا بهذه التعزيزات العسكرية تحت اشراف الخبراء الفرنسيين، و أن العثمانيين أستطاعوا حشد قوات كبيرة للدفاع عن أسطنبول مما يجعل أية عملية حربية أخرى عديمة الجدوى إلا إذا أستطاعت بريطانيا حشد قوات تفوقها عدداً وعدة وبشرط إن لا يؤثر حشدها على سلامة جزيرة صقلية))[٢].

واعتقد كاسلريه أن القوات المدافعة عن المضائق تفوق في حجمها القوات البريطانية المتواجدة في البحر المتوسط، حتى لو أنظمت إليها القوات الروسية المرابطة في جزيرة كورفو، لذا فقد قررت الحكومة البريطانية صرف النظر عن ارسال حملة أخرى الى منطقة المضائق، وارتأت ممارسة الضغط الأقتصادي بتشديد الحصار على موانئ الدولة العثمانية، في محاولة للتأثير على الأقتصاد العثماني وصولاً لرضوخ العثمانيين للمطالب البريطانية[٣].

لجأت الحكومة البريطانية الى وسيلة أخرى لممارسة ضغوطها السياسية على أسطنبول، إذ أصدر وزير الخارجية جورج كاننج George Canning في السادس عشر من أيار تعليماته الى أرثر باجت A. paget بالتوجه الى اسطنبول

---

(١) الشناوي، المصدر السابق، ص٢١٤.

(٢) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...،ج٢، ص٨١٢.

(٣) الشناوي، المصدر السابق، ص٢١٤.

والدخول في مباحثات غايتها النهائية اقناع الباب العالي بالصلح مع بريطانيا وروسيا، ونبذ ذلك النفوذ الفرنسي المتفوق (١).

ولما كان الأنسحاب البريطاني من الإسكندرية أحد وسائل المساومة التي يمكن من خلالها الضغط على الباب العالي، فـ((النكوص على اعقابنا الآن يطيح بالمفاوضات ويقضي عليها)) على حد تعبير باجت نفسه، لذا شدد كاسلريه على ضرورة إحكام القبضه على هذه المدينة فكتب الى الجنرال فريزر ((أنني أبلغكم أوامر جلالته لإبلاغ الجنرال فريزر بأن يقصر نشاطه بكل دقه ممكنة على إحتلال الإسكندرية العسكري... وتجنب أي مسلك قد يفضي الى زيادة المطالبه بإرسال الجند، وتجنب أي اجراء قد يعطل تنفيذ رغبة الحكومة البريطانية في سحب جيشها من مصر في أي وقت تشاء، سواء أجاء هذا كتنازل منها للباب العالي أم من أجل تادية خدمات عسكرية أخرى أكثر ضرورة)(٢).

بيد أن التقارير التي سبق وأن بعث بها الجنرال فريزر في السادس والرابع والعشرين من نيسان، وأرسل بهما الجنرال فوكس في الثالث عشر من آيار، وصلتا الى لندن في أوائل حزيران، وفي طيها أنباء الهزائم البريطانية في مصر، قد أحدثت تحولاً جذرياً في موقف الحكومة البريطانية تجاه حملتها في الإسكندرية(٣)، فاضافة على ماحوته هذه التقارير فقد تضمنت رسالة الجنرال فوكس ما يكشف ((أن الاحتفاظ بالإسكندرية في وجه الصعوبات التي يبدو أنها قائمة الآن، وإرسال جيش الى هذه البلاد يمكننا من الإستمرار في إمتلاكها بصورة تبعث على الإحترام وعلى درجة من القوة تكفي لاحتلال كل المواقع الضرورية لتأمين سلامتنا... يبدو لي أنه لا يمكن تحقيقه إلا إذا كان لدينا جيش من خمسة عشر الف رجل بينهم الف من الفرسان... ولكنني لا أكاد ارى ضرورة تلجأني الى بيان مقدار الضعف الكبير الذي سوف يلحقه بالجيش هنا [في صقليه] ارسال النجدات الى الإسكندرية))(٤).

إن اتخاذ قرار بارسال التعزيزات الاضافية الى مصر قد وضع الحكومة البريطانية في حرج شديد، إذ لم يكن من اليسير تأمين ذلك العدد الكبير من الجنود

---

(١) رفاعي، المصدر السابق، ص١٠٣ -١٠٤.

(٢) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....، ج٢، ص ٨١٨-٨٢٧.

(3) Ghorbal, Op. Cit., p255 ;

رفاعي، المصدر السابق، ص١٠٥.

(٤) نقلا عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر....،ج٢، ص ٨٢١ – ٨٢٢.

للإحتفاظ بالإسكندرية في وقت حتمت فيه الأوضاع السياسية والعسكرية في أوربا الإحتفاظ بصقلية، لذا وجد البريطانيون أنه من الحكمة سحب قواتهم من مصر لـ ((تحقيق أغراض وغايات أعظم أهمية... من التردي في مثل هذه البؤر)) على حد تعبير كاسلرية[١] فبعث الأخير الى الجنرال فوكس بأوامر قاطعة في الرابع عشر من حزيران جاء فيها ((تقولون ان النجدات التي بعثتم بها الى فريزر انما هي بالقدر الذي قد يمكنه من الإحتفاظ بالإسكندرية حتى تستبين رغبات جلالة الملك، لكنه حتى يتسنى احتلال جميع المواقع الضرورية لتأمين موقفنا في هذه البلاد لا مناص في رأيكم من استخدام جيش لا يقل عن(١٥٠٠٠)مقاتل بينهم(١٠٠٠)فارس لتحقيق هذه الغايات في الظروف الراهنة، ولكنه بالرجوع الى القوات البريطانية التي لدينا الآن في البحر الأبيض يتضح... أنه لا معدى عن الإختيار بين اخلاء مصر أو التخلي عن صقلية، ومن المستحيل الأحتفاظ بمصر وصقلية معاً في وقت واحد... وحيث ان هذا هو الوضع الحقيقي للمسألة... فإنني أبلغكم إرادة جلالة الملك وهي أن يتخذوا الإجراءات اللازمة لسحب الجنود البريطانيين من مصر والتنبيه عليهم بالعودة الى قواعدهم السابقة في صقلية))[٢].

---

(1) Ghorbal, Op. Cit., p256;.

شكري،مصر في مطلع القرن التاسع عشر...،ج٢، ص ٨١٥.

(٢) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٨٢٣.ومن الجدير بالذكر إن تعليمات كاسلرية وصلت الى صقلية في الحادي عشر من تموز، وقبل ذلك بيوم واحد تصادف ان وصلآرثر باجت اليها ايضاً متوجهاً لمفاوضة الباب العالي وفي اليوم ذاته حل الجنرال جون مور J.Muor محل الجنرال فوكس في القيادة العليا في صقلية، وكان جون مور من المؤيدين لعملية سحب القوات من الأسكندرية، وإيصال اوامر وزارة الحربية الى الجنرال فريزر بأسرع وقت ولما كان هذا الأمر يؤثر على مهمة آرثر باجت اذ يحرمه من ورقة ضغط على الباب العالي، لهذا فقد حاول آرثر باجتاقناع الجنرال مور بالتريث قليلاً انتظاراً لما تسفر عنه جهوده مع الباب العالي، إلا ان الجنرال جون مور وجد لزاماً عليه احترام التعليمات وكتب الى فريزر بأن ينهي احتلاله للإسكندرية، أما آرثر باجت فلم ييأس من جراء ذلك وأخذ يفاوض الجنرال مور ويكتب الى وزير الخارجية جورج كاننج وكاسلريه وقد تم التوصل الى رأي مفاده ترك الاوامر التي صدرت الى الجنرال فريزر تأخذ مجراها على ان الأنسحاب لن يتم إلا بعد ان يستنفذ آرثر باجت محاولته مع الباب العالي،ومن المهم القول ان آرثر باجت لم تفضي محاولته لأية نتيجة مع الباب العالي، ثم اخذ يكتب الى فريزر بأتمام الأنسحاب،كما سيأتي في محله.

Ghorbal, Op. Cit., P. 257-258 ;

مثلت الحملتين البريطانيتين بقيادة دوكوورث وماكنزي فريزر حقبة من تاريخ السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية، أسماها المؤرخون بـ((سياسة تخويف اسطنبول))(١) وبغية تقييم تلك الحقبة فلا نجد كلاماً يعلو على كلام الخبراء العسكريين المعاصرين لتلك الحملات ومن بينهم مايلز Miles الذي نشر تقريره لأول مره بين عامي ١٨٣٧ – ١٨٣٨ وجاء فيه ((إن وجه الغرابة في حملة دوكوورث إلى منطقة المضائق انها لم تكن مصحوبة بقوات برية، وإن الجيش البريطاني الذي أرسل إلى الإسكندرية لاحتلالهكان يجب توجيهه اصلاً وأساساً مع الأسطول البريطاني إلى منطقة المضائق وأسطنبول بدلاً من الإسكندرية، وان هذا هو وجه الخطأ الذي وقع فيه المخططون لحملة دوكوورث، فإن وجود جيش مع الأسطول كان يسدي اجل الخدمات للحملة البريطانية، لأن الجيش كان في استطاعته احتلال بعض النقط أو المراكز الأستراتيجية في منطقة المضائق بحيث تؤمن هذه المراكز انسحاب الأسطول، و أن وجود جيش بريطاني كان يفضي مزيداً من الأهمية والتأثير حين ظهر الأسطول في مياه البسفور تجاه اسطنبول وبخاصة إن المفاوضات التي كان مزمعاً إجراؤها كانت مفاوضات مسلحة))(٢).

اما الجنرال جون مور فقد انتقد حكومته بإرسالها حملة الجنرال فريزر لأن ((مهاجمة الأتراك في مقاطعتهم البعيدة، ليست الوسيلة التي يمكن بها التأثير عليهم كثيراً))(٣). وبعيداً عن هذه الرؤى المختلفة، فكل ما يمكن قوله ان سياسة التخويف التي انتهجتها الحكومة البريطانية تجاه الباب العالي لم تؤت ثمارها، بل على العكس فإنها عمقت الفجوة بين الطرفين، وعززت أواصر التقارب الفرنسي العثماني، مما

رفاعي، المصدر السابق، ص١٠٦ -١٠٧؛ شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...ج٢، ص٨٢٥ – ٨٣١. فدخل الجنرال فريزر بمفاوضات مع محمد علي انتهت بتوقيع اتفاقية تسليم الأسكندرية في الرابع عشر من ايلول ١٨٠٧.

Dodwell, Op. Cit., p26;

يانج، المصدر السابق، ص٧٠.

وقد نصت بنود الأتفاقية على جلاء القوات البريطانية في مدة اقصاها عشرة ايام وان تترك المعاقل العسكرية كما هي، وان يسلم المصريون للبريطانيين اسراهم، سعيد، تاريخ مصر السياسي..،ص ٤٩؛ الغنام،المصدر السابق، ص٢٩.

(١) الشناوي، المصدر السابق، ص٢٠٩؛ شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٥٩٦، ٨١٠، ٨١٢.

(٢) نقلاً عن: الشناوي، المصدر السابق، ص٢١٥.

(٣) نقلاً عن: شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...،ج٢، ص٨٧٠.

حفز بريطانيا على إعادة النظر في تلك السياسة في ضوء المتغيرات الجديدة التي بدأ يشهدها الموقف الدولي[١].

ثانياً. الاندفاع البريطاني تجاه الدولة العثمانية أيلول ١٨٠٧–كانون الثاني١٨٠٩.

أدرك البريطانيون ضرورة التخلي عن الأساليب العسكرية للضغط على العثمانيين وإبدالها بإستراتيجية جديدة قائمة على أساس التفاهم السياسي، بسبب التطورات التي بات يشهدها الموقف الدولي، فضلاً عن الفشل الذي منيت به القوات البريطانية في مصر.

١. تزايد النفوذ الفرنسي وأثره على السياسة البريطانية:

كان التطور الذي شهدته العلاقات الفرنسية – الفارسية في مقدمة المتغيرات التي رمت بضلالها على العلاقات البريطانية- العثمانية، فمن المعلوم ان بلاد فارس كانت تخوض حرباً ضد روسيا منذ عام ١٨٠٤، وقد عولت فارس على المساعدة البريطانية التي نصت عليها المعاهدة المعقودة بين البلدين في عام ١٨٠١، لكن في الواقع لم تعد بريطانيا متحمسة وقتذاك لتقديم مثل تلك المساعدات، لاسيما بعد زوال المبررات السياسية التي أدت إلى عقد مثل تلك المعاهدة المتمثلة في نظرها بوفاة زمان شاه[٢]حاكم افغانستان، الذي شكل وجوده آنذاك تهديداً خطيراً للهند، وإغتيال القيصر بافل الأول الذي أطاح بالمشروع الفرنسي الروسي لغزو الهند[٣]، بالإضافة إلى جلاء القوات الفرنسية عن مصر في عام ١٨٠١،فضلاً عن أن بريطانيا لم يكن من مصلحتها إعلان معاداتها لروسيا في ذلك الوقت لأهميتها في مواجهة مخططات فرنسا في أوربا[٤].

---

(١) رفاعي، المصدر السابق، ص١٠٧؛ السروجي، المصدر السابق، ص٣٥٧.

(٢) ثالث ملوك افغانستان من السلالة الدورانية، شكل تهديداً خطيراً على الممتلكات البريطانية في الهند في شمال الهند، حققت غاراته بعض النجاح في البنجاب في الفترة ١٧٩٦ – ١٧٩٧، وقدرت قواته مابين ٢٠٠٠٠ – ٣٠٠٠٠ من الفرسان و ٢٠٠٠٠ من المشاة و ٣٠ مدفع، ونتيجة لأزدياد خطره في خريف عام ١٧٩٨ وإحتمالية شنه هجوماً من قاعدته الرئيسية في بشاور فقد شعرت حكومة الهند بأن لا حل لمواجهته إلا بالتقارب مع شاه فارس. العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي....، ص١١٣.

(٣) البديري، سياسة بريطانيا تجاه إيران...، ص١٧. ومن المناسب القول انه في عام ١٨٣٠ كتب المؤرخ البريطاني ميور (لو عاش بافل لفقدنا الهند).نقلاً عن: صالح، خليل إبرهيم، المصدر السابق، ص١٩.

(4) Sykes , Op .Cit , p302 ;

وفي الوقت الذي ازداد فيه استياء فتح علي شاه[١] نتيجة الخسائر التي منيت بها قواته وتوالى فيها سقوط المدن الفارسية الواحدة تلو الأخرى بيد الروس، ولدرجة اقتنع معها الشاة بضرورة السعي لعقد صلح مع روسيا[٢] وُصف الموقف البريطاني باللامبالاة تجاه كل ذلك[٣].

وكان من الطبيعي ان يستغل الفرنسيون هذه الفرصه لتثبيت اقدامهم في فارس، لاسيما وأن فتح على شاه كان يبحث عن صديق آخر غير بريطانيا التي يئس من الحصول على دعمها، وفي وقت كان فيه نابليون يتطلع نحو الهند[٤] لذا استبعد فتح على شاه فكرة الصلح مع روسيا، بعد أن لوّح له الفرنسيون بإمكانية تقديم المساعدة على استعادة اراضيه من روسيا مقابل مساهمة فارسية في حملة فرنسية ضد الهند، مع قطع كامل لعلاقات بلاد فارس مع بريطانيا[٥]، على ان اهتمام نابليون بالهند لم يكن القصد منه الهند بالذات، وما لفرنسا فيها من مصالح بل كانت غايته الرئيسة تعكير الجو الشرقي على بريطانيا، وخلق حالة توتر في تلك البقاع النائية، لأشغال الساسة البريطانيين، فينصرفون لمعالجتها ومقاومة ما فيها وما قد ينجم عنها من تطورات لا تتلاءم ومصالحهم فيصفو لفرنسا الجو في البحر المتوسط والشرق الأدنى، فتستعيد في ارجائه ما فقدته من نفوذ ومامنيت به تجارتها من خسارة[٦]، وانعكست اهمية هذا التوجه على بلاد فارس التي كان نابليون يدرك جيداً اضافة الى اهميتها الإستراتيجية كطريق للهند، امكانياتها الهائلة بالحاق اكبر الأضرار الاقتصادية بالمصالح البريطانية، عن طريق طرد التجار البريطانيين، وقطع أي شكل من أشكال المعاملات التجارية مع الهند[٧].

صالح خليل إبراهيم، المصدر السابق، ص٢٥.

(١) هو الثاني من شاهات بلاد فارس من العائلة القاجارية، وابن اخو الشاه المؤسس للحكم القاجاري أغا محمد شاه،اسمه بابا خان، وصار يعرف بعد اعتلاءه للحكم بفتح علي شاه، حكم فارس للمده ١٧٩٧ – ١٨٣٤. الدجيلي، حسن مجيد، ايران والعراق خلال خمسة قرون، (دار الأضواء، بيروت ١٩٩٩)، ص١٠٠.

(٢) أحمد، كمال مظهر، دراسات في تاريخ ايران....، ص٣٦.

(٣) البديري، خضير مظلوم، العلاقات الفرنسية الأيرانية ١٨٠٤ – ١٨٠٩، مجلة القادسية، المجلد الأول، العدد الثالث، ايلول / تشرين الأول، (القادسية، ٢٠٠١)، ص١١٢.

(٤) البديري، سياسة بريطانيا تجاه ايران....، ص١٨.

(٥) السراي، المصدر السابق، ص٦٣.

(٦) خوري، المصدر السابق، ١٩٨.

(٧) كيلي، المصدر السابق، ص١٢٢ ؛ البديري، العلاقات الفرنسية الأيرانية....، ص١١١-١١٢.

ترجم نابليون خططه تجاه بلاد فارس، بإرساله مبعوثين اليها احدهما الكسندر روميو A.Romieu القنصل الفرنسي في كورفو، الذي وصل طهران في أوائل تشرين الأول ١٨٠٥ حيث التقى الشاه ووزراءه مستوضحاً عن الأوضاع السياسية والعسكرية لبلادهم، وسبل مساعدة فرنسا لها، ومدى استعداد طهران في مقابل هذا على التحالف وتقديم التسهيلات للحملة الفرنسية المزمع ارسالها للهند، كما استطاع في غضون ذلك ان يوضح كل مادار بينه وبين المسؤولين هناك في تقرير ارسله الى حكومته(١) واذا اردنا ان نستثني كونه غير مفوض من حكومته بصلاحيات عقد معاهدة تحالف مع فارس(٢) فان تردد الشاه في امر عقد معاهدة تحالف مع فرنسا خشية اثارة بريطانيا(٣) التي لم يقف الشاه حتى تلك اللحظة على موقفها النهائي منه(٤)، ثم وفاة روميو العاجلة في الخامس عشر من تشرين الأول ١٨٠٥، قد حالت دون اتمام مهمته(٥). على ان اكمال المهمة جاء على يد المبعوث الثاني آميدي جوبير A. Joubert السكرتير المترجم في البلاط الفرنسي، الذي وصل طهران في الخامس من حزيران ١٨٠٦، وقد اقترح جوبير بعد لقائه بالشاه قيام تحالف فرنسي - فارسي ضد روسيا، وقطع للعلاقات مع بريطانيا، وإعلان الحرب عليها، على أن تتعهد فرنسا بتقديم المساعدات العسكرية لفارس لاستعادة اراضيها من روسيا، وفي الوقت ذاته سلم الشاه بعض المقترحات الى جوبير، ثم

---

(1) Savory. R. M. British and French Diplomacy in Persia 1800 – 1810 , Iran Journal of the British Institute of Persian studies ,(London,1972) ,Vol X , p32; Sykes , Op . Cit , Vol II, 304 ;
بينا، على اكبر، تاريخ سياسي ودبلوماسي ايران، جلد أول،(تهران، ١٣٤٢)، ص١٠٩ – ١١٢ ؛ البديري، العلاقات الفرنسية الإيرانية...، ص١١٢ -١١٣.

(٢) صالح، خليل ابراهيم، المصدر السابق، ص٢٥.

(٣) احمد، كمال مظهر، دراسات في تاريخ ايران...، ص٣٥.

(٤) في الوقت الذي وصل فيه روميو الى طهران كان محمد نبي خان قد وصل الى بومباي في تشرين الأول ١٨٠٥ كسفير هناك وكانت الغاية من ارساله طلب المساعدة البريطانية، وقد بقي محمد نبي خان في الهند قرابة السنتين لم يلاحظ خلالهما سوى ((عدم الأهتمام السائد في كلكتا تجاه فارس)). للتفاصيل حول تلك السفارة يراجع: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص١٤٥ – ١٤٨.

(٥) للمزيد من التفاصيل حول بعثة روميو يراجع: أميني، ايرج، نابليون وإيران، ترجمة اردشير لطيفعليان، (طهران، ١٣٧٨)، ص١٠٣ – ١١٩؛ السراي،المصدر السابق، ص٣٩-٥٠.

اذن له بالعودة في اواخر عام ١٨٠٦، مستصحباً معه محمد رضا خان كسفير له في باريس، ومفوضاً عنه لعقد معاهدة تحالف مع نابليون[١].

لا يمكن وصف الموقف البريطاني من النشاط الفرنسي في طهران إلا بالتجاهل المقصود[٢] وإلا فإن المسؤولين البريطانيين المتواجدين في الدولة العثمانية تابعوا تحركات المبعوثين الفرنسيين خطوة بخطوة، وكان اول من اكتشف امر تلك البعثات هو باركر Parker القنصل البريطاني في حلب، بعد وصول روميو اليها، وقد أعلم باركر هارفورد جونز المقيم البريطاني في بغداد، الذي قام بدوره بإعلام حكومته بنوايا فرنسا، بعد أن حصل على معلومات تؤكد نوايا المبعوثين الفرنسيين تجاه فارس عن طريق الجاسوس الأرمني الأصل دوانس بيتارن D. pitarn الذي كان يعمل لحساب بريطانيا في مقر ولي العهد عباس ميرزا في تبريز، فأكد بيتارن لهارفورد جونز بأن ((هناك مبعوثين فرنسيين سيصلان قريباً الى طهران، احدهما عن طريق القسطنطينية والآخر عن طريق بغداد))[٣]، و أن الممثل البريطاني لدى بلاط الشاه ذكر في رسالة إلى السفير البريطاني لدى الباب العالي بأن ((ممثلاً عن الإمبراطور نابليون وصل أبواب طهران ليخبر الشاه إن الإمبراطور نابليون برّ بوعده الذي قطعه على نفسه للشاه بصدد غزو روسيا وبأنه قريباً سيعيد لإيران جميع ممتلكاتها في جورجيا إلا انه يرغب في أن يتعهد الشاه أولاً بطرد جميع الأنكليز من ممتلكاته، وأن يقبل سفيراً فرنسياً))[٤]، وفي أواخر آيار ١٨٠٦ وصلت رسالة أخرى من بيتارن إلى هارفورد جونز اكد له فيها بأن ((فرنسا أضحى لها ممثلان في إيران وأن فرنسا وإيران اصبحتا حليفتين...وفضلاً عن كل ذلك فإن شاه إيران كان قد سمح وحسب تصريحه لجوبير للجيش الفرنسي بالمرور عبر الأراضي الإيرانية نحو الهند...))[٥].

لم يقف الأمر عند حدود المراقبة وتبادل الرسائل بين المسؤولين المحليين، وإنما كان هارفورد جونز دائم الاتصال بحكومته في الهند لاطلاعها على آخر تطورات العلاقات الفرنسية – الفارسية، وقد توالت تقاريره عليها، ومن بينها تقرير

(1) Savory , op , cit , p32

(٢) السراي، المصدر السابق، ص٦٣.

(٣) بينا، المصدر السابق، ص١٠٩.

(٤) البديري، سياسة بريطانيا تجاه ايران...، ص١٨.

(٥) بينا، المصدر السابق، ص١١٠.

مفصل مضمناً اياه خلاصة المعلومات التي حصل عليها من بلاد فارس وخلص منه بقناعة مفادها بأن الفرنسيين سيستغلون بنجاح حالة العداء القائم بين روسيا وفرنسا لتحقيق نفوذ واسع لمصلحة فرنسا ومجمل الموقف العام ((يشير الى احتمال قيام اتفاق رسمي بين فرنسا وفارس))، لكن حكومة الهند عدت ما ورد في التقرير امراً مبالغاً فيه[١].

وأوضح جونز في مذكرة اخرى ((ان حصول فرنسا على موقع في فارس سوف يشكل خطراً على الوضع البريطاني في الشرق الأدنى ولا بد من بذل الجهود للحيلولة دون ذلك))[٢] بل الأكثر من كل ذلك ان التعليمات التي صدرت من الشاه الى ميرزا محمد رضا خان مبعوثه الى نابليون التي اكدت استعداد حكومة فارس للتعاون مع فرنسا في حالة قيام حملة عسكرية فرنسية لغزو الهند الى حد ارسال جيش فارسي يزحف عن طريق قندهار وكابول[٣]، كان جونز قد تمكن من الحصول على نسخة منها، فتأكد له من تلك التعليمات خطورة الموقف في بلاد فارس، ولهذا فقد ارسل تقريراً الى مسؤوليه في الهند بيّن فيه حراجة الموقف هناك مؤكداً لهم ((ان ميرزا رضا خان يحمل رسالة صداقة من الشاه الى نابليون تؤكد قيام تحالف بين الدولتين، ولهذا فقد عملتُ جاهداً لكي احصل على صورة لتلك التعليمات لكي تطلعوا عليها وتدركوا خطورة الموقف البريطاني في فارس، الذي سيكون له الأثر الكبير في زعزعة النفوذ البريطاني هناك))[٤].

لكن الحكومة البريطانية وعلى عكس ما تطلبه الموقف لم تبد أي تصرف يكبح جماح النشاط الفرنسي في بلاد فارس[٥]، وكأنها في ذلك كانت بحاجة الى صفعة قوية توقضها من سباتها الطويل تجاه هذه البلاد وهذا ما تم فعلاً عندما وصل جوبير ومبعوث الشاه محمد رضا خان الى وارشو في بروسيا الشرقية في شباط

---

(١) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص١٤٧.

(٢) البديري، سياسة بريطانيا تجاه ايران...، ص١٩.

(٣) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص١٥٥؛ البديري، العلاقات الفرنسية الإيرانية...، ص١١٤.

(٤) بينا، المصدر السابق، ص١١١؛ السراي، المصدر السابق، ص٥٥.

(٥) يتفق كل من علي اكبر بينا و العابد في جعل اسباب عدم الأهتمام البريطاني ببلاد فارس تتعدى ما ذكرناه سابقاً، إلى استقالة الحاكم العام للهند اللورد ولزلي ذو السياسة القائمة على التوسع، ومجيء اللورد منتو (تشرين الأول ١٨٠٥ – تموز ١٨٠٧) ذو السياسة القائمة على التحفظ في العلاقات الخارجية، بينا، المصدر السابق، ض١٠٥ ؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص١٤٩.

١٨٠٧ لمقابلة الإمبراطور نابليون، فلما كان كلا الطرفين متناغمين مع بعضهما منذ مدة طويلة، فقد اسفرت المباحثات بين الجانبين عن توقيع اتفاقية فنكشتاين Finkenstein في الرابع من آيار ١٨٠٧[١] التي من ضمن ما اشارت اليه تعهد بلاد فارس بقطع علاقاتها الدبلوماسية والتجارية كافة مع بريطانيا وإعلان الحرب عليها، وبمساعدة فرنسا اذا قررت غزو الهند[٢] عند ذلك اخذت بريطانيا تنظر بعين القلق والحذر للتحرك الفرنسي في بلاد فارس[٣].

كانت معاهدة فنكشتاين مؤشراً مهماً للبريطانيين بإمكانية زوال أرجحيتهم في المنطقة ومن ثم تهديد ممتلكاتهم في الهند، و كانت كفيلة لإقناع بريطانيا أن تعيد ترتيب أوراقها الدبلوماسية تجاه طهران مستغلة أية فرصة تسمح بذلك[٤]، وإذا كانت هذه المعاهدة والتقارب الفرنسي – الفارسي قد حصلا بدون أدنى شك بسبب سبات بريطانيا الطويل وإهمالها لعلاقاتها مع فارس، فكيف والحالة هذه في علاقتها مع الدولة العثمانية التي لا يمكن وصفها بالسبات او عدم الأهمال، بل بالسلبية بسبب حملتيها العسكريتين على المضائق والإسكندرية ؟ لاسيما وان سباتها تجاه بلاد فارس، وسلبيتها تجاه الباب العالي ادتا الى ذات النتيجة، وهي تحالف كل من فارس والدولة العثمانية مع فرنسا، خاصة وانه في الوقت الذي كان فيه نابليون في مطلع عام ١٨٠٧ يراسل شاه فارس لأجل التحالف، فأنه راسل ايضاً السلطان سليم الثالث حاثاً إياه على الإسراع، في إرسال مندوبه المفوض بأسرع وقت، لاسيما وان سفير فارس على وشك الوصول إلى وارشو[٥].

وتتجلى الحقيقة بشكل اوضح عند القول بأن معاهدة فنكشتاين لم تكن سوى جزء من صفقة فرنسية كبرى جوهرها خلق حالة من التحالف بين فرنسا وبلاد فارس والدولة العثمانية، فبتأمين فرنسا لذلك التحالف تكون قد أمنت طريقها البري تجاه

---

(١) Savory , op ,cit , p32 ;

العقاد، التيارات السياسية...، ص٩٠.

(٢) للأطلاع على نص المعاهدة يراجع: Hurewitz , Diplomacy in The Near and Middle East ., PP.77-78 ;

بينا، المصدر السابق، ص١١٨-١٢٠ ؛ اميني، المصدر السابق، ص٣٢٥ -٣٣٠.

(٣) صالح، خليل ابراهيم، المصدر السابق، ص٢٧.

(٤) البديري، سياسة بريطانيا تجاه ايران....، ص١٩-٢٠.

(٥) السراي، المصدر السابق، ص٦٠.

الهند[١]، وعند مقارنة هذا التوجه مع الهدف العام للسياسة البريطانية الذي اعيد التأكيد عليه بشدة في تلك المرحلة وفحواه ((إن كلاً من فارس والدولة العثمانية، يمكن اعتبارهما قوى حاجزة للهند البريطانية، وتحطيم أي منها من قبل قوة اوربية، سيعرض الهند الى الخطر... وعليه فإن على انكلترا ان تسلك سياسة من شأنها ان تساعد وتدعم تلك الدول...))[٢] وفي ضوء هذا الرأي يمكن القول بان معاهدة فنكشتاين جاءت كثغرة في هذا الحاجز، وأدرك البريطانيون خطورة الموقف اكثر من السابق، فأيقنوا بأن الهند باتت مهددة وبشكل مباشر وعلني وانها هدف من اهداف نابليون[٣]، فكيف والحالة هذه ونابليون كان يحاول احداث ثغرة اخرى في ذلك الحاجز من خلال تحالفه مع الدولة العثمانية ؟ ففي الوقت الذي كان فيه مبعوث الشاه ميرزا محمد رضا متواجداً في وارشو لعقد معاهدة تحالف مع فرنسا، فقد كان إلى جانبه مبعوث السلطان العثماني وحيد افندي متواجداً ايضاً في وارشو وللغرض نفسه[٤].

بطبيعة الحال، فإن بريطانيا اذا كانت تفكر في الحيلولة دون حدوث تقارب فرنسي – عثماني فذلك كان يتطلب استبدال نهجها العسكري بأسلوب سياسي تجاه الباب العالي، لاسيما وأن الأخير كانت مباحثات مبعوثه وحيد افندي مع الفرنسيين في وارشو جارية على قدم وساق، وان ما حال دون توقيعه لمعاهدة مشابهة لمعاهدة فنكشتاين، هي الأحداث الداخلية التي شهدتها اسطنبول في أواخر آيار ١٨٠٧ المتمثلة بثورة الإنكشارية[٥] ضد إصلاحات السلطان سليم الثالث ثم خلعه في

(١) ساد هذا الأتجاه لدى حكومة الهند منذ تموز ١٨٠٧، بعد الجهود الكبيرة التي بذلها السير جون مالكولم المقيم البريطاني في ميسور مع الحاكم العام لأقناعه بوجوب الأنفتاح على المنطقة، لاسيما بعد التوتر الذي شهدته العلاقات البريطانية –العثمانية، وملخصاً آراءه بتقرير ارسل به الى ادمنستون سكرتير الحاكم العام. وللتفاصيل حول ذلك يراجع: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٢٢٦.

(٢) صالح، زكي، المصدر السابق، ص٩٦.

(٣) السراي، المصدر السابق، ص٦٠.

(4)Marriott, Op .Cit , p177 ;

جودت، المصدر السابق، جلد ثامن، ص٨٤-٨٥.

(5)Shaw , Op .cit , Vol 1 , p273.

جودت، المصدر السابق، ص٨٥.

وعن تشكيل الأنكشارية وتطورهم التاريخي يراجع: اوزجان، عبد القادر ((النظم العسكرية العثمانية)) "ضمن كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة"، المجلد الأول، ص٣٨٤-٣٩١؛ نورس، علاء، مدى

الخامس والعشرين من آيار ١٨٠٧[(١)]، ثم مجيء السلطان مصطفى الرابع (١٨٠٧ – ١٨٠٨) الذي لم يكن في مستهل حكمه سوى ((آلة[(٢)] أو دمية بيد أولئك الذين وضعوه على العرش))[(٣)] و كان نابليون الصديق الحميم للسلطان سليم الثالث[(٤)]، ولما كان الفرنسيون هم المشرفون على الإصلاحات العسكرية العثمانية التي حرمت الأنكشارية من امتيازاتهم[(٥)] و كان الانكشارية ايضاً ينظرون الى الفرنسيين على أنهم هم السبب في الحرب ضد روسيا وبريطانيا، فقد اتخذوا عدد من الإجراءات المناهضة للفرنسيين، منها انه حينما وصلت القوة الفرنسية المكونة من خمسمائة جندي من سلاح المدفيعة لإدارة بطاريات المدافع الساحلية، للدفاع عن المضائق العثمانية إلى اسطنبول طلب قادة الأنكشارية منهم العودة من حيث جاءوا وبسرعة ثم قاموا بطرد جميع الضباط الفرنسيين الذين كانوا يشرفون على المؤسسة العسكرية العثمانية وأودع البعض منهم في السجون[(٦)]، وعندما وصلت أخبار خلع

مسؤولية الأنكشارية في تدهور الدولة العثمانية، مجلة كلية الآداب، العدد ٣٠، (بغداد، ١٩٨١) ؛ جب، هاملتون،و آخرون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج١، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف،(القاهرة، ١٩٧١)، ص٨٢ – ٩٧.

(1) Karpat. H. Kemal , The , Transformation of the ottoman state , 1789 – 1908 , in international of journal Middle east studies , Vol3, July (Cambridge , 1973), p253

وكانت ضمن اصلاحات السلطان سليم الثالث في الميدان العسكري تشكيله فرقاً عسكرية اطلق عليها (النظام الجديد)وقد اثبتت هذه الفرق كفاءتها الى الحد الذي دفع بالسلطان سليم ان يصدر مرسوماً في عام ١٨٠٥ يقضي بأختيار المع الشباب وأقواهم في فرق الأنكشارية للخدمة في النظام الجديد، مما اضحى يهدد وجود اوجاق الأنكشارية برمته، للتفاصيل يراجع:

Lewis , G, Turkey , Second edition , (New York , 1960) , P. 31-32 ;

مصطفى، المصدر السابق، ص١٨٤ -١٨٥، وللتفاصيل حول ثورة الأنكشارية يراجع:

Shaw , Op .Cit , Vol 1 , p273-274 ;

ابراهيم، افندي، المصباح الساري ونزهة القاري، (بيروت، ١٨٥٥)، ٢٤٢ – ٢٥٠.

(2) Shaw , Op .Cit , Vol 1 , p274.

(٣) نقلاً عن: المحامي، المصدر السابق، ص١٩٥.

(٤) ابراهيم افندي، المصدر السابق، ص٢٤١.

(٥) للتفاصيل حول الدور الفرنسي في الأصلاحات العثمانية يراجع: زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوربي، دراسة في المؤثرات الأوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، (دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١)، ص٥٤ -٥٧.

(6) Quoted in: Puryear , Op. Cit , P. 157-159.

السلطان سليم والاجراءات المضادة للفرنسيين إلى نابليون استاء كثيراً[١] وقال بخصوص ذلك ((إن هذا الخبر يمثل لي حدساً الهياً لافتا للنظر عن عدم إمكانية استمرار الإمبراطورية العثمانية بعد الآن))[٢].

كانت بريطانيا العين الثالثة التي تراقب الأحداث عن كثب لتلقي بثقلها الدبلوماسي تجاه اسطنبول، مستغلة هذه الفجوة في العلاقات الفرنسية العثمانية. وكانت هناك تطورات أخرى تتعلق بالموقف الفرنسي الذي اخذ ينشط ايضاً في بغداد، حيث وصل النفوذ الفرنسي ذروته في ولاية سليمان باشا الصغير (١٨٠٧ – ١٨١٠)، ولا غرابة في خدمة هذا الوالي للمصالح الفرنسية طالما وإن جهود السفير الفرنسي سبستياني في اسطنبول كانت السبب في توليه لمنصبه[٣] وإذا كانت هناك اشارة اخرى يمكن ان نستشفها من هذا التعيين فأنها لا تتعدى المكانة السامية التي حظى بها سبستياني لدى السلطان سليم الثالث، ولأجل ذلك فقد احدث تعيين سليمان باشا لولاية بغداد قلقاً كبيراً لدى المسؤولين البريطانيين في الهند[٤].

وهناك تطورات اخرى شهدتها مسقط تمثلت بمحاولة نابليون ربط الأخيرة بسياسته الشرقية، لزعزعة النفوذ البريطاني هناك، وضمان الطريق البحري الى الهند وعليه فقد ارسلت الحكومة الفرنسية تعليماتها الى ديكان Degan حاكم مستعمرة ايل دي فرانس، بأن يحاول استعادة النفوذ الفرنسي في الشرق[٥] وتزامن هذا الخط للسياسة الفرنسية مع حدوث بعض المشاكل التي عانى منها امام عمان الجديد سعيد بن سلطان (١٨٠٦ – ١٨٥٦)، وفي مقدمتها ان حكومة الهند البريطانية قد نفرت بشدة من طريقة مجيئه للحكم[٦]، ولهذا لم تعترف به لمدة قاربت

---

(١) إبراهيم افندي، المصدر السابق، ص٢٥٠.

(٢) نقلاً عن: العبيدي، احمد، المصدر السابق، ص١٢٠.

(١) نوار، داود باشا...، ص١٩٣ ؛ نورس، حكم المماليك في العراق...، ص٧٢.
وقد جاء في التماس السفير الفرنسي لدى الباب العالي ((ان احوال بغداد في حالة من الأختلال وقوة سليمان باشا في غاية الكمال،فيكون من مصلحة الدولة توجيه الولاية أليه))، الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر،(قم، ٢٠٠٤)، ص٢١٤.

(٤) نورس، علاء، الدبلوماسية البريطانية في العراق ١٨٠٨ – ١٨٢٣، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٨، ١٩٨١، ص٦٣ – ٦٤ ؛ العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص٢٢٦-٢٢٧.

(٥) أبو ياسين، المصدر السابق، ص٦٧.

(٦) كان وصول الحاكم على اثر اغتياله لأبن عمه بدر بن سيف في تموز ١٨٠٦، للتفاصيل يراجع: العابد، دور القواسم في الخليج العربي...، ص١٧٣ -١٧٤.

السنة رغبة منها في التأكد من استقرار الأمور في يده[١]، و ان مرض سيتون Seton المقيم البريطاني في مسقط ومغادرته اياها منذ اوائل عام ١٨٠٦ دون ان يشغل منصبه مسؤول أخر، جعل حكومة بومباي تفتقر الى معلومات دقيقة حول عمان[٢]، ومن جهة اخرى، فعلى الرغم من حصول سعيد بن سلطان على هدنة مع الوهابيين اواخر عام ١٨٠٦، إلا انه لم يحصل على مثلها مع القواسم، و شهد مطلع عام ١٨٠٧، تخلي الوهابيين عن هدنتهم وممارسة الضغط عليه[٣] ولهذا فقد كان بحاجة ماسة لحليف خارجي، ولما كانت علاقته مع بريطانيا ليست على مايرام لأسباب اخرىفضلاً عن ما تقدم[٤]، ولأتفاق وجهة نظره مع الفرنسيين فقد تم التوصل الى معاهدة بين الطرفين في السادس عشر من حزيران ١٨٠٧[٥]، ضمنت فرنسا من خلالها وقوف عمان الى جانبها في حملتها على الهند[٦].

تطورات اخرى حتمت على بريطانيا ان تنحرف بسياستها العسكرية الى توجه دبلوماسي تجاه الباب العالي، وتتعلق تلك التطورات بالموقف الروسي، فلما كات بريطانيا قد ربطت سياستها ربطاً وثيقاً بسياسة روسيا حتى أن فشل أي من هاتين السياستين كان معناه بالضرورة فشل ألأخرى[٧]، ولما كانت بريطانيا عند تحالفها مع روسيا تعتقد بانها تحالفت مع دولة قوية تستطيع معها كبح جماح نابليون، لكن ذلك الأعتقاد سرعان ما بدده نابليون بعد تحطيمه للقدرة العسكرية الروسية ابتداء من معركة ايلو Eylaw في شباط ١٨٠٧ التي خسر فيها الروس جزءاً من قواتهم العسكرية، وانتهاء في معركة فريد لاند في الرابع عشر من حزيران ١٨٠٧ التي أجهز فيها نابليون على ما تبقى من قوة روسيا العسكرية[٨]،

---

(١) العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص١٨٧ ؛ أبو ياسين، المصدر السابق، ص٦٣.

(٢)العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي...، ص١٨٨، بينما يشير أبو ياسين بأن غلق المقيمية البريطانية في مسقط لا يعود إلى مرض سيتون وإنما لأنه كان في مهمة في مخا في اليمن ومنها عاد إلى بومباي وبقي هناك، وأصبح وسيط الشركة الملحي وهو الذي يتولى تصريف الأمور هناك، أبو ياسين، المصدر السابق، ص٦٢-٦٣.

(٣) للتفاصيل يراجع: العابد، دور القواسم في الخليج العربي....ن ص١٧٤ – ١٧٦.

(٤)للتفاصيل حول الأسباب الأخرى يراجع: العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي....، ص١٨٨-١٩٥.

(٥) ابو ياسين، المصدر السابق، ص٦٨.

(٦) السراي، المصدر السابق، ص٦٠.

(٧) لبيب، المصدر السابق، ص٦١.

(٨) للتفاصيل يراجع:

فتركت تلك الهزائم آثاراً بعيدة المدى على الموقف الروسي تجاه بريطانيا وفرنسا على حد سواء.

فقد نقمت روسيا على بريطانيا لأنها لم تتحمل معها أعباء الحرب بما فيه الكفاية، و انها رفضت إقراض روسيا مبلغ ستة ملايين جنيه، علاوة على ذلك فأنها لم تعمل على تخفيف ضغط الجيوش الفرنسية عليها بفتح جبهة أخرى(١)، وما كان يوازي ذلك في أهميته أن الأسكندر لم يكن راغباً في التقهقر داخل روسيا إذ انه لم يكن واثقاً من مصادره وإمكاناته الداخلية، فلو أن نابليون توغل في داخل روسيا لكان من المحتمل أن يواجه القيصر ثورة شعبية، إذ أن الشعب كان لا يزال يتذكر ثورة بوكاشوف(٢) ولهذا فقد استبعد القيصر أهدافه الحربية التي كان يحملها منذ عام ١٨٠٤، وأصبح اكثر ميلاً للتفاوض والمصالحة مع نابليون(٣).

وفي ضوء ذلك ما ان تهادن الطرفان في الخامس والعشرين من حزيران ١٨٠٧(٤)، حتى اعقب ذلك لقاء في السابع والعشرين منه جمع بين الإسكندر ونابليون على ظهر طوافة في نهر نيمن Nimen، وفيما يتعلق بالدولة العثمانية، فعلى الرغم من أن الأثنين ناقشا مسألة تقسيم الدولة العثمانية إلا ان نابليون فضل عدم الخوض في التفاصيل لاسيما بعد ان ضمن محالفة القيصر(٥) وأكتفيا بتأكيد وجوب القيام بوساطتين الأولى روسية لتحقيق صلح فرنسي – بريطاني والثانية فرنسية لتحقيق صلح عثماني- روسي على إن يساعد كل طرف الآخر في حالة رفض إحدى او كلتا الدولتين (بريطانيا أو الدولة العثمانية) لوساطتيهما، ولكي يدفع

Pares , Bernard , A History of Russia, (New York , 1948), PP. 291-292 ; المقرحي، المصدر السابق، ص٣٣٧ ؛ جرانت ، المصدر السابق، ص٢١٩.

(١)الجوراني، عبد الزهرة مكطوف، دور روسيا القيصرية في الأطاحة بنابليون، مجلة الفتح، الجامعة المستنصرية، المجلد الثاني، العدد ٣،(بغداد، ١٩٩٨)، ص٩٦.

(٢)هي اقوى ثورة فلاحية معادية للقيصرية والأقطاع في تاريخ روسيا، بدأت في خريف عام ١٧٧٣ بقيادة يميليان ايفانوفتش بوكاشوف، وشملت هذه الإنتفاضة مساحات واسعة من الأراضي الروسية، ولم تتمكن القيصرية من القضاء عليها إلا بعد توقيع صلح مع الدولة العثمانية في عام ١٧٧٤، لتتفرغ لقمع هذه الثورة، واستمرت هذه الثورة حتى القي القبض على زعيمها بوكاشوف وتم اعدامه في كانون الثاني ١٧٧٥، عن الثورة وتداعياتها في روسيا يراجع: فيدوسوف، المصدر السابق، ص٢٤٤ -٢٤٩.

(٣)بالمر، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٥؛ الجوراني، المصدر السابق، ص٩٦.

(4)Armistices between France and Russia 25 June 1807, Quoted in: The Consolidated Treaty Series , vol59. PP.201-205

(5)Anderson , The Eastern Question ..., p. 40

نابليون الحكومة العثمانية لقبول وساطته فقد استطاع أن يقنع القيصر الروسي بان يتخلى عن المقاطعتين العثمانيتين، ولاشيا ومولدافيا خلال فترة المباحثات العثمانية – الروسية الخاصة بالتوصل إلى معاهدة صلح عثمانية روسية(١).

وفي السابع من تموز ١٨٠٧ دوّن ما تم الأتفاق عليه بشكل رسمي بتوقيع اتفاقية تلست، وفيما يخص الدولة العثمانية، فقد الزمت المعاهدة روسيا بالتخلي عن المقاطعتين العثمانيتين في حالة موافقة العثمانيين على إنهاء حربهم مع روسيا على أن لا يدخلوا إلى المقاطعتين حتى يتم صلح نهائي بين الطرفين، ويأتي كل ذلك على اثر وساطة نابليون بينهما، وفي حالة عدم قبول العثمانيين لوساطة نابليون أو مضي ثلاثة اشهر من المفاوضات دون التوصل إلى صلح نهائي يضع حداً للحرب بين الطرفين، فأن فرنسا وروسيا تقومان باقتسام الأملاك العثمانية في أوربا(٢).

مما لا شك فيه بأن تلك المعاهدة كانت نصراً كبيراً لنابليون، إذ ضمن ايضاً من ورائها اعتراف روسيا بكل فتوحاته وتركت له الجزر الأيونية وميناء كاترو، فتحققت له بذلك سيطرة كاملة على منطقة البحر الأدرياتيكي، وضمن ايضاً وفي حالة موافقة الدولة العثمانية على توقيع صلح مع روسيا، إبعاد الأخيرة عن منطقة البلقان والمضائق العثمانية(٣)، ولما كان نابليون جُلّ ما ينشده من التقارب مع روسيا هو تحطيم بريطانيا فقد ضم الملحق السري بالمعاهدة ما ينص على انضمام روسيا لحصاره القاري الذي اقامه ضد بريطانيا، ولم تقف حدود استفادته من روسيا عند هذا الحد، بل ارغمت روسيا كلاً من الدنمارك والسويد والبرتغال على إغلاق موانئها في وجه البضائع البريطانية(٤) والى هذا الحد من المكاسب الفرنسية بدا لنابليون وكأنه لم يعد بحاجة إلى حلف مع الدولة العثمانية بالضد من روسيا(٥).

---

(1)puryear , Op . Cit , -190 – 191.

(2)Treaties of Peace and of Offensive and defensive Alliance between France and Russia 7 July 1807 , cited in: The Consolidated Treaty Series , Vol 59 , PP.233-242

(3)Shaw , Op .Cit , vol 1 , p275

(٤) الجوراني، المصدر السابق، ص٩٨.

(٥) Shaw , Op .Cit , vol 1 , p275

(٢)كان من ابرز مناوئي السلطان مصطفى الرابع شخصيتين هما ؛ نائب الصدر الأعظم موسى باشا وشيخ الإسلام عطا الله افندي ، فنفى الأول إلى البوسنة بينما عزل الثاني ، سرهنك ، المصدر السابق ، ص٦٥٩ .

وربما يمكن القول أن لهذا التقارب الفرنسي – الروسي يمكن أن يُعزى عدم قدرة نابليون على فعل أي شيء عندما وصلته أخبار الموقف السياسي الجديد في اسطنبول، فبعد أن تمكن السلطان مصطفى الرابع من تعزيز مركزه السياسي في الداخل بالقضاء على مناوئيه بعد أسابيع من تسلمه العرش[١] حتى أفصح عن سياسته الخارجية القائمة على خطى عمه سليم الثالث بمواصلة الحرب ضد روسيا وبريطانيا، وأصدر أوامره بمقاطعة التجارة البريطانية في أنحاء الدولة العثمانية كافة، و أكد على ضرورة استئناف المفاوضات مع الفرنسيين لغرض التوصل إلى حلف معهم يمكن عن طريقه استعادة منطقة القرم ومقاطعتي الدانوب، إلا أن هذه الحقائق التي حملها إلى نابليون تقرير سبستياني المؤرخ في الثامن من حزيران ١٨٠٧، تسلمه نابليون بعد شهر من أحداث اسطنبول، أي بعد أن أتم نابليون مفاوضاته مع روسيا ووقع معها حلفاً في تلست[٢].

لقد جاءت معاهدة تلست لتضع مؤشراً على نهاية التحالف البريطاني – الروسي تجاه الدولة العثمانية، ولتفتح صفحة أخرى في العلاقات الفرنسية الروسية، غير انها في الوقت ذاته أسست نهاية للتقارب الفرنسي – العثماني، وإبتدأ فصل جديد في العلاقات البريطانية – العثمانية كما سيتضح لا حقاً.

(3) Puryear ,Op. Cit. PP.180 -181 ;

العبيدي، المصدر السابق، ص١٢٠

٣. نجاح السياسة البريطانية وعقد معاهدة الدردنيل عام ١٨٠٩:

حاول نابليون بُعيد عقد معاهدة تلست ان يجمع في سياسته تجاه الدولة العثمانية وروسيا، بين المنطق والاحتيال، فالمنطق برأيه هو تحالفه الجديد مع روسيا، الذي عده اهم وسائله لتحطيم بريطانيا في اوربا، وعبر عن تلك الأهمية بقوله ((اننا نرغب في ان يكون لنا حلف دائم مع روسيا فقط ضد جميع الأعداء))[١]، أما الأحتيال عنده فبما انه بحاجة الى الدولة العثمانية لإبقاء حلقات الحصار القاري محكمة ضد بريطانيا، فأنه رأى من الضروري الإبقاء على علاقاته مع الحكومة العثمانية وقد عبر للعثمانيين عن ذلك بقوله ((انني مازلت صديق تركيا))[٢]، وفي ذات الوقت حرصه على كتمان سياسته تجاه روسيا على العثمانيين، بل انه حثهم على وجوب عقد الهدنه مع الروس[٣].

اما العثمانيون وعلى الرغم من امتعاضهم من نابليون لمجرد مصالحته مع الروس دون استشارتهم او إشراكهم في الأمر، إلا انهم رحبوا بالتوصل الى معاهدة سلام مع روسيا، طالما ان فرنسا ستستمر في مساعدتها للدولة العثمانية، بدفع روسيا للتخلي عن مقاطعتي الدانوب والقرم، ووقف مساعدات الأخيرة للثوار الصرب[٤]، لذا بدأت المفاوضات بين الروس والعثمانيين وبوساطة فرنسية وتم التوصل الى اتفاقية هدنة في الرابع والعشرين من آب ١٨٠٧[٥]، نصت على وقف القتال واستئناف المباحثات للتوصل الى معاهدة سلم نهائية، وأن تنسحب القوات الروسية و العثمانية من مقاطعتي الدانوب خلال شهر واحد، ونصت على حق روسيا في عبور سفنها الحربية عبر المضائق العثمانية[٦].

ومما يجدر ذكره إن اتفاقية الهدنة لم يصادق عليها القيصر الروسي، متحججاً في ذلك بأن ممثله الجنرال مندروف Meyndroff قائد القوات الروسية في الدانوب لم يكن مخولاً بالتوقيع عليها، لكن الواقع ان القيصر اعتقد بأن الاتفاقية

---

(١) نقلاً عن: العبيدي، المصدر السابق، ص١٢٣.

(2) Puryear , Op .Cit , p179.

(3) Ibid , p201.

(4) Shaw , Op .Cit , Vol 1. 275

(٥) ابو زيدون، وديع، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التاسيس الى السقوط، (عمان، ٢٠٠٣)، ص٢٢٢.

(6) Shaw , Op .Cit , Vol 1 , p275

تصب في مصلحة الدولة العثمانية[١]، والأرجح ان موقف القيصر كان يعود الى وعد شفهي قطعه له نابليون بعدم معارضته لأستمرار الاحتلال الروسي للمقاطعتين ولاشيا ومولدافيا في محاولة من الأخير لممارسة مزيد من الضغط على الحكومة العثمانية وإبعادها عن بريطانيا، التي أخذت تحاول استئناف علاقاتها مع الدولة العثمانية[٢]، ومما يجدر ذكره في هذا الصدد إن نائب القنصل الفرنسي في منطقة الدردنيل ميشيان Mechain ارسل تقريراً إلى سبستياني في الخامس والعشرين من تموز ١٨٠٧، أكد فيه ان البريطانيين أرسلوا اسطولاً مؤلفاً من سبع سفن حربية الى الدردنيل لمساعدة آرثر باجت، الذي سبق وإن أرسلته الحكومة البريطانية الى اسطنبول للتباحث مع العثمانيين حول إمكانية ليس فقط عقد حلف عثماني بريطاني بل وانضمام روسيا لهذا الحلف الذي سيكون موجهاً ضد فرنسا، مقابل قيام بريطانيا بإثبات حسن نواياها بسحب قواتها من الإسكندرية[٣].

لكن لم تمض سوى بضعة ايام على بدء المفاوضات البريطانية العثمانية، حتى وصلت اوامر الحكومة الروسية في الثالث والعشرين من آب ١٨٠٧ الى سينافين بالانفصال عن الأسطول البريطاني، في دلالة واضحة على تضارب مصالح كل من الدولتين، غير أن آرثر باجت استمر في مفاوضاته الثنائية مع العثمانيين لكن المفاوضات اتسمت بالمماطلة والتسويف من قبل الحكومة العثمانية، مستندة في ذلك إلى أن إعلانا للحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية لم يقع رسمياً، وليس هناك حاجة لعقد معاهدة تحالف بين البلدين. وإن مجرد انسحاب بريطانيا عن الإسكندرية كفيل بعودة العلاقات الطبيعية بين البلدين[٤].

وأثناء تواجده في اسطنبول تلقى باجت معلومات افادت بقيام الجيش الفرنسي بالتحرك صوب جنوب ايطاليا في عملية هدفها القضاء على الوجود العسكري البريطاني في صقلية، لاسيما و ان جزيرتي كورفو Corvo وكاترو Cattaro قد حصل التنازل عنهما بموجب معاهدة تلست من روسيا الى فرنسا، فأصبحت صقلية

---

(١) العبيدي، المصدر السابق، ص١٢٨.

(2) Shaw , Op .Cit , Vol 1. p275.

(3)Temprly.H.The Crimea. England and Near East ,(London , 1964) , p46.
اما سرهنك، فيجعل عدد السفن الحربية البريطانية التي وصلت الدردنيل هو اربعة سفن. سرهنك، المصدر السابق، ص٦٦٢ - ٦٦٣.

(٤) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٨٢٩

قاب قوسين او ادنى من اجتياح فرنسي لها، الأمر الذي اوصل باجت الى حالة من اليأس دفعته للإيعاز الى الجنرال فريزر في الثلاثين من آب ١٨٠٧ بوجوب الانسحاب فوراً من الإسكندرية، والإستفادة من الجيش المنسحب لتعزيز الدفاعات البريطانية في صقلية، والى تلك الخطوة عدّ باجت ان مهمته قد انتهت في اسطنبول(١).

في غضون ذلك كانت العلاقات الفرنسية العثمانية تمر في ظروف حرجة، فَصمت نابليون وعدم ممارسته الضغط على الروس بالإنسحاب من مقاطعتي الدانوب، والتوصل الى معاهدة سلم قد أثار قلق الحكومة العثمانية التي اخبرت سبستياني ان فرنسا كانت السبب في اعلانها الحرب ضد روسيا، و سأله غالب افندي وزير الخارجية العثماني، بأن حكومته التي قاومت الضغوط والتهديدات البريطانية، ولازالت ترفض عروض آرثر باجت فـ ((ماذا كان ثمن الأخلاص العثماني لفرنسا))(٢).

اصبح موقف سبستياني صعباً للغاية، وقد اعترف لتاليران بانه لم يواجه منذ وصوله الى اسطنبول ظروفاً حرجة كالتي يواجهها في تلك اللحظة(٣). فيما كانت بريطانيا تراقب الأحداث، في محاولة منها للاستفادة من أية انعكاسات سواء ما كان قد دار في تلست التي فهم منها البريطانيون تخلي حلفاؤهم الروس عنهم مقابل الفرنسيين، وتخلي الآخيرين عن العثمانيين مقابل الروس، أم ما سوف يدور في مؤتمرايرفورت Earfort(٤) الذي عرف عنه البريطانيون بأنه لقاء سوف يضم حلفاء تلست للتشاور في كيفية تقسيم الدولة العثمانية، لذا قررت الحكومة البريطانية

(١) شكري، مصر في مطلع القرن التاسع عشر...، ج٢، ص٨٣٠.

(2) Puryear , Op.Cit, p236 -237

(٣) ا لعبيدي، المصدر السابق، ص١٢٧

(٤)قبيل مؤتمر ايرفورت دارت طيلة المدة من اواخر شباط وحتى منتصف آذار ١٨٠٨ مباحثات في بطرسبورغ بين السفير الفرنسي فيها كوليانكورت Cualaincuort ووزير الخارجية الروسية روميا نتسوفRumiantsov وقد تركزت حول مسألتين رئيستين الأولى كيفية تأليف حملة فرنسية روسية تستهدف الهند البريطانية على ان يكون مركز تحشد القوات المشتركة اسطنبول والمضائق العثمانية، والثانية كيفية تقسيم الدولة العثمانية بين الحليفين، الا ان المباحثات لم تسفر عن نتيجة، وتم الأتفاق= =على ان لقاء بين الأسكندر ونابليون اصبح امراً حتمياً لأجل الأتفاق، وحددت منطقة اللقاء في ايرفورت في المانيا.

للتفاصيل حول تلك المباحثات يراجع:

Puryear , op.cit , PP.281-304.

بذل مساعيها الدبلوماسية الحثيثة من اجل الإستفادة من أصداء ماسوف يتمخض عن ذلك المؤتمر، لتحقيق تقارب بريطاني عثماني يمهد لعقد معاهدة سلم مع العثمانيين، وعدم السماح لفرنسا وروسيا بإجراء أي تغيير على الخارطة العثمانية، فضلاً عن الوقوف بحزم تجاه اية محاولة من هاتين الدولتين للسيطرة على منطقة المضائق اذا ما أريد الحفاظ على التوازن الدولي(١).

كانت الظروف السياسية في اسطنبول مهيأة لإقدام بريطانيا على هكذا خطوة، بسبب خيبة الأمل العثمانية، بموقف فرنسا من مسالة الضغط على روسيا لإبرام اتفاقية سلم روسية – عثمانية، إذ فشل الإجتماع الذي ضم كل من السفير الروسي في باريس تولستوي Tolestwe والسفير العثماني فيها محب افندي وبواسطة وزير الخارجية الفرنسية شامبني Champany في الثالث والعشرين من كانون الثاني ١٨٠٨ لتعنت تولستوي بذريعة عدم مصادقة القيصر الروسي على اتفاق الهدنة الذي سبقت الأشارة اليه، ودون ان يمارس الفرنسيون أي ضغط عليه(٢) الأمر الذي اثار امتعاض السلطان مصطفى الرابع ملقياً باللائمة على فرنسا، وأعلن عن رفضه التنازل عن مقاطعتي ولاشيا ومولدافيا لصالح روسيا واصفاً الرضوخ لذلك اذلالاً لدولته(٣).

ولأجل الاستفادة من هذه الظروف، ففي السادس والعشرين من حزيران ١٨٠٨ اجتمعت الحكومة البريطانية وقررت إرسال روبرت اداير R. Adair مفوضاً عنها للحكومة العثمانية، وحددت مهمته بالسعي لدى الحكومة العثمانية لمحاولة إحباط خطة نابليون لاستخدام الأراضي العثمانية كنقطة عبور وتحشد للقوات الفرنسية والروسية في حالة مهاجمة الهند البريطانية، وزودته بتعليمات مفادها بأن يوضح للعثمانيين انه في حالة خضوعهم إلى الحلف الفرنسي – الروسي، فإن بريطانيا ستدعم البشوات المتمردين على الحكومة العثمانية وفي مقدمتهم علي باشا والي يانيا، وستوفر له الحماية بأسطولها الحربي، وعلى أداير أن يوضح لهم ايضاً بأنه لا سبب يمنعهم من توقيع معاهدة سلم مع بريطانيا وهي التي لا تطلب شيئاً من السلطان العثماني سوى تجديد حلفه معها، وستكون الحكومة

---

(1) Shaw , op , cit , Vol 11, PP.12-13 .

(2).Temperly , op ,cit , p47.

(٣) العبيدي، المصدر السابق، ص١٣٥.

البريطانية مسرورة اذا وافق السلطان العثماني على ذلك، وسمح بعودة النشاط التجاري البريطاني الى بلاده ومقابل ذلك تتعهد الحكومة البريطانية بحماية اسطنبول والمضائق بأسطولها الحربي من الروس والفرنسيين، ولتفعيل هذا المقترح يفضل ان يمنح العثمانيون حق التواجد العسكري لبريطانيا في احدى الجزر التي تشرف على المضائق كجزيرة خيوس Chios الصخرية او ميلوسMilos في بحر ايجة، والأفضل في نظر الحكومة البريطانية ان تكون جزيرة كريت في البحر المتوسط لأنها ((من أكثر المراكز فعالية في إمكانية وقف نشاط القوة البحرية الروسية والفرنسية على حد سواء))(١).

وصل روبرت اداير في نهاية أيلول الى مضيق الدردنيل، وبعد مضي اسبوعين من الانتظار عند مدخل المضيق كانت الحكومة العثمانية مترددة خلالهما في الاتصال بأداير خشية اثارة فرنسا، بدأت مباحثات تمهيدية بين اداير وحقي باشا حاكم منطقة الدردنيل ممثلاً بموفد عنه، اعقبها اجتماع بين الحاكم العثماني والمفاوض البريطاني، وعندما وصلت اخبار تلك المباحثات الى ميشيان قدم الأخير احتجاجاً إلى الحكومة العثمانية، وطلب توضيحاً لهذه التحركات، إلا ان الحكومة العثمانية نفت حصول اية مباحثات بينها وبين البريطانيين، وكبادرة حسن نية فقد اصدرت امراً بعزل حقي باشا الذي أبعد الى كريت وعينت بدلاً عنه راغويل باشا حاكماً لمنطقة الدردنيل، والهدف من وراء تكتم الحكومة العثمانية على وجود تلك المفاوضات هو الخشية من اثارة فرنسا، لاسيما وأن المفاوضات البريطانية العثمانية لا زالت في بدايتها(٢).

لكن وبعدما تأكد للحكومة العثمانية علم الفرنسيين بحقيقة ما كان يجري من مباحثات، خرجت من صمتها وأشهرت الأمر، فرداً على استيضاح لا تو – مابو القائم بالأعمال الفرنسي في اسطنبول الذي تقدم به الى الخارجية العثمانية للوقوف على طبيعة وأهداف المفاوضات البريطانية العثمانية، أجاب غالب افندي وزير الخارجية العثماني مشيراً الى امتعاض الحكومة العثمانية من موقف السياسة الفرنسية تجاه الصراع العثماني الروسي واصفاً تلك السياسة بالقصور، ذلك ان فرنسا لم تأخذ دور الوسيط في الوصول الى معاهدة سلم روسية عثمانية، ولم تمارس ضغطها على القيصر بهذا الشأن، فضلاً عن قيام نابليون بغض الطرف عن

(1)Temperly , Op .Cit , p47.

(2)Puryear , Op .Cit , PP.356 – 357

الإحتلال الروسي لولاشيا ومولدافيا وعدم ممارسته الضغط على القيصر الروسي للإنسحاب من المقاطعتين، الأمر الذي دفع الباب العالي الى فتح باب المفاوضات مع الحكومة البريطانية(١).

بدأ البريطانيون والعثمانيون مفاوضاتهم في منطقة الدردنيل في الحادي عشر من تشرين الثاني ١٨٠٨ مّثل الحكومة العثمانية فيها وحيد افندي وراغويل باشا فيما مثل الحكومة البريطانية مبعوثها روبرت اداير، واعقب ذلك أجتماع آخر في السادس والعشرين منه، غير ان الجانبين لم يتوصلا الى أي اتفاق بسبب الأجواء السياسية المضطربة والناجمة عما عرف (بثورة القصر)، التي جاءت بمحمود الثاني (١٨٠٨ – ١٨٣٩) الى العرش(٢) فتم تعليق المفاوضات، اذ لم يكن السلطان الجديد قادراً على ضبط الأمور، مما دفع أداير إلى ان يقدم للحكومة العثمانية تحذيراً اوضح فيه قدرة الأسطول البريطاني على محاصرة العاصمة العثمانية، مما قد يعرض سكانها الى مجاعة، وتزامن مع هذا التحذير اطّلاع الباب العالي على تفاصيل مادار في تلست وأيرفورت(٣) بين الإسكندر ونابليون فضلاً عن تدخل النمسا بدور الوسيط بين الجانبين(٤).

ويبدو أن التحذير البريطاني قد حفز السلطان محمود الثاني للعودة الى المفاوضات مرة أخرى خشية التطورات التي ربما تحدث بسبب التقارب الفرنسي – الروسي، فتم استئناف المفاوضات التي ركزت على مسألتين أساسيتين الأولى تتعلق بالإمتيازات البريطانية في الدولة العثمانية لاسيما موضوع التعريفة الكمركية، والمسألة الثانية تتمثل برغبة بريطانيا في الحصول على حق مرور سفنها الحربية عبر المضائق العثمانية وخاصة تلك التي تقوم بنقل البريد الدبلوماسي، وقد حصل الاتفاق على المسألة الأولى بان يتم منح التجار البريطانيين تسهيلات تجارية وكمركية في الموانئ العثمانية، بينما أبدى العثمانيون معارضتهم للمسألة الثانية مع بعض المرونه في إمكانية منح بريطانيا أفضلية وبصورة مؤقته حق أستخدام السفن

.(١) العبيدي، المصدر السابق، ص١٥٥ – ١٥٦.

(٢) عن ثورة القصر يراجع: إبراهيم أفندي، المصدر السابق، ص٢٥٦ – ٢٥٧.

(٣) التقى الأسكندر مع نابليون في ايرفورت في السابع والعشرين من أيلول ١٨٠٨ وتم خلال اللقاء التأكيد على ماورد في تلست في الثلاثين منه.

Renewal of the Alliance of Tilest between France and Russia, 30 September 1808Quoted in: The Consolidated Treaty Series, Vol. 60, PP. 263 -268.

(4) Puryear , Op , Cit , P. 357.

البريطانية للمضائق العثمانية، على أن تكون تلك الأفضلية مرهونة باستمرار التحالف الفرنسي الروسي، وسوف لن يكون لهذا السماح أي أثر فعلي في حالة التزام الدولة العثمانية جانب الحياد طبقاً للمصلحة العثمانية التي تقتضي إغلاق المضائق بوجه السفن الحربية للدول الأخرى طالما التزم العثمانيون جانب الحياد(١).

تمخض عن المفاوضات البريطانية – العثمانية التوقيع على معاهدة الدردنيل للسلم والتجاره في الخامس من كانون الثاني ١٨٠٩، وتألفت من أحدى عشرة مادة بالأضافة إلى أربعة بنود سرية وخاتمة، نصت المادة الأولى على وقف الأعمال الحربية بين بريطانيا والدولة العثمانية بمجرد التوقيع على المعاهدة، ويتم تبادل الأسرى بين الطرفين خلال شهر من التوقيع أو قبل ذلك إن كان ممكناً، واعادت المادة الثانية جميع القلاع والسفن والأسلحة التي أستولى عليها البريطانيون إلى العثمانيين. أما المادة الثالثة فأكدت أن أي ممتلكات أو بضائع تخص التجار الإنكليز وضعت تحت يد الحكومة العثمانية يتم الإفراج عنها وتعاد الى أصحابها والشيء نفسه في حالة وجود ممتلكات أو بضائع تخص رعايا الباب العالي، وجددت المادة الرابعة سريان معاهدات الامتياز المعقودة سابقاً بين الدولتين، واشترطت المادة الخامسة انه في مقابل رعاية الباب العالي وحسن معاملته للتجار البريطانيين، فضلاً عن كل ما يتعلق بتقديم التسهيلات اللازمة في مجال النشاطات التجارية، فإن بريطانيا ستقدم كل الرعاية والمعاملة الودية لتجار الباب العالي الذين يتواجدون في ممتلكات صاحب الجلالة البريطانية للأغراض التجارية، وحددت المادة السادسة الضريبة الكمركية المفروضة على البضائع البريطانية بنسبة لا تزيد على ٣%، وأوضحت المادة السابعة ان سفراء صاحب الجلالة (ملك بريطانيا) يجب ان يعاملوا معاملة الشرف التي يتمتع بها سفراء الدول الأخرى في اسطنبول، وإن سفراء الحكومة العثمانية في لندن سيتمتعون بمعاملة الشرف نفسها، وأتاحت المادة الثامنة للحكومة العثمانية امكانية تعيين قناصل في مالطة وممتلكات صاحب الجلالة البريطانية لرعاية مصالح الباب العالي ويتمتعون بالإمتيازات والإعفاءات نفسها الممنوحة للبريطانيين المقيمين في الممتلكات العثمانية، ونصت المادة التاسعة على عدم تعيين القناصل البريطانيين من الرعايا العثمانيين، وبينت المادة العاشرة ان الحماية البريطانية لا تضفى على الأشخاص والتجار من رعايا الباب العالي، فيما

(1) Ibid , P. 359-362.

أكدت المادة الحادية عشرة إلتزام البريطانيين بالقاعدة العثمانية التي تؤكد غلق المضائق بوجه سفن جميع الدول اذا كانت الدولة العثمانية ملتزمة جانب الحياد.

اما البنود السرية فقد نص البند الأول منها على انه في حالة قيام فرنسا بإعلان الحرب على الباب العالي أو ممارسة أي تهديد تجاهه نتيجة عقد هذه المعاهدة، فإن بريطانيا تتعهد بتقديم المساعدة للدولة العثمانية، وتلتزم ببذل كل جهودها لتأمين حماية الجزر والموانيء التابعة له، وأكد البند الثاني التزام بريطانيا بتقديم الدعم العسكري للعثمانيين المتمثل بالمدافع والذخيرة وجميع المعدات الحربية وأوصى البند الثالث بتقديم التعهدات جميعها التي تمت بين القادة البريطانيين والمفاوضين العثمانيين الخاصة بإخلاء الإسكندرية، إلى الحكومة العثمانية لغرض إقرارها والمصادقة عليها، فيما ورد في البند الرابع انه في حالة ابرام اتفاق سلم بين بريطانيا وروسيا قبل أن يتم ذلك مع الدولة العثمانية، فإن ملك بريطانيا يلتزم ببذل المساعي الحميدة لأجل الوصول إلى اتفاق سلم مشرف بين الدولة العثمانية وروسيا، وأن يراعى فيه استقلال الدولة العثمانية والمحافظة على ممتلكاتها، أما خاتمة المعاهدة فقد وردت فيها توصية ببقاء البنود الأربعة السرية طي الكتمان على جميع الدوائر، وتضمنت التزام بريطانيا بتقديم ثلاثمائة الف جنيه استرليني للحكومة العثمانية على دفعتين وخلال ستة اشهر من بدء تبادل وثائق معاهدة السلم هذه، وذلك تأكيداً من ملك بريطانيا لصداقته مع الباب العالي(١).

وليس ثمة شك حول ما حققته بريطانيا بموجب المعاهدة من افضليات واضحة وملموسة في الدولة العثمانية، فقد فعّلت من خلالها كافة المعاهدات المعقودة بين الدولتين سابقاً.واستعادت تبعاً لذلك امتيازاتها كافة في الدولة العثمانية، وهذا يعني انها فتحت حلقة من حلقات الحصار القاري المفروضة عليها، بأستئناف نشاطها التجاري في الدولة العثمانية، و انها وبموجب المواد السرية الملحقة فقد نسجت حلفاً دفاعياً مع الدولة العثمانية، أمنت من خلاله على مصالحها ليس في

(1) Treaty of peace and Commerce and Secret Treaty of Alliance between Great Britain and turkey , 5 January 1809 , cited in: The consolidated treaty Series , Vol60 , PP.323 -335 ; Hurewitz , Diplomacy in the Near and Middle East , Vol 1 , p81 -84 ; Howard , op ,cit , p15; Hurwitz , the Middle East and North Africa in word Politics , PP.189-191;

بكديللي، المصدر السابق ، ص٩٠.

الدولـة العثمانيـة فحسـب وانمـا فـي الهنـد ايضـاً مـن أي خطـر قـد يحـدق بهـا جـراء التقارب الفرنسي –الروسي، وفضلاً عن ذلك فلما كانت المعاهدة قد نصت على غلق المضائق العثمانية بوجه السفن الحربية العائدة لجميع الدول، ولما كانت الدولة العثمانية قد سمحت للسفن البريطانية بالعبور طالما أن الحلف الروسي – الفرنسي قائم، فقد كانت بريطانيا هي المستفيد الوحيد من مسألة غلق المضائق ، إما فيما يتعلق بالطرف المقابل فإن الدولة العثمانية وفي فترة أضحت فيها ملتقى السياسات الأوربية آنذاك، فقد ضمنت بموجب المعاهدة حلفاً مع بريطانيا ازاح عنها وحدتها في مواجهة الحلف الفرنسي – الروسي، و انها ولأول مرة (وبموجب المادة الحادية عشر من المعاهدة) ضمنت حقها بغلق المضائق بإعتراف دولي[١] فأصبحت هذه المعاهدة اساساً لمعاهدة لندن التي عقدت فيما بعد في الخامس عشر من تموز ١٨٤٠، التي أقرت فيها الدول الاخرى بالحق نفسه للدولة العثمانية[٢].

تعد معاهدة الدردنيل معاهدة متكاملة، فبالإضافة إلى تغطيتها للنواحي السياسية فإنها غطت مسائل العلاقة التجارية بين الدولتين، وعلى نحو جعل نصوصها تكون جديرة بأن تصاغ في ضوئها نصوص المعاهدات اللاحقة بين الدولتين كمعاهدة بالطه ليمان Balta Liman المعقودة في السادس عشر من آب ١٨٣٨[٣]، ولأجل وضع بنود معاهدة الدردنيل موضع التطبيق العملي واستئناف العلاقات الطبيعية بين الدولتين ، فقد ابحر روبرت اداير كسفير لبلاده من الدردنيل الى اسطنبول على متن احدى السفن الحربية البريطانية ووصل العاصمة العثمانية في الثاني عشر من كانون الثاني ١٨٠٩[٤].

(1)Shaw , Op .Cit, Vol 11 , p13

(٢) ماورد في المادة الحادية عشر من معاهدة الدردنيل، تكرر وبأقرار بقية الدول في المادة الرابعة من معاهدة لندن، للأطلاع على نص المعاهدة الأخيرة يراجع: البراوي ، راشد، مجموعة الوثائق السياسية، الجزء الأول، (المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس)(مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢)، ص١٧ -٢٠.

(٣) للأطلاع على نص المعاهدة يراجع:

Hurewitz , Diplomacy in the Near and Middle East , PP.110 -111 ;

الغنام، المصدر السابق، ص١٨٥ -١٨٧.

(4)Puryear , Op .Cit , p 364

الخاتمة

من خلال ما ورد في فصول الرسالة يمكن إن نسجل الملاحظات آلاتية:

١-تتبعت فصول الرسالة حقبة من تاريخ السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية منذ عام ١٧٩٨وحتى عام ١٨٠٩ ، على إن الفصل الأول منها عاد ليكشف عن الاتصالات المبكرة بين الطرفين التي بدأت منذ عام ١٥٥٣ على يد انطوني جنسكون وتوطدت في عام ١٥٨٣ على يد وليم هاربورن .

٢-إذ استثنينا روسيا يمكن القول بان أقدم اتصال مدون تم بين بريطانيا والشرق كان مع الدولة العثمانية قبل غيرها من أجزاء الشرق الأخرى لاسيما الهند وإيران.

٣-لم تكن تلك الاتصالات وليدة الصدفة بقدر ما هي نتيجة فرضتها جملة من الأسباب اختلفت في مضمونها، فمنها ما يتعلق بطبيعة تطور المجتمع البريطاني ورغبة البرجوازية التجارية بالانفتاح على العالم الخارجي سواء كان ذلك للحصول على أسواق لتصريف المنتجات البريطانية لاسيما الصوفية منها أم للحصول على مستلزمات تلك الصناعة . و شكلت سيطرة الدولة العثمانية على اغلب الطرق الموصلة إلى الهند وأسرعها سبباً أخر حتم على بريطانيا الاتصال بالدولة العثمانية للوصول إلى الهند ثم تطور هذا الهدف في وقت لاحق (أي بعد إن أصبح لبريطانيا مستعمراتها في الهند) إلى حماية هذه الطرق من أي محاولة تقوم بها دولة أخرى لتهديد هذه الطرق ،ويضاف الى كل تلك الأسباب طبيعة المواقف الدولية والتنافس الدولي للحصول على الامتيازات

٤-في الوقت الذي يمكن أن ينظر فيه إلى التوجه البريطاني المبكر نحو الدولة العثمانية على انه جزء من توجهها العام نحو الشرق لاسيما الهند ،الا انه في الوقت ذاته يمكن القول بان هناك أسباباً خاصة بالدولة العثمانية حركت بريطانيا نحوها بقوة ،ونجمل تلك الأسباب برغبة الدولة العثمانية في تحقيق مثل ذلك الاتصال .

٥-لأجل تنظيم تلك الاتصالات ووضع بنود المعاهدات التجارية بين البلدين موضع التطبيق الفعلي فقد أسست بريطانيا مجموعة من الشركات التجارية التي كانت بحق الأذرع التنظيمية لتلك العلاقة ، إلى درجة ان شركة الشرق الأدنى التي تأسست في عام ١٥٨١م كانت هي المسؤولة عن اختيار السفير البريطاني في اسطنبول وهي التي تؤمن له راتبه.



٦-بفضل شركتي الشرق الأدنى وشركة الهند الشرقية التي تأسست في عام ١٦٠٠م،فقد تغلغل النفوذ١ البريطاني في الأقاليم العثمانية تغلغلاً كبيراً هيأ للحكومة البريطانية فضلاً عن تحقيق مكاسبها التجارية ،سيطرة شبه مطلقة على طرق التجارة والبريد المارة عبر الدولة العثمانية .

٧- حتمت تلك المصالح على الحكومة البريطانية ان تقف موقفاً معارضاً لأي تهديد أوربي للدولة العثمانية من شأنه ان يلحق الضرر بتلك المصالح ،ومن هنا نشأ ما يسمى بمبدأ المحافظة على الممتلكات العثمانية في السياسة البريطانية ،الأمر الذي ظل ثابتاً حتى أواخر القرن التاسع عشر.

٨-لم تتضح السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية الا في العقد الاخير من القرن الثامن عشر عندما طغت الاعتبارات السياسية على غيرها من الاعتبارات وذلك بسبب التطورات على مسرح الاحداث في الشرق وقيام نابليون باحتلال مصر عام ١٧٩٨.

٩- نشأ علاقة طردية بين المصالح البريطانية في الهند ،والمصالح البريطانية في الدولة العثمانية، فكلما ازدادت المصالح البريطانية في الهند أو تعرضت إلى تهديد من قبل دولة أخرى ،انعكس ذلك بشكل واضح بزيادة اهتمام بريطانيا بالدولة العثمانية والطرق المارة عبرها ،وبلغ الأمر الذروة عندما سيطر نابليون على مصر في عام ١٧٩٨م، فأرتعدت لذلك الأوساط البريطانية سواء اكانت في لندن أم كلكتا اذ اعتقدت ان ذلك الغزو هو الخطوة الأولى للوثوب إلى الهند الأمر الذي دفع البريطانيين الى بذل مساعيهم الحثيثة تجاه كل ما يقع من بلدان في طريق الهند ومنها الدولة العثمانية التي ركزوا جهودهم الدبلوماسية فيها فتولد عن ذلك تقارب بريطاني -عثماني لا يشوبه أدنى شك، أسفر عنه القيام بعمليات عسكرية مشتركة بين الطرفين ، ووأد المشروع الفرنسي في مصر ،فتمت لبريطانيا بذلك ارجحيتها التامة في المنطقة.

١٠- خرجت الحكومة البريطانية من ذلك الصراع وهي تحمل مفهوما جديداً في سياستها الخارجية مفاده إن حماية مصالحها في الشرق مرتبط بإدامة تواجدها العسكري ،فأبقت على قواتها في مصر متذرعة في ذلك بحجج واهية ،لكن هذه المفهوم اصطدم بسياسية الباب العالي القائمة على رفض مسالة التواجد رفضاً قاطعاً ،الأمر الذي فتح الباب لفرنسا مرة أخرى كي تمارس نشاطها الدبلوماسي في اسطنبول ،مما نجم عنه استئنافاً للعلاقات الفرنسية- العثمانية وعقد معاهدة باريس بين الطرفين في عام ١٨٠٢م.



١١- كان التقارب العثماني- الفرنسي هو القاسم المشترك الذي جمع بين بريطانيا وروسيا على الرغم من الحذر البريطاني من المطامح الروسية في الدولة العثمانية، فقد مارس الطرفان ضغوطاً كبيرة على الحكومة العثمانية في محاولة منهما لزعزعة ذلك التقارب ليس إلا ومثلما شنت روسيا حرباً على الدولة العثمانية فقد أرسلت بريطانيا حملتين استهدفت الأولى منهما المضائق العثمانية ، بينما كانت الإسكندرية جهة الثانية. على ان الفرق بين الاثنين هو ان بريطانيا لم تكن تهدف من حملتيها اقتطاع أجزاء من الدولة العثمانية او إدامة احتلالها لها ،بل الضغط على الباب العالي لكسر عرى تحالفه مع فرنسا،على عكس هدف الجهد العسكري الروسي الذي كانت الغاية منه فضلاً عن ذلك اقتطاع الولايتين الدانوبيتين ،ولعل ذلك جاء بعد نفاذ الجهد الدبلوماسي البريطاني في تسوية الأمور بين الروس والعثمانيين بالطرق الدبلوماسية ،وعلى مضض من الحكومة البريطانية .

١٢- لم تجن بريطانيا من وراء حملتها على المضائق العثمانية سوى الفشل الذريع، ولم يختلف مصير الحملة البريطانية على الإسكندرية سوى في كثرة خسائرها.

١٣- لما كانت غاية الحكومة البريطانية من استعمال الجهد العسكري أو ما يسمى (أسلوب تخويف اسطنبول) هو الضغط على الباب العالي لفصم عرى تحالفه مع فرنسا ،إلا إن انعكاسات استخدام ذلك الأسلوب كانت وخيمة على العلاقات البريطانية – العثمانية ،اذ أنها لم تضف شيئاً سوى تعميق الفجوة بين بريطانيا والدولة العثمانية، وتعزيز التقارب الفرنسي – العثماني.

١٤- فضلاً عن تلك الخسائر التي منيت بها الحملتان والانعكاسات التي تولدت عنهما فقد شهد الموقف الدولي تغيرات جوهرية، شعرت الحكومة البريطانية من خلالها باستحالة العمل في ظلها وبقاءها على أسلوبها العسكري وضرورة النفاذ إلى الباب العالي لاستئناف العلاقات معه.

١٥- شكل التقارب الفرنسي – الروسي بعد معاهدة تلست أوسع فجوة وأفضل فرصة استغلتها بريطانيا للتقارب مع الدولة العثمانية،إذ وفر ذلك الأرضية السياسية المناسبة لكل من الطرفين للدخول في مفاوضات انتهت بعقد معاهدة الدردنيل في عام ١٨٠٩م.



قائمة المصادر

اولاً :الوثائق الأجنبية المنشورة:

- Andreson. M. S. The great powers and the near east 1774 – 1923. Documents of modern History , London , 1970.
- Douglas .C.D,English historical Document ,Vol.XI ,1783-1832,London .
- Dane .C, The Nelson touch, An anthology of lord Nelson letters ,London, 1942.
- Hurewitz. J C. Diplomacy in the near and Middle east , A .Documentary Record 1535 – 1914 , Vol. I, New York , 1956.
- —. The Middle east and North A frica in world politics , A documentary Record , 1535 – 1914 , Vol. I , Second Edition, London , 1975 .
- parry .C. The consolidated treaty series, Vol . 54 , 55 , 57 . 59 .60 ,New york,1969.

ثانياً:الوثائق العربية المنشورة:

- البراوي ، راشد، مجموعة الوثائق السياسية، الجزء الأول، (المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس) مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢.
- سي يو. اتجيسون بي سي أس، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند (البريطانية) والخليج والجزيرة العربية، ترجمة العميد الركن البحري عبد الوهاب عبد الستار القصاب، مراجعة وتقديم محمود على الداود، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١.
- لوريمر، دليل الخليج، القسم ألتأريخي، ج١ +٤ +٥ ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان أمير قطر، الدوحة، (د.ت).



ثالثاً: الرسائل الجامعية والاطاريح

- ❖ أحمد، بان غانم، العلاقات العثمانية الألمانية، ١٨٨٢ – ١٩١٨، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠١.
- ❖ الأموي، محمد عصفور سلمان، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وأثرها في المشرق العربي ١٨٣٩-١٩٠٨ أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.
- ❖ البديري، خضير مظلوم، سياسة بريطانيا تجاه إيران ١٨٩٦-١٩١٩، أطروحة دكتوراه مقدمه إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩١.
- ❖ التكريتي، نصير خير الله محمد، التغلغل الأجنبي في مصر، ١٨٦٣-١٨٧٩، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٥.
- ❖ الجبوري، أحمد عبد الله، الفكر السياسي في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى ١٨٥٠ – ١٩١٤، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العامي، ٢٠٠١.
- ❖ الحمدي، صبري فالح، الحجاز خلال القرن الثامن عشر، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية الجامعة المستنصرية، ١٩٩٦.
- ❖ الدليمي، سحر أحمد، السياسة البريطانية في الخليج العربي خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨، رسالة ما جستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١.
- ❖ الدليمي، فواز مطر، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٨٦٩ – ١٩١٤، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩
- ❖ الربيعي، هناء شاكر، التطورات السياسية في أيرلندا ١٧٨٩ -١٨٦٨، رسالة ما جستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٠.
- ❖ الزبيدي، عدنان هرير جوده، عمان وسياسة نادر شاه التوسعية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٨٣.
- ❖ السراي، فاطمة سلوم، العلاقات الفرنسية الإيرانية ١٨٠٤ -١٨١٤، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠٠٦.
- ❖ شطب، جاسم محمد، العلاقات السوفيتية التركية ١٩١٧ – ١٩٢٣، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥.



❖ الشويلي، زيدان حسان حاوي، مؤتمر فينا ١٨١٤-١٨١٥، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية – أبن رشد – جامعة بغداد، ٢٠٠٤.
❖ صالح، خليل إبراهيم، العلاقات البريطانية الإيرانية ١٨٥٧-١٩٠٧، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧.
❖ الصياد ،سامي صالح ، الصراع البريطاني الفرنسي على مشروع قناة السويس، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة بغداد، ٢٠٠٦.
❖ ــــــ، الموقف البريطاني من سياسة محمد علي باشا في اليونان وبلاد الشام، ١٨٢١ -١٨٤١، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠١.

❖ العبيدي، احمد ناطق، مضائق البسفور والدردنيل ١٧٧٤-١٨١٥، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية إبن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٣.
❖ العبيدي، سؤدد كاظم، السياسة البريطانية تجاه منطقة القرن الأفريقي، ١٨٣٩ – ١٩١٤، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.
❖ العكيلي، صالح حسن، بولندا ١٧٣٣ - ١٧٩٥، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد١٩٩٩ .
❖ الفتلاوي، آلاء حمزة، السياسة البريطانية تجاه تركيا ١٩١٩ – ١٩٢٣، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠٠.
❖ القهواتي، حسين احمد، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، ١٨٦٩-١٩١٤، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة بغداد، ١٩٧٨.
❖ القيسي، محمود عبد الواحد، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في الهند ١٦٠٠-١٦٦٨، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٣.
❖ المشايخي، علي خضير، إيران في عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨ – ١٨٩٦، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٨٧.
❖ ــــــــ، السياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٧٩٨ – ١٨٨٢، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية لآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧.



❖ المكصوصي، علي حسن علي، تطورات إيران الداخلية في ظل الاحتلال الأفغاني ١٧٢٢-١٧٢٩، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠٠٦.
❖ هادي جاسم محمد، التغلغل البريطاني في الهند ١٦٦٨-١٧٦٤. أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١.

رابعاً:الكتب العربية والمعربة:

❖ اباضة، فاروق عثمان، الحكم العثماني في اليمن، ١٨٧٢ -١٩١٨، القاهرة، ١٩٧٥.
❖ إبراهيم، أفندي، المصباح الساري ونزهة القاري، بيروت، ١٨٥٥.
❖ إبراهيم، عبد الفتاح، على طريق الهند، جمع وتحقيق شهاب احمد الحميد، تقديم كمال مظهر احمد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، بغداد، ٢٠٠٤.
❖ إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني ، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٨.
❖ إبراهيم، شحاته عيسى، القاهرة، دار الهلال، القاهرة، (د. ت).
❖ أبو حاكمة،احمد، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، نشأة وتطور الكويت والبحرين ١٧٥٠ – ١٨٠٠، ترجمة محمد أمين عبد الله، دار الحياة، بيروت، ١٩٦٥.
❖ أبو زيدون، وديع، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، عمان، ٢٠٠٣.
❖ أبو ياسين، محمد علي، العلاقات العمانية البريطانية ١٧٩٨-١٨٥٦، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨١.
❖ أحمد، كمال مظهر، النهضة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٩.
❖ ـــــ، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥.
❖ ـــــ،من تاريخ الحروب الإيرانية الروسية، بغداد ١٩٨٤ .



❖ الأسكندري، عمر وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر، مراجعة الميجر . ج . سفدج، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٢٤.
❖ أمين، عبد الأمير محمد، المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ – ١٧٧٨، ترجمة هاشم كاظم لازم ومراجعة مكي حبيب المؤمن، بغداد، ١٩٧٧.
❖ أنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ -١٩١٤، مطبعة الأنجلو المصرية (د.ت).
❖ اوزتونا، يلماز، تأريخ الدولة العثمانية، ج١، ترجمة عدنان محمود سلمان ومراجعة محمود الأنصاري، اسطنبول، ١٩٨٨.
❖ إيفانوف، نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦ – ١٥٧٤، ترجمة، يوسف عطا الله، مراجعة مسعور ظاهر. بيروت ١٩٨٨.
❖ بالمر. ر. روبرت، تاريخ العالم الحديث، ترجمة محمود حسن الأمين، ج١، بغداد، ١٩٦٣.
❖ بانيكار. ك. م. ، أسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٦٢، ص٥٥.
❖ البراوي، فتحية ومحمد نصر مهنا،الخليج العربي، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية،منشأة المعارف الإسكندرية، (د. ت).
❖ براون، كارل، السياسة الدولية والشرق الأوسط ترجمة عبد الهادي حسين ومراجعة سعد ناجي، بغداد، ١٩٧٨.
❖ البطريق ،عبد الحميد وعبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، مطبعة الرياض، الرياض (د. ت).
❖ بوندا ريفسكي، الغرب ضد العالم الإسلامي من الحملات الصليبية حتى أيامنا، ترجمة الياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٥.
❖ بولارد، ريد، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى ١٩٥٢، ترجمة حسن احمد السلمان، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٦.
❖ بيربي، جان جاك، الخليج العربي، دار الكشاف، بيروت، د.ت.
❖ التكريتي، هاشم، المسألة الشرقية المرحلة الأولى ١٧٧٤ – ١٨٥٦، بغداد، ١٩٩٠.



❖ الثور،محمد عبد الله ، هذه هي اليمن، مطبعة المدني، صنعاء، ١٩٦٩.
❖ جارشلي، إسماعيل حقي أوزون، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة خليل علي مراد، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٥.
❖ جب، هاملتون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج١، ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف،القاهرة، .
❖ الجبرتي،عبد الرحمن، عجايب الآثار في التراجم والأخبار، ج٤، تحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧.
❖ ـــــ،عجايب الاثار في الراجم والاخبار،ج١،دار الجيل ،بيروت،(د.ت)
❖ ـــ، مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس (يوميات الجبرتي)، ج٢، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
❖ جرانت أ. ج. وهارولد تمبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ – ١٩٥٠، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم وبهاء فهمي، القاهرة، ١٩٦٧.
❖ الجمل، شوقي عطا الله، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٧٤.
❖ جوان ادوار، مصر في مطلع القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود، ط٢، القاهرة، ١٩٣١.
❖ جودت، احمد إسماعيل، تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر الدنا، ج١، بيروت ١٨٩٠.
❖ حجر، جمال محمود، القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين، تقديم عمر عبد العزيز عمر، الإسكندرية، ١٩٨٩.
❖ حسون، علي، العثمانيون والبلقان، ط٢، بيروت، ١٩٨٦.
❖ ـــ، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ط٣، بيروت، ١٩٩٤.
❖ حسين، فاضل وكاظم هاشم نعمه، التاريخ الأوربي الحديث ١٨١٥-١٨٣٩، بغداد، ١٩٨٢.
❖ الحمداني، طارق نافع، ملامح سياسية وحضارية في تأريخ العراق الحديث والمعاصر، الدار العربية للموسوعات، بيروت ١٩٨٩.
❖ الحويك، الياس، تأريخ نابليون الأول، ج٢، منشورات دار الهلال، بيروت١٩٨١.



❖ الخطيب، مصطفى عقيل، التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢ - ١٧٦٣، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨١.
❖ الخطاب، رجاء حسين، العراق والصراع العثماني الفارسي، بغداد، ٢٠٠١.
❖ خليل اينالجيك، تأريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى ألانحدار، ترجمة د. محمود الأرناؤوط، دار المدار ألإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.
❖ خوري، أميل وعادل اسماعيل، السياسة الدولية في المشرق العربي من سنة ١٧٨٩ إلى سنة ١٩٥٨، ج١، من الثورة الفرنسية ١٧٨٩ إلى مؤتمر فينا ١٨١٥، بيروت، ١٩٥٩ .
❖ دانتسينغ.ب.م، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة معروف خزندار، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١.
❖ الدجيلي، حسن مجيد، إيران والعراق خلال خمسة قرون، دار الأضواء بيروت ١٩٩٩.
❖ الدسوقي، محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، ١٩٧٦.
❖ الراقد، محمد عبد المنعم، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة ،الإسكندرية، ١٩٧٢.
❖ الربيعي ، هيفاء عبد العزيز، غزاة في الخليج الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية دراسة تاريخية، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٩.
❖ الرافعي، عبد الرحمن، تأريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨.
❖ رزق، يونان لبيب ومحمد مزين، تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى العام ١٩١٤، الدار البيضاء،١٩٨٠.
❖ رفاعي،عبد العزيز، انتصار،مصر في رشيد ١٨٠٧،دار القلم،القاهرة، ١٩٦٢.
❖ رفعت، محمد، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، دار المعارف، القاهرة .
❖ زكي، عبد الرحمن، القاهرة تاريخها وأثارها ٩٦٩ -١٨٢٥، الرابطة المصرية للتأليف والنشر القاهرة، ١٩٦٦.
❖ : زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوربي، دراسة في المؤثرات الأوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١.



❖ سرهنك، إسماعيل، حقايق الأخبار عن دول البحار، ج١، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، ١٨٩٤.
❖ السروجي، محمد محمود، تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور، الإسكندرية، ١٩٦٣.
❖ السعدون، حميد حمد ،إمارة المنتفك وإثرها في تاريخ العراق والمنطقة الإقليمية، ١٥٤٦ ــ ١٩١٨ عمان، ١٩٩٠.
❖ سعيد، أمين، تاريخ الاستعمار الأوربي في بلاد العرب،ج١، تاريخ الاستعمار الإنكليزي في بلاد العرب، مطبعة عيسى الباب وشركاه، القاهرة، (د.ت).
❖ ـــــ، تاريخ مصر السياسي من الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ إلى انهيار الملكية،القاهرة،(د.ت).
❖ الشاذلي، محمود، المسألة الشرقية: دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩-١٩٢٣، القاهرة، ١٩٨٩.

❖ شارويم بك، ميخائيل، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ج٣، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٨.
❖ شبيكة، مكي، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي، بيروت،١٩٦٥.
❖ شريف ،إبراهيم، أوربا. دراسة إقليمية لدول أشباه الجزر الجنوبية، الإسكندرية، ١٩٦٠.
❖ الشناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠.
❖ شكري، محمد فؤاد واخرون ، نصوص ووثائق في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت).
❖ ـــــ، الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، القاهرة، (د.ت).
❖ ـــــ، مصر في مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ ــ ١٨١١، ج١ +٢، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٥٨.
❖ صالح، زكي، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤، دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، بغداد، ١٩٦٨.



❖ صالح، محمد محمد، أوربا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩، بغداد، ١٩٨٢.
❖ صفوت، محمد مصطفى، المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٨.
❖ الصلابي، علي محمد محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، القاهرة، ٢٠٠٤.
❖ طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ١٢٩٩-١٩١٤، بيروت ١٩٩٥.
❖ طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩.
❖ العابد، صالح، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ – ١٨١٠، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٩.
❖ ــــــــ،دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧-١٨٢٠،مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٦،.
❖ العامر، يقظان سعدون، نشاط شركة الهند الشرقية الإنكليزية في البصرة، مطابع التعليم العالي، البصرة١٩٩٠.
❖ عبد الكريم، احمد عزت، دراسات في تأريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠.
❖ العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ت).
❖ ــــ، الاستعمار في الخليج العربي، القاهرة (د. ت).
❖ علي، شاكر علي، تأريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ – ١٧٥٠، نينوى ١٩٨٥.
❖ علماء الحملة الفرنسية، وصف مصر، ج١، المجلد الرابع، موسوعة الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، ترجمة زهير الشايب، القاهرة، ١٩٧٨.
❖ غرايبة، عبد الكريم محمود، تاريخ العرب الحديث، المطبعة الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٨٤.



❖ الغنـام، سـليمان، سياسـة محمـد علـي باشـا التوسـعية فـي الجزيـرة العربيـة والسودان واليونان وسوريا ١٨١١ -١٨٤٠، ط٢، بيروت، ٢٠٠٤ .
❖ فشر، هربـرت، أصـول التـأريخ الأوربـي الحديث من النهضـة الأوربيـة الـى الثورة الفرنسية، ترجمة زينب عصمت راشد، واحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢.
❖ ـــــــ،أوربا فـي العصـر الحـديث ١٧٩٨-١٩٥٠، تعريـب أحمـد نجيـب هاشـم ووديع الضبع، ط٢، القاهرة، ١٩٧٢، ص٥٤؛
❖ فيدوسوف، بيفانوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة خيري الضامن ونيقولا طويل، دار التقدم، موسكو، (د. ت).
❖ كامل، مصطفى، المسألة الشرقية، القاهرة، ١٨٩٨.
❖ كبـة، إبـراهيم، دراسـات فـي تـاريخ الاقتصـاد والفكـر الاقتصـادي، ج١، ط٢، بغداد، ١٩٧٧.
❖ كتانه، محمد سعيد ، الترك والعرب دراسة مختصره لتأريخ علاقات الترك والعرب من العصور القديمة إلى أواخر القرن العشرين، أنقرة، ٢٠٠١.
❖ كرسـتوفر، هيرولـد، بونـابرت فـي مصـر، ترجمـة فـؤاد أنـدراوس، القـاهرة، (د.ت)، ص
❖ كـواترت، دونالـد، الدولـة العثمانيـة ١٧٠٠ – ١٩٢٢، ترجمـة أمـين منـازي، الرياض، ٢٠٠٤.
❖ كيلـي، جـون، بريطانيـا والخلـيج العربـي ١٧٩٥-١٨٧٠، ج١، ترجمـة محمـد أمين عبد الله،مطبعة عيسى البابي وشركائه، ١٩٦٥.
❖ لبيب، حسين، تاريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٢١.
❖ لوتسكي، فلاديمير، تاريخ الأقطـار العربية الحـديث، ترجمـة عفيفـة البسـتاني، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١
❖ لونكريك، سـتيفن همسلي، أربعـة قرون من تـاريخ العراق الحـديث، ترجمـة جعفر خياط، بغداد، ط٤، ١٩٦٨.
❖ ليفبيـر، جـورج، عصـر الثـورة الفرنسـية، ترجمـة جـلال يحيـى، دار الكتـب الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٠.
❖ المحامي، محمد فريد بك، تأريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧.
❖ مصطفى، احمد عبد الرحيم، أصول التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٨٢،.



❖ المقرحي، ميلاد، تأريخ أوربا الحديث ١٤٥٣ ــ ١٨٤٨، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٦.
❖ النجار، مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي الإمارة عربستان العربية ١٨٩٧ ــ ١٩٢٥، دار المعارف، مصر، ١٩٧١ .
❖ نوار، عبد العزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، ج٢، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧١.
❖ ـــــ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٦٨.
❖ ـــــ، المصالح البريطانية في انهار العراق ١٦٠٠ ــ ١٩١٤، القاهرة، ١٩٨٨.
❖ ـــــ، داود باشا والي بغداد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.
❖ نورس، علاء، حكم المماليك في العراق،١٧٥٠-١٨٣١، بغداد، ١٩٧٥.
❖ ـــــ، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠ ــ ١٨٠٠، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٩.
❖ نورس، علاء، وعماد عبد السلام رؤوف، إمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢.
❖ هارولد ف. يعقوب ك. س. آي، ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد الضواحي، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.
❖ هيو. ج، شونفيلد، قناة السويس، ترجمة احمد خاكي، القاهرة، ١٩٤٥.
❖ الوردي، على لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، قم، ٢٠٠٤.
❖ يانج، جورج، تاريخ مصر في عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل باشا، تعريب علي أحمد شكري، المطبعة الرحمانية، (د.ت).
❖ ياغي، إسماعيل احمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الرياض، ١٩٩٦.
❖ يحيى، جلال، البحر الأحمر والاستعمار، القاهرة، ١٩٦٢.
❖ ـــــ، مصر الحديثة ١٥١٧ ــ ١٨٠٥، الإسكندرية (د.ت).



❖ ـــ، المجمل في تاريخ مصر الحديث، ط٢ ،الإسكندرية،١٩٨٤.
❖ اليوسف، عبد القادر احمد، العصور الوسطى الأوربية ٤٧٦-١٥٠٠، بيروت، ١٩٦٧.

خامساً:الكتب باللغة الإنكليزية:

❖ Arnold .Divad ,The Age of discovery 1400-1600 , London ,(N.D).
❖ Anderson, The Eastern Question 1774- 1923 , A study in international Relation , New York , 1966 .
❖ ——, Britain's Discovery of Russia 1553-1815, London, 1958
❖ Antoine , A, Memoirs of Napoleon Bonaparte, Edited by R. w. Phipps , Vol 11, New York , 1991.
❖ Armajani, yahya, Middle East past and present, New Jersey, 1970.
❖ Baily , frank Edgar , British policy and the Turkish Reform Movement , A study in Anglo –Turkish Relations 1826-1853 , New York , 1970 .
❖ Bigham, Clive, The prime Ministers of Britain , New York, 1922 .
❖ Brace .M. Richard , The Making of Modern world , New York , 1960 .
❖ Bryant .Arthur, The years of Endurance 1793 – 1802, London, 1944 .
❖ Creasy. E. S, Turks, London, 1958.
❖ ——, History of Ottoman Turks, from the beginning of Empire to the present time, Vol. II, London, 1956.



- Chandler, David, The compaigns of Napoleon, London, 1967.
- Cavin , Aden under British rule 1839 -1967 , London , 1975
- Duffy , Christopher , Russia's Military way to the west Origins and Nature of Russian Military power 1700 – 1800 , London , 1973 .
- Dodwell, Henry, The founder of modern Egypt A study of Muhammad Ali, Cambridge, 1931.
- Fisher.W.B.The Middle east, London (N.D).
- Fisher . H . A . l, Napoleon, oxford university press,1965.
- 16-Grant. A . G . A History of Europe, Part IV Europe in the nineteenth, Century 1789 -1918, London(N.D).
- —— ,Outlines of European History, London, 1958.
- Ghorbal . M . S . The beginning of the Egyptian Questions and the rise of Mohamed Ali, A study in the Diplomacy of the Napoleonic era based on Research in the British and French Archives , London , 1928.
- George. M. F. A history of England, New York , 1957
- Hayes. J. Carlton, History of Europe, Vol. II, New York, 1949..
- Hoskins.H.L.British Routes to India ,London ,1966 .
- Huseyn.E., Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution, cambridge, 1964.
- Harold. J. C., the Age of Napoleon, New york, 1963, P.7; Anderson, the eastern Question.
- Holt, P. Egypt and the fertile crescent 1516-1922 Apolitical History, New York, 1966.
- Jones, Colin, the Longman companion to the French revolution 3rd, Malaysia, 1998.



❖ Kaman. Henry Spain 1469-1714 A society of Conflict , Second Edition, 1991.
❖ Kour. Z. H, The History of Aden 1839-1872, London, 1981.
❖ Kirk, G. E, A short History of middle east from the rise of Islam to modern time, London, 1961.
❖ Kinross , The ottoman centuries , The rise and Fall of the Turkish Empire , New York , 1977.
❖ Lunt. M. E, History of England, Third Edition, New York, 1947.
❖ -Lockhart, L, Nadir shah.acritical study based minly up on contemporary sources, London , 1938.
❖ Lenczwski. G. The Middle east in world Affiars, London , 1980
❖ Lewis, Geoffery, Turkey, second edition, London, 1960.
❖ Lipson. E, Europe in the nineteenth century 1815 – 1914, 6th edition, London, 1944.
❖ Miller.W, The Ottoman Empire and its successors 1801 - 1927, (London,1966) ..
❖ Masani , R. P, Britain in India an account of British Rule in the indian sub continent , oxford university press, 1962 .
❖ Marriott, the eastern Question, An Historical study in European Diplomacy, oxford, 1969.
❖ Morfill.W. R, A history of Russia, from the Birth of peter the great to the Death of Alexander 11, London , 1902.
❖ Mowat R.B , Europe and the Modern world 1492 – 1918 , oxford , 1929
❖ Parry.V.J, A. History of the ottoman empire to 1730, Cambridge, 1976.



❖ Perry. J. R, Karim khan azanad , A. History of Iran 1747-1779, London, 1919.
❖ Pares , B. A History of Russia , New York , 1948.
❖ Parker and others, Modern turkey , London, 1940 .
❖ Puryear , v, J , Napoleon and Dardanlles, university of California press, 1951.
❖ Plump. J. H. England in the Eighteenth Century 1714-1815, London, 1950.
❖ Rywikin M. Russian colonial Expansion to 1917, New York ,1965.
❖ Renouf. V. A, Outlines of general History, London, 1910.
❖ Rifaat Bey. M. The Awakening of Modern Egypt, London, 1961.
❖ Robeinson .J .H . and others, A general History of Europe , part II , Recent European History , Boston , 1926 .
❖ Searight. Sarah, The British in the Middle East, London , 1969.
❖ Smith. G.R. Alon, The Emergence of Anation state, The common wealth of England 1529 – 1660, Second Edition, 1997.
❖ Sykes , P., History of Persia, Vol. II, London, 1958.
❖ Show Stanford , History of ottoman Empire and Modern turkey , Vol. I ,Empire of the Gazis. The Rise and Decline of the ottoman Empire 1280-1808, Cambridge university press, 1976.
❖ Show ,S .,and Ezel kural shaw ,History of ottoman Empire ad Modern Turkey ,VoL.II ,London,1978
❖ Smith . L . Cecil, Main correnrs in world History, London, 1922.
❖ Stewart . Desmond , yaung Egypt, London, 1964 .



❖ Temprely.H.The crimea. England and Near east , London , 1964.
❖ Toynbee. A, Turkey, London , 1926 .
❖ Thomson, David, Europe Since Napoleon, London, 1954
❖ Vernadsky , political and Diplomatic History of Russia , Boston , 1936,
❖ vatikiotis . p . j, the History of egypt, theird edtion, London, 1985.
❖ Wood, Alfred Cecil, History of Levant company, Second Edition, London, 1964.
❖ Williams.A, Britain and France in the Middle east and North affrica 1914 – 1967, New york 1968 .
❖ William, Basil. The British Empire, Second Edition, London, 1944.
❖ Wilson. Arnold , The Persian Gulf An History stitch from the earliest times to the beginning of the twentieth century , London , 1954 .
❖ Williamson. A, James , A short History of British expansion , The modern empire and commonwealth , Second Edition , London. 1934 .
❖ -Wren. C. Melvin, The Cores of Russian History, Second Edition, New York, 1963 .

سادساً:الكتب باللغة العثمانية:

❖ جودت، تأريخ جودت، جلد ثامن، اسطنبول، ١٣٠٩.
❖ رشاد، علي وعلي سيدي، تاريخ عثماني، اسطنبول، ١٣٢٧هـ

سابعاً:الكتب باللغة التركية:



- ❖ Akcura. yusuf, Osmanli Devletinin degilma devri, Ankara, 1988.

ثامناً :الكتب باللغة الفارسية:

- ❖ أميني، أيرج، نابليون وإيران، ترجمة اردشير لطيفعليان، تهران، ١٣٧٨.
- ❖ بينا، على اكبر، تاريخ سياسي ودبلوماسي إيران، جلد أول، تهران، ١٣٤٢.
- ❖ شهباز أزاد مهر، تاريخ إيران از د بروزتا أمروز، باربد، تهران ١٣٨٣.
- ❖ ميرزا مهدي خان استربادي، جهانكشاي نادري، تهران، ١٣٣١.

تاسعاً:الكتب باللغة الفرنسية

- ❖ Charles . H, histoire De L' Egypt, Vol. I, Paris, 1940.
- ❖ Jonquier, Histoire De L' empire ottoman, Paris, 1914.
- ❖ Olivier. G. Voyage don's Empire ottoman , I. Egyte et persie 1801 – 1807, Tome I, Paris.
- ❖ Vajunay. H, Histoire De L'Egypt, Paris, 1885.

عاشراً:الكتب باللغة الروسية:

- ❖ Ivanov, M .S. Histori Irana, Moscow , 1952.

الحادي عشر:البحوث باللغة العربية:

- ❖ إبراهيم، محمد فؤاد وآخرون، اللورد نلسن، مجلة المعرفة، العدد ٧٧، المجلد ١٧، جنيف، ١٩٧١،ص ١٢٢٨.
- ❖ أبشيرلي،محمد،"نظم الدولة العثمانية" ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة) اشراف وتقديم اكمل الدين إحسان اوغلو،المجلد الاول ،ترجمة صلاح سعداوي،اسطنبول ،١٩٩٩.
- ❖ ابو ثرب، احمد، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الأحمر والخليج العربي، وما تولد عنه من ردود



فعل، مجلة الخليج العربي، المجلد السادس عشر، العدد ألأول، البصرة، ١٩٨٤ .

❖ إسماعيل، جاكلين، سياسة بريطانيا في الخليج والكويت في القرن التاسع عشر، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد، ١٦، السنة الرابعة عشر، تشرين الأول الكويت،١٩٧٨.

❖ أمجن،فريدون،" التاريخ السياسي للدولة العثمانية منذ قيام الدولة حتى معاهدة قينارجة الصغرى"ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)المجلد الأول.

❖ أمين، عبد الأمير محمد، سجلات يوميات مقيمية البصرة ١٧٩٨-١٨١١، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤، بغداد، ١٩٨٠.

❖ ــــــ، الشركات الانكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد (١٢)،بغداد، ١٩٨٠.

❖ ــــــ، دور القبائل العربية في صد التوسع الأوربي في الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، من بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، ٢٥ آذار،بغداد، ١٩٧٣.

❖ ــــــ، المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وأثرها في الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد ٨، البصرة، ١٩٧٧.

❖ انيس، محمد، النشاط الأوربي بمصر وجيرانها اواخر القرن الثامن عشر – مصادره – وثائقه، المجلة التاريخية المصرية، العدد ٢، المجلد ٢، القاهرة، تشرين الأول، ١٩٤٩.

❖ اوزجان،عبد القادر"النظم العسكرية العثمانية" ضمن كتاب(الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)المجلد الاول.

❖ البديري، خضير مظلوم، العلاقات الفرنسية الإيرانية ١٨٠٤ – ١٨٠٩، مجلة القادسية، المجلد الأول، العدد الثالث، ايلول / تشرين الأول،القادسية، ٢٠٠١.

❖ بكديللي،كمال "الدولة العثمانية من معاهدة قينارجة الصغرى وحتى الانهيار" ضمن كتاب (الدولة العثمانية تاريخ وحضارة)،المجلد الاول .



❖ البيضـاني، ابـراهيم سـعيد، العلاقـات البريطانيـة – الفرنسـية ١٧٩٨-١٨١٥ وتأثيرهـا فـي الولايـات المتحـدة، مجلـة دراسـات فـي التـاريخ والآثـار، العـدد ٦،بغداد، ٢٠٠١.
❖ التدمري، احمد جلال، قراءات أرشيفية في الوثائق الهولندية المكتشفة حديثاً وفي الصراع الدولي على الخليج العربي، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٣٤، السنة ١٣،بغداد، ١٩٨٧.
❖ التكريتـي ،هاشـم صـالح ،الصـراع الروسـي- الفرنسـي فـي البلقـان فـي مطلـع القـرن التاسـع عشـر ، مجلـة المـؤرخ العربـي ،العـدد٤٠ ،السـنة ١٤،بغـداد، ١٩٨٩.
❖ ـــ،الصراع الدبلوماسـي بين انكلترا وفرنسـا قبيـل حـرب المئـة عـام ١٣٢٩-١٣٣٧،المجلة التاريخية العراقية ،العدد الرابع ،بغداد ،١٩٧٥ .
❖ جاسـم، عبـد ١٠ الجبـار عطيـوي، ملاحظـات حـول أسـاليب تغلغـل النفـوذ الأوربـي فـي الخلـيج العربـي قبـل الحـرب العالميـة الأولـى، مجلـة الخلـيج العربي، جامعة البصرة، العدد ، ١٩٧٨.
❖ الجـواهري، عمـاد احمـد، الـدور التـاريخي للبصـرة علـى الخلـيج العربـي، ١٥٠٠-١٦٠٠، مجلـة دراسـات الخلـيج والجزيـرة العربيـة العـدد١٣،السـنة الرابعة، الكويت، كانون الثاني، ١٩٧٨.
❖ الجـوراني، عبـد الزهـرة مكطـوف، دور روسـيا القيصـرية فـي الإطاحـة بنابليون، مجلة الفتح، الجامعة المستنصرية، المجلد الثاني، العدد ٣، ١٩٩٨.
❖ حاتم، صالح محمد، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية في الهند والمحـيط الهنـدي (١٦٠٠-١٧٥٦) مجلـة المعلـم الجـامعي، العـدد٣، البصرة،١٩٩٩.
❖ ريان، محمد رجائي، مصـالح فرنسـا الاقتصـادية فـي سـوريا ١٥٣٥-١٩٢٠، مجلة دراسات تاريخية، السنة ٨ العددان٢٧، ٢٨، دمشق، ١٩٧٨.
❖ السامرائي، نوري، تطلعات روسيا القيصرية نحو فلسطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المجمع العلمـي، ج٤، المجلـد الواحـد والخمسـون، بغداد، ٢٠٠٤.
❖ ـــــــ، النضال الوطني في جنوب أفريقيا في القرن الثامن عشر والتاسـع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد٣١، السنة الثانية عشرة،بغداد، ١٩٨٧.



❖ الصباح، ميمونه خليفه، علاقات الكويت الخارجية خلال القرن الثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي،العدد ٣٤ السنة ١٣، بغداد،١٩٨٨.
❖ صفوت، محمد مصطفى، الجلاء الإنكليزي عن مصر وبعثه سير هنري درومندولف، المجلة التاريخية، المجلد الثاني، العدد الأول، القاهرة، ١٩٤٩.
❖ الصياد، محمد محمود، الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٤، بغداد، ١٩٨٠.
❖ الطعمه، باسم حطاب، الموقف الرسمي العثماني من الاحتلال الفرنسي لمصر ١٧٩٨ -١٨٠١، دراسة تحليلية في ضوء الوثائق العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان الثالث والرابع،بغداد، ١٩٩٩.
❖ العابد، صالح محمد، هل استهدفت الحملة الفرنسية لمصر غزو والهند مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الأول، بغداد، ١٩٨١.
❖ عبد الحسين، فلاح حسن، مدينة البصرة كما وصفها الرحالة الأجانب في العصر الحديث، موسوعة البصرة الحضارية الموسوعة التاريخية، جامعة البصرة، ١٩٨٩.
❖ العزاوي، محمد عبد الله، نشاط فرنسا السياسي في الخليج العربي والإجراءات البريطانية المضادة ١٧٩٣ – ١٧٩٨، مجلة الخليج العربي، المجلد ١٨، العددان الثلاث والرابع البصرة، ١٩٨٦.
❖ غربال، محمد شفيق، مصر عند مفترق الطرق ١٧٩٨ – ١٨٠١، (المقالة الأولى)، (ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندي أحد أفندية الروزنامه في عهد الحملة الفرنسية)، مجلة كلية الآداب، المجلد ٤، ج١، القاهرة، أيار ١٩٣٦.
❖ فنشتاين، جيل، " الإمبراطورية في عظمتها، القرن السادس عشر " ضمن كتاب(تاريخ الدولة العثمانية) ج١، أشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٣.
❖ القهواتي، حسين أحمد، أضواء على تجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة الخليج العربي، المجلد ٢٢، العدد ٢،البصرة، ١٩٨٠.
❖ مانتران، روبير، "الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر، الضغط الأوربي"، في كتاب (تاريخ الدولة العثمانية)، الجزء الأول.
❖ المبارك، صفاء عبد الوهاب، البصرة في العهد العثماني ١٦٣٨ – ١٨٠٠، موسوعة البصرة الحضارية الموسوعة التاريخية، جامعة البصرة، ١٩٨٩.



❖ محمد، نجاح، من معطيات المسألة الشرقية العربية ،التآمر البريطاني – العثماني والوجود المصري في شبه جزيرة العرب ١٨١١ – ١٨٤٠، دراسات تاريخية، بيت الحكمة السنة الحادية والعشرين، العددان ٧١، ٧٢، تموز،١٩٩٩.
❖ محمود، صالح رمضان، الصراع الإنكليزي الفرنسي في مصر ١٧٦٣ – ١٨٨٢، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٧ تموز، الكويت، ١٩٧٦.
❖ محمود، عبد الواحد ، الدولة العثمانية بين الميول الانفصالية ومحاولات الحكم المركزي ١٨٠٨ – ١٨٣٩، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد السابع، بغداد، ٢٠٠١.
❖ المشهداني، خليل إبراهيم صالح، موقف بريطانيا من نشاط القوى المحلية والإقليمية والدولية في الخليج العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية العشرين، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد٥٤، ٢٠٠١.
❖ مرشو، غريغوار، الدولة العثمانية، قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢١٧، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧.
❖ النجار، مصطفى عبد القادر، شركة الهند الشرقية. ملامحها وابرز سماتها في الخليج العربي ١٦٠٠-١٨٥٨، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٥، السنة الرابعة، تموز، الكويت، ١٩٧٨.
❖ ـــــ، عربستان وشخصيتها العربية، مجلة الخليج العربي، المجلد، ١٣، العدد ١٢، البصرة، ١٩٨١.
❖ نورس، علاء، مدى مسؤولية الأنكشارية في تدهور الدولة العثمانية، مجلة كلية الآداب، العدد ٣٠، بغداد، ١٩٨١.
❖ ـــــ، الدبلوماسية البريطانية في العراق ١٨٠٨ – ١٨٢٣، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٨،بغداد، ١٩٨١.
❖ الوائلي، طاهر يوسف، خصائص الاقتصاد العثماني خلال النصف ألأول من القرن السادس عشر، مجلة دراسات نجفية، العدد الأول، الكوفة، ٢٠٠٤.

الثاني عشر:البحوث باللغة الإنكليزية:



Brun, G. The Balance of power during the years 1793-1814, in the New Cambridge modern History, Vol .IX Cambridge university press, 1956.
Crawley , The near east and the ottoman Empire 1798- 1830 , in the new Cambridge modern History, Vol. IX, Cambridge university press , 1965 .
Findiey.R. Carter , the foundation of the ottoman foreign Ministry , international of Journal of middle east studies of , Vol,3,Cambridge , July , 1972.
Karpat. H. Kemal , The , Transformation of the ottoman state 1789 – 1908 , in international of journal Middle east studies, Vol,3 , Cambridge , July , 1973.
Savory. R. M. British and French Diplomacy in Persia 1800 – 1810 , Iran Journal of the British Institute of Persian studies, Vol X , London, .

الثالث عشر :الموسوعات:

❖ بالمر،ألان ،موسوعة التاريخ الحديث(١٧٨٩-١٩٤)،ج٢،ترجمة سوسن فيصل ويوسف محمد مراجعة محمد مظفرالادهمي ،بغداد،١٩٩٢.
❖ شلبي ،احمد ،موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مطبعة النهضة المصرية،القاهرة ،١٩٨٦.
❖ العريس، محمد، موسوعة التاريخ الإسلامي،العصر العثماني ، دار اليوسف، بيروت، ٢٠٠٥.

The New Encyclopedia Britannica, Vol.8, The University of Chicago, 1968
Everyman's Encyclopedia, Vol. 3, London, 1958
Encyclopedia Britannica ,U.S.A, Vol,17,1970.

أربعة عشر:الشبكة العالمية للمعلومات(الانترنت):



www.enerjiychatlane.ry/pages/gueenelizabeth The first. html
http://ar.wikipedia.org.2007.P.3
http//www.alrawahy.8k.com/alya3arb.htm
http//:www.al-arabay.com/articles/1018/060723-1010
www.victorianweb.org/history/bms/willimbitt.
http:// Ju . edu . Jo / publication / cultur . AL mandeb.
http://www.cairocitdel.gav.eg/ Egypt_in_frecch_A.html .
http://www.Hukam.net.

خمسة عشر:الصحف والمجلات:

❖ جريدة السياسة، بغداد، العدد، ٣٨٠، ١٢ شباط ١٩٣١.
❖ ـــــ،بغداد، العدد ٣٨٦ في ٢٢ شباط، ١٩٣١.
❖ جريدة نداء الشعب، بغداد، في ١٣ و ٢٠ كانون الثاني، ١٩٣١.
❖ مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد التاسع، أيلول، بغداد، ١٩٩٣.



الملاحق

الملحق رقم (١)

رؤساء الوزارات البريطانية المعاصرين لمرحلة البحث ١٧٩٨-١٨٠٩[١]

وليم بت	W. pitt	كانون الأول ١٧٨٣ – شباط ١٨٠١
هنري أدنكتون	H. Addington	آذار ١٨٠١ – نيسان ١٨٠٤
وليم بت	W. Pitt	نيسان ١٨٠٤ – كانون الثاني ١٨٠٦
اللورد جورج كرنفل	l.G. Grenville	شباط ١٨٠٦ – آذار ١٨٠٧
الدوق بورتلاند	Duke Portland	آذار ١٨٠٧ – تشرين الأول ١٨٠٩

(1) Bigham, Clive, The prime Ministers of Britain , New York, 1922 , P. 321.



الملحق رقم (٢)

سفراء بريطانيا في الدولة العثمانية ١٥٨٢ -١٧٩٨[١]

وليم هاربورن	W. Harborne	١٥٨٨- ١٥٨٢
أدوارد بارتون	E. Barton	١٥٩٧ – ١٥٨٨
هنري ليلو	H. Lello	١٦٠٦- ١٥٩٧
توماس كلوفر	T. Glover	١٦١١- ١٦٠٦
باول بندار	P. Pindar	١٦١٩ – ١٦١١
جون أيري	J. Eyre	١٦٢١ -١٦١٩
جون كابمان (وكالة)	J.Chapman	١٦٢٢ -١٦٢١
توماس رو	t. Roe	١٦٢٨ – ١٦٢٢
بيتر وايك	P. Wyche	١٦٣٨ – ١٦٢٨
ساكفل كرو	S. Crowe	١٦٤٧ – ١٦٣٨
توماس بندش	T. Bendysh	١٦٦١ – ١٦٤٧
هينك فنش	H. Finch	١٦٦٩ – ١٦٦١
دانيال هارفي	D. Harvey	١٦٧٢ – ١٦٦٩
جون فنش	J. Finch	١٦٨١ – ١٦٧٢
جيمس، لورد (كاندوس)	James, Lord Chandos	١٦٨٤ – ١٦٨٠
وليام سومس	W. Soames	١٦٨٦ – ١٦٨٤
وليام ترمبول	W. Trumbull	١٦٩٠ – ١٦٨٦
وليام هيوسي	W. Hussey	١٦٩١ – ١٦٩٠
وليام هاربورد	W. Harbord	١٦٩٢ – ١٦٩١
وليام باجت	W. Paget	١٧٠٢ – ١٦٩٣
روبرت سوتون	R. Sutton	١٧١٧ – ١٧٠٢

(1) Wood, Op. Cit, PP. 251-253 .



أدوارد وورتلي – مونتكيو	E. Wortley – Montagu	١٧١٧ – ١٧١٨
أبراهام ستانيان	A. stanyan	١٧١٨– ١٧٢٩
جورج، أيرل كانويل	George, Earl of Kinnoull	١٧٢٩ – ١٧٣٥
فيرارد فاوكنير	E. Fawkener	١٧٣٥ – ١٧٤٥
جيمس بورتر	J. Porter	١٧٤٦ – ١٧٦١
هنري جرنفيل	H. Grenvill	١٧٦١ – ١٧٦٥
جون موري	J. Murray	١٧٦٥– ١٧٧٥
روبرت أنسلي	R. Ainslie	١٧٧٥ –١٧٩٤
روبرت لستون	R. Liston	١٧٩٥ – ١٧٩٤
سبنسر سمث	S. Smith	١٧٩٥ – ١٧٩٩
توماس الجين	T. Algin	١٧٩٩ – ١٨٠٣
ألكسندر ستراتون	A. Straton	كانون الثاني – آيار ١٨٠٣
وليام دروموند	W. Drummond	١٨٠٣ – ١٨٠٤
جارلس أربوثنوت	C. Arbothnot	١٨٠٤ –١٨٠٧
روبرت أداير	R. Adair	١٨٠٩ –١٨١٠



ملحق رقم (٣)

سفراء فرنسا وروسيا في الدولة العثمانية المعاصرين لمرحلة البحث(١)

سفراء فرنسا في اسطنبول:

روفين	Ruffin (قائم بالأعمال)	١٧٩٨ – ؟
روفين	Ruffin (قائم بالأعمال)	١٨٠١ – ١٨٠٣
برون	Brune	كانون الثاني ١٨٠٣ – كانون الأول ١٨٠٤
باراندييه	Parandie (قائم بالأعمال)	١٨٠٤ – ١٨٠٦
سبستياني	Sebastiani	١٨٠٦ – ١٨٠٨
لاتو – مابو	Latour – Maubourg	١٨٠٨ – ١٨١٢

سفراء روسيا في اسطنبول:

تمارا	Tamara	١٧٩٨ – ١٨٠٢
ايتالينسي	Italinsky	١٨٠٢ – ١٨٠٦

---

(1) Ghorbal, Op. cit, in preface.

